نموذج ترخيص

أنا الطالبة: شريهان سميح عطية الخطاب أمنح الجامعة الأردنيــة و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو اســتغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونيــة أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

المسائل العقدية في سورة السجدة

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليميــة والجامعــات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميــع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: شريهان سميح عطية الخطاب

التوقيــــع: [signature]

التاريـــخ: ٢٨/ ٥/ ٢٠١٤

المسائل العقدية في سورة السجدة

إعداد

شريهان سميح عطية آل خطاب

المشرف

الدكتور أحمد عبد حسين العوايشة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آيار، ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾

(الاسراء: ٩)

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة "**المسائل العقدية في سورة السجدة**"، وأجيزت بتاريخ ٧ / ٥ / ٢٠١٤م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور أحمد عبد العوايشة، أستاذ مشارك- العقيدة الإسلامية- (مشرفاً)	....
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب، أستاذ- العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة- (عضواً)	....
الدكتور عطا الله بخيت المعايطة، أستاذ مشارك- العقيدة الإسلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة والأديان- (عضواً)	....
الأستاذ الدكتور حسين جابر بني خالد، أستاذ- العقيدة الإسلامية - (عضواً خارجياً) (جامعة اليرموك)	....

د. يوسف بني ياسين

الإهداء

إلى روح والدي الحبيب.... أعظمُ ما فقدتُ وسأفقد...

إلى والدتي الغالية.... التي سكنت صميم الروح.. والتي لا أجدُ نعتاً يفيها حقّها في هذه الحياة...

إلى إخواني (شجاع.. شادي.. شريف.. مُحمّد).. وأخواتي (شيرين.. شروق)..

الذين كانوا وما زالوا ضياءً للقلب.. ونوراً للدرب...

إلى أساتذتي الكرام.. الذين مكّنوا في نفسي حمل همّ هذا الدين...

إلى مَعان العِزّ .. الصمود .. الرجال ...

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع....

شريهان سميح آل خطاب..

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل والمقرون بدعاء الخالق - جلّ شانه - أن يجزل الأجر والثواب لكل من ساعدني في إتمام دراستي هذه وإخراجها، سواء من كان سبباً في تحقيق رغبتي في مواصلة الدراسة أو في اختيار الموضوع والبحث فيه وجمع مادته، وأخص بخالص الشكر أستاذي وشيخي المشرف على الدراسة فضيلة الدكتور أحمد العوايشة، ذلك أنّ إنجاز الدراسة جاء نتيجة جهد متواصل وتعاون بنّاء من قبله، والذي لم يدخر جهداً يحول دون خروج هذه الدراسة ثمرةً طيبةً - التي أدعو الله أن يعمَّ نفعها لمن أراد الإفادة منها-، فكان نعم الأستاذ الأب الناصح، فاسال الله أن يجزيه خير ما يجزي عباده الصالحين، كما أتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة التي تفضلت بقبول عناء قراءة الدراسة لمناقشتها وتصويبها وتقويمها والمتمثّلة ب : الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب، والدكتور عطالله المعايطة، والمناقش الخارجي الدكتور حسين بني خالد الذي شرّفني وتكرّم بقبول مناقشة دراستي، فاساله سبحانه أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً ويتقبل منهم عملهم ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

ثم الشكر الموصول للجامعة الأم - الجامعة الأردنية - التي هيّات لي فرصة الدراسة فيها ما يقارب السبع سنوات، كما أُتبعَ الشكر إلى عمادة كلية الشريعة المتمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور محمد الخطيب، ورئيس قسم أصول الدين الدكتور عطالله المعايطة، على ما يبذلان من توجيه وإرشاد وتيسير أسباب الدراسة لطلبة العلم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ي
المقدمة	١
مشكلة الدراسة	٢
أهمية الدراسة	٢
أهداف الدراسة	٣
الدراسات السابقة	٤
منهج الدراسة	٤
خطة الدراسة	٤
الفصل التمهيدي: تعريف عام بسورة السجدة	٧
أولاً: أهمية دراسة العقيدة من خلال القرآن الكريم	٨
ثانياً: دلالات عنوان الدراسة	١٢
أ) تعريف المسائل لغةً واصطلاحاً	١٢
ب) تعريف العقدية (العقيدة) لغةً واصطلاحاً	١٣
ج) تعريف السورة لغةً واصطلاحاً	١٤
د) تعريف عام بسورة السجدة	١٤
سورة السجدة	١٤
عدد الآيات وتاريخ النزول والتسمية	١٥
أسماء سورة السجدة	١٦
فضل سورة السجدة	١٦
صلة السورة بسور " آلم " ولقمان والأحزاب والإنسان والملك	١٧
صلة السورة بسور "آلم"	١٨
صلة سورة السجدة بسورة لقمان	١٩

صلة سورة السجدة بسورة الأحزاب	٢١
صلة سورة السجدة بسورة الإنسان	٢٢
صلة سورة السجدة بسورة المُلك	٢٤
المعنى الإجمالي للسورة	٢٤
الفصل الأول: مسائل الإيمان بالله تعالى الواردة في سورة السجدة	٢٦
المطلب الأول: الإيمان كما ورد في سورة السجدة	٢٧
أولاً: تعريف الإيمان	٢٨
تعريف الإيمان لغةً	٢٨
تعريف الإيمان اصطلاحاً	٢٩
ثانياً: حقيقة الإيمان	٣٠
المذاهب في حقيقة الإيمان	٣٤
مذهب عامة أهل السنة	٣٤
مذهب المخالفين	٣٥
زيادة الإيمان ونقصانه	٣٧
ثالثاً: مسألة الإيمان كما وردت في سورة السجدة	٣٩
صفات أهل الإيمان	٤١
المطلب الثاني: تعريف الفسق وأحكامه	٤٣
أولاً: تعريف الفسق لغةً واصطلاحاً	٤٤
ثانياً: أقسام الفسق	٤٦
ثالثاً: الفسق كما جاء في السورة	٤٩
المبحث الثاني: وجود الله وأدلته في سورة السجدة	٥١
المطلب الأول: خَلْق السماوات والأرض	٥٣
١. معنى الخَلْق	٥٦
٢. طبيعة الأيام الورادة في سورة السجدة	٥٧
٣. الحكمة من خَلْق السماوات في ستة أيام	٦٠
المطلب الثاني: خَلْق الإنسان وأصله:	٦٢
١. أصل الإنسان من طين	٦٢
٢. خَلْق الإنسان في سلالة	٦٤

٣. نفخ الروح في الإنسان وتكريمه بالسمع والبصر والفؤاد	٦٤
المطلب الثالث: سَوْق الماء	٦٩
المطلب الرابع: إحسان الخلق وإتقانه	٧٣
المبحث الثالث: أسماء الله وصفاته الورادة في سورة السجدة	٧٦
المطلب الأول: مدخل إلى المبحث	٧٦
أولاً: توحيد الأسماء والصفات وأهميته	٧٦
ثانياً: تعريف الاسم والصفة	٧٨
ثالثاً: القواعد والأسس التي تقوم عليها دراسة مسألة الأسماء والصفات	٧٩
خامساً: أول من تكلم في مسألة الصفات	٨٣
المطلب الثاني: أسماء الله الورادة في سورة السجدة	٨٦
أولاً: الرب	٨٦
ثانياً: الله	٨٨
ثالثاً: العزيز	٩٠
رابعاً: الرحيم	٩١
المطلب الثالث: الصفات المتعلقة بالقضاء والقدر	٩٢
أولاً: صفة الخَلْق والتدبير	٩٤
ثانياً: صفة الإرادة والمشيئة	٩٨
المطلب الرابع: الصفات الذاتية	٩٨
أولاً: صفة العلو	١٠٣
ثانياً: صفة العلم	١٠٥
المطلب الخامس: الصفات الخبرية	١٠٥
الاستواء على العرش	١١٠
الفصل الثاني: مسائل النبوة والكتب الإلهية في سورة السجدة	١١١
المبحث الأول: تنزيل القرآن الكريم	١١١
المطلب الأول: إثبات تنزيل القرآن الكريم	١١١
أولاً: فرية افتراء القرآن الكريم	١١١
ثانياً: رد السورة على هذه الفرية:	١١٨

- الشق الأول: إثبات تنزيل القرآن	١٢٠
- الشق الثاني: بيان المقصود الي أنزل من اجله القرآن	١٢٢
المطلب الثاني: أهل الفترة	١٢٥
أولاً: تعريف اهل الفترة	١٢٥
ثانياً: حكم أهل الفترة	١٢٦
المبحث الثاني: إشارات من قصة موسى- عليه السلام-	١٣١
المطلب الأول: إثبات تنزيل التوراة	١٣٢
أولاً: تعريف التوراة	١٣٤
ثانياً: اللقاء الوارد في قوله تعالى" ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه"	١٣٧
المطلب الثاني: الإمامة في الدين	١٤٠
أولاً: تعريف الإمامة في الدين	١٤٠
ثانياً: أسباب تحقق الإمامة في الدين	١٤١
أ). الصبر	١٤١
ب) اليقين	١٤٣
المطلب الثالث: افتراق بني اسرائيل العقدي	١٤٦
أولاً: نماذج من افتراق بني إسرائيل العقدي	١٤٦
ثانياً: أسباب الافتراق العقدي عند بني إسرائيل	١٥٠
المبحث الثالث: استدلال السورة بمصير الأقوام السالفة	١٥٤
الفصل الثالث: مسائل الإيمان باليوم الآخر في سورة السجدة	١٥٨
مدخل	١٥٩
المبحث الأول: إثبات عقيدة البعث في سورة السجدة	١٦١
المطلب الأول: شبهة المشركين في إنكار البعث	١٦١
١. تعريف البعث	١٦١
٢. حقيقة البعث	١٦٣
٣. أدلة البعث من القرآن الكريم والسنة النبوية	١٦٤
٤. شبهة إنكار البعث الواردة في السورة	١٦٤
المطلب الثالث: مشاهد القيامة الواردة في السورة	١٧٠

المبحث الثاني: جزاء الأعمال يوم القيامة:	١٧٦
المطلب الأول: جزاء المؤمنين يوم القيامة	١٧٦
المطلب الثاني: جزاء الفاسقين يوم القيامة	١٧٩
المبحث الثالث: الولاية والشفاعة في سورة السجدة:	١٨٤
المطلب الأول: الولاية في سورة السجدة:	١٨٤
١. تعريف الولاية	١٨٤
٢. أقسام الولاية	١٨٥
المطلب الثاني: الشفاعة الواردة في سورة السجدة:	١٨٩
١. معنى الشفاعة لغةً واصطلاحاً	١٩٠
٢. شروط الشفاعة	١٩٠
٣. أقسام الشفاعة	١٩١
٤. الشفاعة في سورة السجدة	١٩٤
الخاتمة	١٩٦
أولاً: النتائج	١٩٦
ثانياً: التوصيات	١٩٨
قائمة المصادر والمراجع	١٩٩
الملخص باللغة الإنجليزية	٢١٥

المسائل العقدية في سورة السجدة

إعداد

شريهان سميح عطية آل خطاب

المشرف

الدكتور أحمد عبد حسين العوايشة

الملخص

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد – صلى الله عليه وسلم – وبعد:

فإن القارىء في آيات القرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم عرض مسائل العقيدة بأسلوب مُحْكمٍ مُيّسر، وأكثر ما ترد مسائل العقيدة في السور المكية، ومن بين هذه السور سورة السجدة، وقد جاءت هذه الدراسة لِتُسلّط الضوء على المسائل العقدية الورادة في السورة الكريمة، والتي كانت بعنوان " المسائل العقدية في سورة السجدة ".

وقد اشتملت الدراسة على مقدمةٍ وفصل تمهيدي وثلاثةِ فصول وخاتمة.

وأما المقدمة فتناولت أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج الدراسة وخطة الدراسة.

وأما الفصل التمهيدي فتناول أهمية دراسة العقيدة من خلال القرآن الكريم، وتعريفاً عاماً بسورة السجدة.

وأما الفصل الأول فتناول: مسائل الإيمان بالله تعالى الواردة في سورة السجدة، ومن بينها: مسألة الإيمان والفسق، وأدلة وجود الله تعالى، وأسماء الله الحسنى وصفاته الورادة في سورة السجدة.

وأما الفصل الثاني: فتناول مسائل النبوة والكتب الإلهية الورادة في السورة ومن بينها: إثبات تنزيل القرآن الكريم، وحكم أهل الفترة، وإشارات من قصة موسى – عليه السلام –، وإثبات تنزيل التوراة، والاستدلال بمصير الأقوام السابقة التي انحرفت عن منهج العقيدة.

وأما الفصل الثالث فتناول مسائل الإيمان باليوم الآخر الواردة في السورة منها: إثبات البعث والرد على المشركين في ذلك، ومشاهد القيامة التي وردت في السورة وبيان جزاء المؤمنين والكافرين كما ورد في سورة السجدة، وتوضيح الولاية والشفاعة الواردة في السورة الكريمة.

وفي نهاية الدراسة كانت الخاتمة وذكرتُ فيها أهم النتائج والتوصيات وثم الفهارس العامة للدراسة.

المقدمة

الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك وما كان معه من إله، الله الذي لا إله إلا هو فلا خالق غيره ولا رب سواه، هو العلي الكبير، والحمدلله الذي هدى بكتابه القلـوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعْيَت بلاغته البلغاء، وأسكتت حكمته الحكماء، وأذهلـت روعته العلماء، فهو الحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنعمة الباقية، وأصلي وأسلم على محمـد عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، اللهم اجزهِ عنّا خير ما جزيتَ به نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصلي اللهم وبارك على آلـه الطيبـين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين، وعلى من استنّ بسنته وسار على دربه واقتفى أثره، وبعد:

فإن أفضل ما يشتغل به المرء من العلوم علم الدين، ذلك أنّ شرف العلم بشرف المعلوم، فلا علم أشرف ولا أجلّ من علوم الدين، وأفضل العبادات على الإطلاق هي الإقبال على كتاب الله تعالى، فيزداد المرء بتلاوته وتدبر آياته، وتعمّق معانيه وأهدافه، خوفاً وخشوعاً لله تعـالى، ولا يخفى على أحد أنّ القرآن الكريم هو دستور الحيـاة والمـصدر الأول والأسـاس للـدين الإسلامي، ومنبع الأحكام وضياء الطريق في الدنيا والآخرة، ولا يخفى على بشرٍ ما تعانيه الأمة اليوم من تفرّقٍ وتمزّقٍ بظهور أهل الأهواء والبدع والضلالات، فحدث بذلك تخبّطٍ وافتراق في الأصول العقائدية، الأمر الذي أدى إلى دخول ممارسات وعقائد باطلة، مما دعا إلى ضـرورة دراسة العقيدة من كتاب الله تعالى بوصفه الأصل والمصدر الأول لذلك، وهذا من شأنه أن يجعل العقيدة نقيّة صافية لا تشوبها شائبة، فقد كانت العقيدة الموضوع الرئيس في القرآن الكريم كلّـه وكان البناء العقدي هو المحور الأساسي الذي بيّنه القرآن الكريم وأزال اللبس عنه.، لذلك كانت الحاجة ماسّة لبيان مسائل العقيدة الواردة في القرآن الكـريم، وبـسطها وتحليلهـا ومناقـشتها، وعرضها بحسب طريقة المنهج القرآني المتمثل في طرح الأدلة والبراهين والبعيد عن الخيـال والنظريات، ولأني أردتُ خدمة القرآن الكريم، و وددتُ تذكير الدارسين بالمـصدر الأول مـن مصادر العقيدة الصحيحة، وأردتُ خدمة الدراسات القرآنية في مجال الاعتقاد، آثرتُ بأن تكون دراستي جامعةً للقرآن الكريم وما ورد فيه من مسائل عقدية من خلال دراسة سورة تناولت في مضمونها مسائل متنوعة في العقيدة، فكانت سورة السجدة محل هذه الدراسة والتي عُنونت بـــ " المسائل العقدية في سورة السجدة ".

مشكلة الدراسة

قرر القرآن الكريم من خلال آياته مضامين العقيدة الصحيحة، وبين عقائد أهل الأهــواء وفسادها، وكشف شبهاتهم الباطلة، ومن بين تلك السور الكريمة التي استوقفتني ملياً ســورة السجدة، فهي لم تخرج عن أصول العقيدة وصلبها، ولأنها سلكت مسلكاً واضحاً سهلاً وميــسراً في عرضها لمسائل العقيدة، فهي لم تطلق العنان للعقول أن تخوض في المسائل العقدية حــسب أهوائها بل أصّلت وفصلت المسائل التي وردت فيها، ولوجود علاقة بين سورة السجدة وغيرها من السور كسورة لقمان والإنسان والأحزاب والمُلك والسور المبدوءة بـــ " آلم " وربطها بهـــا على أتمّ وأكمل وجه، ولأن ّالنبي – صلى الله عليه وسلّم – تعهدها بالقراءة في فجر كل جمعـــة وكل ليلة – كما سيأتي بيان ذلك في تمهيد الدراسة –، لهذه الأسباب كانت الـــسورة الكريمـــة موضوعاً للبحث في هذه الدراسة.

وتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية:

١. ما هي المسائل العقدية التي طرحتها سورة السجدة ؟

٢. ما هي مسائل الإيمان بالله تعالى الورادة في سورة السجدة وكيف ناقشتها السورة ؟

٣. كيف عرضت سورة السجدة مسائل النبوة والكتب الإلهية ؟

٤. ما هي مسائل الإيمان باليوم الآخر التي وضحتها سورة السجدة ؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة بالأمور الآتية:

١. تناول سورة من سور القرآن الكريم بالإيضاح وتفصيل محاورها الرئيسة التـــي تحـــدثت عنها.

٢. دعوتها إلى العودة للقرآن الكريم والتزام منهجه في إثبات العقائد، بوصفه المصدر العظيم الذي يعتمد عليه في بناء العقيدة وترسيخها.

٣. بيان مسائل الإيمان بالله تعالى التي تحدثت عنها سورة السجدة.

٤. عرض مسائل الإيمان بالنبوات والكتب الإلهية من خلال مناقشتها وبيانها.

٥. توضيح مسائل الإيمان باليوم الآخر الواردة في سورة السجدة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. أن تقدم دراسة علمية للمسائل العقدية وتطبيقية على القرآن الكريم من خلال تخصصها بسورة السجدة.

٢. أن تبرز المسائل العقدية المتنوعة (الإيمان بالله تعالى، والنبوات، والكتب الإلهية، واليوم الآخر) التي تناولتها سورة السجدة بشيء من التفصيل والدراسة.

٣.خدمة الدراسات القرآنية في مجال الاعتقاد.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتقصّي لم أجد دراسة علمية سابقة – على حد علمي و في ضوء بحثي – أفردت سورة السجدة بالدراسة من الناحية العقدية واستخلاص المسائل العقدية فيها.

ولم يقع بين يدي إلا دراسة تفسيرية كانت عبارة عن تحقيق لتفسير ابن كمال باشا وهي:

تفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سورة لقمان، السجدة، الأحزاب، فاطر، يس الصافات، المؤلف: غالب عبدالله عثمان أحمد (١٩٩٦)، رسالة ماجستير، إشراف: د.أحمد أبو هزيم، الجامعة الأردنية. وقد قامت هذه الدراسة بتحقيق بعض المسائل النحوية والبلاغية وتخريج أسباب النزول والقراءات في السور، وشرح الغامض من المعاني، واستفدتُ منها في فهم بعض معاني الألفاظ الورادة في سورة السجدة. إلا أنّ هذه الدراسة لم تفصّل بالشرح والبيان المسائل العقدية الورادة في سورة السجدة.

منهج الدراسة

تتلخص منهجية الدراسة باتباع المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع الآيات الواردة في سورة السجدة والتي تظهر فيها مسائل الاعتقاد وجمعها وتقسيمها حسب موضوعاتها، والمنهج التحليلي وذلك بعرض المسائل العقدية التي وردت في السورة ومناقشتها وبيانها وتفصيلها وتحليل آياتها وربطها مع بعضها بعضاً.

خطة الدراسة

قسمت الباحثة الدراسة إلى: مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وجاء فيها مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها ومنهجها وخطتها.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بسورة السجدة

أولاً: أهمية دراسة العقيدة من خلال القرآن الكريم.

ثانياً: دلالات عنوان الدراسة.

الفصل الأول: مسائل الإيمان بالله تعالى الواردة في سورة السجدة

المبحث الأول: الإيمان والفسق في سورة السجدة

المطلب الأول: الإيمان كما جاء في السورة

المطلب الثاني: الفسق وأحكامه كما جاء في السورة

المبحث الثاني: وجود الله وأدلته في سورة السجدة

المطلب الأول: خلق السماوات والأرض

المطلب الثاني: خلق الإنسان وأصله

المطلب الثالث: سَوْق الماء

المطلب الرابع: إحسان الخلق

المبحث الثالث: أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في سورة السجدة

المطلب الأول: مدخل إلى المبحث

المطلب الثاني: أسماء الله الحسنى الواردة في السورة

المطلب الثالث: صفات الله تعالى المتعلقة بالقضاء والقدر

المطلب الرابع: الصفات الذاتية

المطلب الخامس: الصفات الخبرية

الفصل الثاني: مسائل النبوة والكتب الإلهية في سورة السجدة

المبحث الأول: تنزيل القرآن الكريم

المطلب الاول: إثبات تنزيل القرآن الكريم

المطلب الثاني: أهل الفترة وحكمهم

المبحث الثاني: إشارات من قصة موسى – عليه السلام –

المطلب الأول: تنزيل التوراة

المطلب الثاني: الإمامة في الدين

المطلب الثالث: الافتراق العقدي عند بني إسرائيل

المبحث الثالث: استدلال السورة بمصير الأقوام السالفة

الفصل الثالث: مسائل الإيمان باليوم الآخر في سورة السجدة

المبحث الأول: إثبات عقيدة البعث في سورة السجدة

المطلب الأول: شبهة المشركين في إنكار البعث

المطلب الثاني: الرد على الشبهة

المطلب الثالث: مشاهد القيامة الواردة في السورة

المبحث: جزاء الأعمال يوم القيامة

المطلب الأول: جزاء المؤمنين يوم القيامة

المطلب الثاني: جزاء الفاسقين يوم القيامة

المبحث الثالث: الولاية والشفاعة الواردة في سورة السجدة

المطلب الأول: الولاية كما جاءت في السورة

المطلب الثاني: الشفاعة كما جاءت في السورة

الخاتمة: و فيها أهم النتائج والتوصيات

الفصل التمهيدي

تعريف عام بسورة السجدة

الفصل التمهيدي

تعريف عام بسورة السجدة

أولا: أهمية دراسة العقيدة من خلال القرآن الكريم

تعد العقيدة الإسلامية القضية الكبرى التي قام عليها الدين، لذلك نجد النبي –صلى الله عليه وسلم– يقضي زمنا طويلاً لتثبيت العقيدة في النفوس والحياة، لتخلص لربها، فتنطلق للعبادة، بعد أن أصبح أساسها متين، وضُحت فيه العقيدة التي بُعث بها الرسل –عليهم الصلاة والسلام– وأنزلت بها الكتب ثم أوجبها الله تعالى على الخلق كافة.

وقد فهم صحابة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– هذه العقيدة، وعمدوا إلى نشرها وتبليغها صافية لا تشوبها شائبة كما جاءت من عند الله تعالى، ووضحها رسول الله –صلى الله عليه وسلم –فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس.

وتؤخذ العقيدة بداية من كتاب الله تعالى، بوصفه الأصل والمصدر الأول لذلك، وقد بات هذا الأمر ضرورة ملحة لأن في البشرية الكثير من العقائد والبدع والضلالات البعيدة عن العقيدة الإسلامية في مظهرها وجوهرها.

لذا كان الواجب أن نبين مقصد المساحة الكبيرة التي استوعب بها القرآن الكريم موضوع العقيدة كاملا. فلقد اتبع القرآن الكريم منهجا واضحا جليا في عرض مسائل العقيدة متمثلا بأسلوبه المخاطب للنفس الإنسانية بلفت نظرها إلى قدرة الله –عزوجل– في الخلق والإيجاد، ودعوتها إلى إمعان النظر في آيات الله واستشعار عنايته –جل شانه–، ليصل الإنسان إلى عبادته وحده لا شريك له.

وقد امتاز هذا المنهج القرآني بسهولة مخاطبته للقلب والعقل معا، وطرحه الأدلة والبراهين المقنعة، وذلك من خلال عرضه قصص الأنبياء وأقوامهم، معتمدا في ذلك على المسلك الواقعي البعيد عن الخيال والنظريات.

فالعقيدة الإسلامية المستقاة من القرآن الكريم هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول العقيدة وما يتعلق بها.(١)

---

(١) انظر:العقيل، محمد بن عبد العزيز، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، بدون طبعة، ص ٣، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٣٠.

فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة، تنظم كل شؤون الحياة، ولا يقبل الله من قوم شريعتهم إلا إذا صحت عقيدتهم،فما قيمة أي جهد يبذل قبل تصحيح العقيدة، وتحقيق التوحيد وتأصيل الإيمان(١).

وهذا يقودنا إلى الإصرار على تناول العقيدة من أصلها الأول القرآن الكريم الذي من شأنه أن يجعل العقيدة نقية من كل خرافة وممارسة وتخبط ينسب إليها، فالقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد رُتِّب القرآن الكريم- كما هو معلوم- في سور، كل سورة لها أول وآخر في آيات متعددة، ولها معانٍ كثيرة وهدف أو مجموعة من الأهداف، ولعل كل سورة من سور القرآن الكريم تشكل هدفاً يستتبع أغراضاً مختلفة في غالب الأمر. ولكل سورة طابعها الخاص في لفظها وسياقها وفواصلها وختام آياتها، ولها في الوصول إلى هدفها طرق خاصة، وكل موضوع يذكر في السورة فهو مناسب للسورة ولا بدّ منه(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سور القرآن الكريم نوعان:

النوع الأول: يشتمل على غرض واحد، وإن استتبع نظرات جانبية، وهي سور المِفصَل. ويمثل عليها بسورة الماعون وسورة الفيل والكوثر.(٣)

النوع الثاني: يشتمل على عدة أغراض وموضوعاته كثيرة، وإن كان للجميع هدف واحد ونهاية واحدة.وهذا الأمر من أدق معجزات القرآن الكريم، ومثاله: سورة لقمان، وسورة السجدة.(٤)

وتقسم سور القرآن الكريم – كما هو معلوم أيضا – إلى قسمين باعتبار مكيها ومدنيها، وفي القرآن المكى تتجلى مسائل العقيدة، ويُرد ذلك إلى أن القرآن المكي يعتني بتصحيح عقيدة الألوهية والإيمان بالرسالات والدعوة إلى الأخلاق،وترسيخ عقيدة البعث والربوبية، معتمداً في ذلك على أسلوب القصص وذكر الأمثال.

---

(١)انظر: حسان، محمد،جبريل يسأل والنبي_صلى الله عليه وسلم_يجيب، بدون طبعة،ص٧، مكتبة فياض المنصور عقل، سنة ٢٠٠٧.

(٢)انظر: حجازي،محمد محمود،الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم،بدون طبعة، ص٥٢_٥٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٣٩٠_١٩٧٠.

(٣)انظر: المصدر السابق، ص ٤١ _٤٢.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص ٤٢.

"...واشتمل القرآن المكي على تثبيت العقيدة في النفوس والنهي عن الرذائل والأخلاق السيئة و تعمل على تثبيت هذه كلها بما ذكره من أنباء الأولين وقصصهم.." [١].

"....ونستطيع القول أن العقيدة هي الموضوع الرئيسي في القرآن كله، مكيا كان أم مدنيا، ولكنها في المكي تستغرق المساحة كلها وتستوعب الحديث كله، بينما هي في السور المدنية أشبه بالتيار الجاري تستتبت على شاطئيه الحياة من كل جانب،لتترعرع فتزهر بعد أن تشبعت بها النفوس"[٢].

ولعل من الصعوبة بمكان التعريج على كامل القرآن الكريم لتبيان جميع مسائله العقدية التي احتواها، لذلك فإني أقصر الحديث على سورة واحدة من السور التي تتضح فيها مسائل العقيدة الصافية النقية، ألا وهي سورة السجدة، والتي تعد واحدة من بين تسعٍ وثمانين سورة مكية تجلّت فيها مسائل العقيدة جلاءً واضحاً بديعاً.

كما تعد سورة السجدة واحدة من السور الست المبدوءة بقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾[٣]. التي يختص سياق كل واحدة منها بموضوع رئيس،وهذا ما نجده في سورة السجدة إذ صب السياق الخاص لها في موضوع رئيس وهو الاعتقاد بالقرآن الكريم،بالإضافة إلى تعرضها لمسائل الايمان بالله وأدلة وجوده وصفاته وأحقيته بالعبودية كما وتعرضت للحديث عن الملائكة والرسل.[٤]

قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢)، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١).

---

(١)عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن،ط١، ج ١،ص٣٧، دار الفرقان،عمان،سنة ١٩٩٧.
(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ط٨، ص ٢٢، دار الشروق، سنة ١٤٢٥_٢٠٠٤.
(٣)السور الخمسة الباقية التي تبدأ ب "آلم" هي: البقرة،آل عمران،العنكبوت،الروم،لقمان. انظر: عبدالباقي،محمد فؤاد،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،ط٣، ص٤٥، دار الحديث القاهرة،سنة ١٤٢٢– ٢٠٠١.
(٤)انظر: حوّى،سعيد،الأساس في التفسير، بدون طبعة،ج٨، ص ٤٣٥١، دار السلام، بدون سنة.

علاوة على أن سورة السجدة من النوع الثاني من السور –السابق ذكرهـــا–، أي الـــسور التي تحتوي على عدة أغراض وتصب جميعها في هدف واحد هو إثبات تنزيل القرآن الكـــريم وأنه من عند الله عزوجل.

فسورة السجدة تقدم جميع هذه المسائل بأنموذج فريد، تذكر المسألة ومن ثم تقدم شـــواهد وبراهين تستدعي لأن يقف معها العقل ليتفكر، وتدعم ذلك بمؤثرات تثير القلب فتوقظه وتحفزه للتأمل والتدبر.

".. هذه السورة المكية نموذج آخر من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطر،ويركزها في القلوب عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الـــصمد،خالق الكون والناس ومدبر السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من خلائق لا يعلمهـــا إلا الله... والتصديق برسالة محمد –صلى الله عليه وسلم– الموحى إليه بهذا القرآن لهدايـــة البـــشر إلـــى الله،والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء....هذه هي القضية التي تعالجها سائر الـــسور المكية.كل منها تعالجها بإسلوب خاص ومؤثرات خاصة، تلتقي في أنها تخاطب القلب البشري خطاب العليم الخبير المطلع على أسرار هذه القلوب وخفاياها ومنحنياتها ودروبها".(١)

وتجدر الإشارة إلى أن سورة السجدة تحتوي في طياتها إشارات تضفي عليها تفردا مبعثه:

- ذكر ملك الموت بهذا اللفظ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١).فلم يرد ذكر ملك الموت بهذه الصيغة وهذا اللفظ إلا في سورة السجدة.(٢)
- لفظ تتجافى انفردت به سورة السجدة عن غيرها مـــن الـــسور.(٣).﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).
- ذكر العذاب الأدنى فلم يرد ذكر للعذاب الأدنـــى إلا فـــي هـــذه الـــسورة الكريمـــة(٤). ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (السجدة: ٢١).

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ١٧، ج ٥، ص ٢٨٠٣، دار الشروق. بتصرف.
(٢)انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٧١.
(٣)انظر: المصدر السابق،ص ٩٩.
(٤)انظر: المصدر السابق، ص ٣٢١

- وردت في سورة السجدة الصفات التي تنال بها الإمامة[١]،﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤).

أضف إلى ذلك أن سورة السجدة من بين السور التي كان يقرن بينها النبي –صلى الله عليه وسلم–وبين سورة أخرى، فلقد كان يقرن بينها وبين سورة الإنسان في فجر الجمعة، وبينها وبين سورة الملك في كل ليلة – كما ورد في الأحاديث الصحيحة –، و سيأتي الحديث عن ذلك في فضل السورة، فكانت سورة السجدة وما تحتويه من مسائل عقدية محورا للحديث في هذه الدراسة.

وقبل الشروع في تفصيل مسائل السورة حريٌ بي الوقوف مع دلالات عنوان الدراسة لأعرّف معنى المسائل العقدية وأعرّف بالسورة الكريمة التي بين يديّ.

ثانيا: دلالات عنوان الدراسة

أ. تعريف المسائل لغة واصطلاحا:

المسائل لغة: وردت كلمة المسائل تحت الجذر الثلاثي " سَألَ: مَسْألَة، وسَألَه عن الشيء سؤالا ومَسْألة: أي استَخبرتَه"[٢].

اصطلاحا: هي:"المطالب التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض في ذلك العلم معرفتها"[٣].

وهي: "موضوع المناقشة والبحث"[٤].

وعليه فالمسألة: موضوع يبحث فيه ويدللّ عليه بدلائل وشواهد والهدف بيان هذا الموضوع وتوضيحه.

---

(١)انظر: المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣،ج ١،ص ٣١٩،، دار صادر،بيروت،سنة ١٤١٤.

(٣) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، ص ٥٩٢،دار قباء الحديثة، سنة ٢٠٠٧. وانظر: الجرجاني،علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت:٨١٦)، التعريفات،ط١،ص٢١١،ضبطه وصححه:جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية،بيروت _لبنان، سنة ١٤٠٣_١٩٨٣.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٨١، القاهرة، سنة ١٤٠٣ –١٩٨٣.

ب. تعريف العقدية (العقيدة) لغة واصطلاحا:

كلمة العقدية نسبة إلى العقيدة، وكلمة العقيدة في اللغة مأخوذة من الجذر الثلاثي عَقَدَ:

" عَقَدَ: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدة وثوق"[١].

العَقْد:" نقيض الحل، عقده عَقْداً فهو معقود، تأتي بمعنى العهد"[٢].

وتأتي عقد بمعنى: العَقْد وهو الجمع بين أطراف. ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء.قال تعالى:" وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ..." {النساء: ٣٣}.

فالعقيدة في اللغة تعني: ما انعقد عليه القلب واستمسك به، ومنه قيل لفلان عقيدة.[٣]

تعريف العقيدة في الاصطلاح:

ومن التعريفات للعقيدة اصطلاحاً:" جملة الأصول والحقائق الإيمانية التي جاء بها الشرع ودعا الإنسان إلى الإيمان بها، وانعقد عليها قلب الإنسان وجزم بصحتها وقطع بثبوتها وآمن بها إيمانا لا يرقى إليه شك. قال تعالى:" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠ "[٤].

كما وعُرّفت على أنها: ما يدين به الإنسان ربه، وأنها مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه وتطمئن إليه نفسه وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب[٥].

فالمسائل العقدية: هي المواضيع المتعلقة بالعقيدة والمراد البحث فيها وبيانها وتقديم الشواهد عليها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة،بدون طبعة، ج٤،ص ٨٦، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩ – ١٩٧٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب،ج٣، ص ٢٩٦.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني،أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ج١،ص ٤٤٣،مكتبة نزار مصطفى الباز.

(٤) الجلي، أحمد محمد، العقيدة الإسلامية أركانها وآثارها، ط١، ص٢٠، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، سنة ٢٠١٠.

(٥) انظر: ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم،بدون طبعة،ص٢٠، مكتبة دار الزمان، سنة ١٤٠٥_١٩٨٥.

ج. تعريف السورة لغة واصطلاحا

السورة لغة: من" الجذر الثلاثي سَوَرَ: والسُّورة:المنزلة والجمع سَور وسُور. والسّورة من البناء: ما حسُن وطال.والسُّوْر جمع سورة وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن الكريم لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة من الأخرى"[١].

والسّور: وثوب مع علو.والسّورة:المنزلة الرفيعة.وسور المدينة حائطها المشتمل عليها.وسورة القرآن تشبيها بها لكونه محاطا بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر"[٢].

اصطلاحا: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع يعني بداية ونهاية[٣].

وهي:" طائفة من الآيات القرآنية لها بدء ونهاية".[٤]

د. تعريف عام بسورة السجدة

السجود لغة: مشتقة من الجذر الثلاثي سَجَدَ، الذي يأتي بمعنى الخضوع، والسجود أصله التطامن والتذلل وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته.[٥]

قال تعالى:﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ (النجم: ٦٢).

وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد.[٦]

١. سورة السجدة

يجمع العلماء على أن سورة السجدة مكية و البعض منهم استثنى خمس آيات وعدّوها مدنية، وهي الآية السادسة عشر إلى الآية العشرين. من قولة تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ

(١) ابن منظور، لسان العرب،ج٤،ص ٣٨٦.
(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج١،ص ٣٢٧.
(٣) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن،ط٣، ج١،ص٣٥٠،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون سنة.
(٤) اسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن،ط٢،ص ٥٦، دار المنار، سنة ١٤١٩-١٩٩٩.
(٥)انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ٢٩٩.
(٦)ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٢٠٦.

﴿ ١٧ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ١٨ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (السجدة: ١٦ – ٢٠).[١]

قال ابن جزي الكلبي في سورة السجدة:" مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية"[٢].

إلا أن الرأي المعول عليه[٣] هو القول بمكية السورة كاملة من دون استثناء لأي آية من آياتها ذلك أن ما تؤكده موضوعاتها من الحديث عن القرآن الكريم وإثبات تنزيله وبيان القدرة والوحدانية يظهر أن السورة مكية في سياقها وموضوعها.

٢. عدد الآيات وتاريخ النزول والتسمية

من المعلوم أن آيات سورة السجدة ثلاثون، نزلت بعد سورة غافر وقيل بعد المؤمنون، وكان نزولها في المرحلة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة إذ كان نزولها بعد الإسراء وقبيل الهجرة[٤].

رقمها في المصحف (٣٢)، تقع بعد سورة لقمان وقبل سورة الأحزاب.

---

(١)انظر: انظر: الأندلسي، ابي محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بدون طبعة،ج٤، ص٣٠٧، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٢٢.
وانظر: ابن الجوزي، جمال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، ط١، ج٣، ص ٤٣٧، دار الكتاب العربي، بيروت،سنة ١٤٢٢.
(٢)الكلبي، ابو القاسم محمد بن احمد بن محمد بن جزيء، التسهيل لعلوم التنزيل، ط١، ج٢، ص ١٤١، تحقيق: عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت،سنة ١٤١٦.
(٣) انظر: الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر الآملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بدون طبعة، ج ١٨، ص ٥١٨،تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجرللطباعة، بدون سنة.
وانظر: ابن كثير،أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج ٦، ص ٣٥٨،تحقيق: سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر،سنة ١٤٢٠ – ١٩٩٩.
وانظر: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ط١، ج ٢١، ص ١٤٠، مؤسسة التاريخ، بيروت لبنان،سنة ١٤٢٠ – ٢٠٠٠.
وانظر: القدسي، رنا أحمد بسام، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص ١٦٦، رسالة قدمت لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدين، إشراف: د.فضل حسن عباس،الجامعة الأردنية، ١٩٩٦.
(٤)انظر: شرف الدين، جعفر، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، بدون طبعة، ج٧، ص٥٥، تحقيق: عبد العزيز عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية،بيروت، بدون سنة.
وانظر: شحاته، عبدالله، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم،ص ٤٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٦.

٣.أسماء سورة السجدة:

لسورة السجدة أكثر من اسم وهي:

أ). السجدة: وذلك؛ لاشتمالها على سجدة التلاوة في قوله تعــالى:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة: ١٥). وذلك لما فيها من وصف المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى ويسبحونه عند سماع آيــات القرآن الكريم.(١)

ب). سجدة لقمان؛ وذلك لتميزها عن حم السجدة وهي سورة" فصلت".(٢)

ج). سورة المضاجع؛ وذلك لورود قوله تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).(٣)

٤. فضل سورة السجدة

ورد في فضل السورة العديد من الأحاديث وأصحها الآتي:

روى البخاري في كتاب الجمعة باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة قال:" عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الجُمُعَةِ فِي صَلاَةِ الفَجْـرِ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ».(٤)

روى الإمام مسلم في صحيحه قال:" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَـانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ".(٥)

---

(١)انظر: المصادر السابقة، وانظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمــنهج، ط٢، ج ٢١، ص ١٨٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، سنة١٤١٨.

(٢)انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري في صيحه،كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر،حديث رقــم ٨٩١، ط١،ج٢،ص٥، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة، سنة ١٤٢٢.

(٥)أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب:ما يقرأ في يوم الجمعة، حديث رقم: ٧٨٩، بدون طبعة، ج٢،ص ٥٩٩،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت، بدون سنة.

وروى الإمام أحمد في مسنده قال:" عَنْ جَابِرٍ، قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ".(١)

٥. صلة السورة بسور" آلم" وصلتها بما قبلها وما بعدها، وصلتها بسورتي الإنسان والملك (العلاقة العقائدية)

ذكرت-سابقا- أن سورة السجدة هي من مجموعة السور الست المبدوءة ب"آلم"،وتقدم أيضا في فضل السورة أن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان يقرن بينها وبين سورة الإنسان في فجر الجمعة، وكما ثبت أيضا في الحديث الصحيح أنه كان يقرن بينها وبين سورة الملك في كل ليلة.

وهنا يخطر أكثر من سؤال؟

-ما وجه الصلة بين سورة السجدة مع باقي سور مجموعتها" آلم"؟

-لماذا كان يقرأ النبي -صلى الله عليه وسلم - هذه السورة في فجر الجمعة على وجه الخصوص؟ ولماذا خص يوم الجمعة بذلك؟ وما صلة ذلك بسورة الإنسان؟

-ما هو السبب الذي جعل النبي -صلى الله عليه وسلم -يختم ليله بسورتي السجدة والملك؟

-ما مدى صلتها بسابقتها سورة لقمان؟ وما صلتها بلاحقتها سورة الأحزاب؟

ثبت أن ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي،ويعني ذلك أن السورة لم تكن بجوار السورة عفوا وبلا قصد بل إن كل سورة مناسبة لما قبلها وما بعدها، والمعاني التي تعددت في سور القرآن الكريم مرتبطة تمام الارتباط متماسكة تمام التماسك ليس بينها انفصال فإذا وقف الإنسان وقفة متأنية مع سور القرآن الكريم،أدرك هذا التلاؤم،وإذا ما دقق في معانيها وجد من الوحدة والتجانس والتعاضد والدقة ما يستدعي الدهشة والتأمل.(٢)

والسورة الكريمة التي بين يدي ما هي إلا مثالا وأنموذجا على هذا التلاحم القرآني.

وتبدأ الإجابة على الأسئلة السابقة بالتفصيل الآتي

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبدالله،، حديث رقم: ١٤٦٥٩، ج ٢٣، ص ٢٦،ط١ تحقيق: شعيب الارنؤوط وعادل مرشد وآخرون،إشراف: عبدالله بن عبدالمحسن الترك، مؤسسة الرسالة، سنة ٢٠٠١. وحكم المحققون على هذا الحديث بأنه صحيح.

(٢) انظر: حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، بتصرف.

- صلة سورة السجدة بسور" آلم"

يجد القارىء في سور هذه المجموعة تكاملا واضحا بحيث إن كل سورة فصلت ضمن سياقها الخاص بها ما أكملت به ما جاء في السور الباقية من هذه المجموعة، والجامع بينها سورة البقرة، فلكل سورة موضوعا رئيسا من مجموعة المواضيع التي تحدثت عنها مقدمة سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ١ – ٥) .

سورة البقرة: مدنية، اعتنت بالتشريع المنظم لحياة المسلمين، وفي نفس الوقت أصلت العقيدة فالتشريع قائم على تأصيل العقيدة الإسلامية،إذ تحدثت في بدايتها عن نفي الريب عن القرآن الكريم ولكنها تحدثت وبشكل أخص عن موضوع الاهتداء بالإضافة إلى حديثها عن الغيب والاعتقاد بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء السابقين،وتحدثت عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين، كما وتحدثت عن بدء الخليقة وتكريم آدم –عليه السلام–، واعتمدت مبدأ القصص وضرب الأمثلة.(١)

الشاهد أن السورة جاءت في بدايتها تتحدث عن نفي الريب عن القرآن الكريم ولكنها تحدثت بشكل أخص عن موضوع الاهتداء وصفات المهتدين المؤمنين به وغير المؤمنين به.

سورة آل عمران: مدنية، تحدثت في بدايتها أيضا عن القرآن الكريم والإيمان به، وموقف الناس منه فذكرت موقف الزائغين وموقف الراسخين في العلم.

وسورة العنكبوت: مكية، وتحدثت بشكل رئيس عن آثار الإيمان وتثبيته خاصة وقت الابتلاء والمحنة.

وسورة الروم: مكية، تحدثت بشكل رئيس عن اليوم الآخر والبعث والجزاء.

سورة لقمان:مكية، تحدثت عن الاهتداء بالقرآن الكريم بشكل رئيسي.

فتأتي سورة السجدة خاتمة للسور المبدوءة ب" آلم"، فتتحدث في بدايتها وبشكل أخص عن نفي الريب عن القرآن الكريم.

---

(١) انظر: الزحيلي، وهبة، التفسير المنير،ج١،ص ٦٨.

وهكذا تتكامل هذه المجموعة مع بعضها بعضا، تبدأ هذا التكامل سورة البقرة في الحديث بنفيها الريب عن القرآن الكريم وحديثها عن الاهتداء والمهتدين، ثم تأتي سورة آل عمران فتسلط الضوء على نقطة تخص تنزيل الكتاب وتثبت أنه الحق من الله ولكنها تركز على موقف الناس منه حيث تقدم لنا نموذج الزائغين الذين يتصيدون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة،ونموذج الراسخين في العلم، فتثبت أن الله عزوجل هو منزل الكتاب وتؤكد على ضرورة الإيمان،وتختم حديثها بدعاء المؤمنين أن يثبتهم الله على الإيمان ولا يزغ قلوبهم، ثم يأتي الحديث عن آثار الإيمان بالله بعد أن ركزت السورتان السابقتان عليه فتأتي سورة العنكبوت مبينة آثاره، وبعد الحديث عن الإيمان وآثاره يأتي الحديث عن الجزاء وعن اليوم الآخر في سورة الروم، ثم لأهمية موضوع إثبات تنزيل القرآن الكريم وهدايته تعاود سورة لقمان التركيز على الاهتداء به لتؤصل عقيدة الإيمان بالكتاب ثم ينتهي طريق"آلم" بسورة السجدة فتأتي لتزيل جميع الشكوك بتركيزها على نفي الريب عن القرآن الكريم بشكل رئيس؛ لتقرر أنه من عند الله تعالى.(١)

وهكذا يتضح هذا الحبل الوثيق من العلاقات المحكمة بين هذه المجموعة من السور يربطها ويجمعها روح وألفة واحدة، كل سورة مكملة للأخرى على نمط واحد بلا تنافر أو تباين.

- صلة سورة السجدة بالسورة التي قبلها (سورة لقمان)

ترتبط سورة السجدة بسورة لقمان من ناحيتين:

١. أنها من زمرة السور المبدوءة ب" آلم" وقد تقدم شرحها.

٢. أن سورة لقمان تسبق سورة السجدة في ترتيبها،فإذا كانت تسبقها فلا بد من علاقة وطيدة تربطها مع بعضها، فنظرة فاحصة في سورة لقمان تبين أن السورتين مرتبطتان أيما ارتباط ويتضح ذلك من خلال النقاط الآتية:

أ). اشتمال كل منهما على دلائل الوحدانية والتوحيد. قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان: ١٠).

---

(١) انظر: حوى، الأساس في التفسير، بتصرف.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٤ – ٥).

ب). ذكرت سورة لقمان إثبات الحكمة لله تعالى كونه المنزل للقرآن الكريم، وأنه مختص بعلم المفاتيح وأنه يعلم دقيق الأشياء وجليلها، وأجل ما يعلم هو إنزال القرآن الكريم فانتهت سورة لقمان بذكر اختصاص الله بعلم المفاتيح وبدأت سورة السجدة بأن أجل ما يعلم هو إنزال الله للكتاب﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢).[١]

ج).ومن أوجه الاتصال بين السورتين: أن سورة السجدة شرح لبعض مفاتيح الغيب التي ذكرت في خاتمة سورة لقمان[٢].

فقوله تعالى من سورة السجدة:﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥).

شرح لقوله تعالي من سورة لقمان:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقوله تعالى في سورة السجدة:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧).

شرح لقوله تعالى من سورة لقمان: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ (لقمان: ٣٤).

---

(١) انظر: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب السور، ط١،ج ١٥، ص ٢٢٣، وزارة الأوقاف بقطر،سنة ١٤٠٠ _ ١٩٨٠.

(٢)الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تحقيق: علي عبدالباري عطية،ط١،ج ١١، ص ١١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٥.

وقوله تعالى مــن ســورة الــسجدة: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ (السجدة: ٧).

شرح لقوله تعالى من سورة لقمان: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقوله تعالى فــي الــسجدة: ﴿ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١).

شرح لقوله تعــالى مــن ســورة لقمــان: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ (لقمان: ٣٤).

د) ولما أعلم الله تعالى أنه المتفرد بعلم الساعة وإنزال الغيث وأنه يعلم ما فــي الأرحــام، فمــا تقتضيه سورة لقمان من التنبيه بانفراده سبحانه، أتبعها الله تعالى بما يحكم بتسجيل صحة القرآن الكريم وأنـــه مـــن عنـــده ســبحانه، فقــال: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ١ – ٢).(١)

مما سبق" تظهر صلة السورة بما قبلها وهي سورة لقمان من ناحية اشتمال كل منهما على ادلة التوحيد وهو الأصل الأول للعقيدة، وبعد أن ذكر الله تعالى في السورة المتقدمــة الأصــل الثاني وهو الحشر والمعاد، وختم تلك السورة بهذين الأصلين بدأ هذه الــسورة ببيــان الأصــل الثالث وهو الرسالة.."(٢).

– صلة سورة السجدة بما بعدها (سورة الأحزاب)

تتضح صلة سورة السجدة بسورة الأحزاب التي بعدها في وجود التــشابه بــين خاتمــة السجدة وبداية الأحزاب فسورة السجدة تنتهي بأمر النبي –صلى الله عليه وسلم – بــالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، وسورة الأحزاب بدئت بأمر النبي –صلى الله عليــه وســلم– بالتقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي والتوكل عليه سبحانه.

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر، ج ١٥، ص ٢٢٥– ٢٢٦.
(٢)الزحيلي، وهبة، النفسير المنير، ج ٢١، ص ١٨٢.

"لما ختمت التي قبلها بالإعراض عن الكافرين وانتظار ما يحكم به فيهم رب العالمين، بعد تحقيق ان تنزيل الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله، والنهي عن الشك في لقائه، افتتح هــذه بالأمر... والنهي عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو متساترين والأمر باتباع الوحي الــذي أعظمه الكتاب تنبيها على أن الإعراض إنما يكون طاعة لله مع مراعاة تقواه"[١].

- صلة سورة السجدة بسورتي الإنسان والملك

الواضح من الأحاديث التي وردت في فضل سورة السجدة أن ثمة صلة بينها وبين سورة الإنسان وسورة الملك كيف لا؟ والنبي –صلى الله عليه وسلم –كان يعمد إلى قــراءة ســورتي السجدة والإنسان في فجر الجمعة وكان يختم ليله بسورتي السجدة والملك –كما ثبت في الحديث السابق–، وقراءة متأنية للسور الثلاث تتضح من خلالها مدى هذ الصلة وعمق العلاقــة بينهــا والتي تتلخص في الآتي:

- صلة سورة السجدة بسورة الإنسان

وتكمن صلة ســورة الــسجدة بــسورة الإنــسان أن كــلا الــسورتين تعــرض حيــاة الإنسان،وأستطيع القول أن سورة السجدة بدأت الحديث عن الإنسان فاتحــة الطريــق لــسورة الإنسان كي تكمله وتضع بصمتها الخاصة على هذا الطريق، فسورة السجدة ركزت على بدايــة الإنسان ونهايته، فبينت بدايته وأصله، فعند بدايته كشفت أن أصله من ماء ضعيف، ومادته التي خلق منها هي الطين، فسورة السجدة بحديثها عن الإنسان سهّلت ويسرت ومهّدت الطريق لسورة الإنسان لتذكر الثانية في بدايتها أن الإنسان لم يكن شيئا مذكورا، كما و ركزت على أن الإنسان في أصله عبارة عن اختلاط ماء الرجل بماء المرأة وهي ما عبرت عنه تعبيرا مختلفا عن سورة السجدة وهو" الأمشاج".

كما وأشارت سورة السجدة لسنن الله الكونية وإرادته سبحانه ومشيئته الشاملة، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة: ١٣).

في حين أشارت سورة الإنسان أن الإنسان له الحرية والاختيار بأن يسلك الطريق الــذي يريد فإما أن يحق الحق ويتبعه، وإما أن يختار الباطل ويتبعه.وفي هذا تكامــل واضــح بــين السورتين حتى إذا ما قرأ المرء سورة السجدة ومرت معه الآية التــي أشــارت إلــى إرادة الله

---

(١)البقاعي، نظم الدرر،ج ١٥، ص ٢٧٣.

المطلقة يلتبس عليه الأمر فتأتي سورة الإنسان لتبدد هذا اللبس وتقول له: أنت من يختار فإما خيرا وإما شرا.:﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان: ٣).

وتأتي سورة السجدة لتؤكد أن نهاية ومصير الإنسان الى الموت ليعيش حياة أخرى إما نعيما وإما جحيما، والقارىء لسورة الإنسان يجد هذا واضحاً فقد أفاضت السورة في بيان ما أُعدّ للكافرين من جزاء، وما أُعدّ للمتقين والمؤمنين من نعيم. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (الإنسان: ٤ – ٥).

وتتلخص صلة السورتين أن سورة السجدة كانت مسهلة وممهّدة لسورة الإنسان في أن تبدأ حديثها عن الإنسان ذاكرة بدء خلقه ثم بيان الجزاء المترتب على اختياره لطريقه.

بقي في هذا المحور أن أجيب على سؤال سابق وهو لماذا خص النبي –صلى الله عليه وسلم–قراءة هاتين السورتين في فجر الجمعة؟

ولعل الإجابة تكون أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يذكر المسلم بحياته كاملة و– التي تلخصها هاتين السورتين – في بداية اليوم الذي خلق فيه فكما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم أن الله تعالى خلق آدم –عليه السلام– يوم الجمعة فقال:" أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا».[(١)]

فيبدو– والله أعلم – أن النبي –صلى الله عليه وسلم – أراد أن يذكّر المسلم بقصة حياته وموته وبعثه ومصيره بين الثواب والعقاب، حتى يبدأ يومه و نهاره، وحياته ماثلة أمام ناظريه.فلأن يوم الجمعة كان فيه خلق آدم –عليه السلام– وهو اليوم الذي أُدخل فيه الى الجنة ومنها أخرج كما هو ظاهر من الحديث، وهاتان السورتان تعرضان قصة الإنسان، كان الجمع بينهما في فجر الجمعة وإن لم يكن هذا لزاما – والله تعالى أعلم–.

"...إذن فقراءة النبي –صلى الله عليه وسلم– للسورتين ليلة عيد المصلين هو ذكرى أسبوعية للمؤمنين تذكرهم بالحياة الإنسانية بدئها ونهايتها وجزائها...".[(٢)]

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٥٤ ج٢،ص ٥٨٥.

(٢)عقيلان، أحمد فرح، من لطائف التفسير، ط١، ج٣، ص ١١٦، دار اليقين ودر القبلتين، مصر، سنة ١٤١٩_١٩٩٨.

- صلة سورة السجدة بسورة الملك

اعتنت سورة الملك بمسائل العقيدة منها إثبات وجود الله وعظمته وقدرته على كل شيء، وهذه المسائل تشترك فيها مع سورة السجدة وإن كانت سورة الملك قد عرضت أدلة مغايرة لما مر في سورة السجدة من ذلك: خلق الله تعالى السبع السماوات وما زينها من كواكب ونجوم مضئية، فقد أشارت إلى إشارات لم ترد في سورة السجدة،فهي تثبت وجود الله تعالى ووحدانيته ببيان مظاهر علمه وقدرته، وإنذار بأهوال القيامة، وتذكير بنعم الله على عباده، وربط الرزق بالسعي في الأرض ثم التوكل على الله تعالى.(١)

فتتحد السورتان في بيان هذه المسائل ولكل واحدة ادلتها على كل مسألة، وأكثر ما يبرز الصلة بين السورتين أن سورة الملك بينت الحياة الإنسانية ذلك أن الله عزوجل قد خلق الموت والحياة ليختبر الإنسان ويمتحنه، فتركز على أن الله سيبعث الإنسانية ليحاسبهم على أعمالهم، فهذه المعاني العظيمة والجليلة تحتاج لها النفس البشرية في كل يوم بل في كل ساعة ودقيقة حتى لا تغفل عنها، لتعيش وتتفيأ ظلالها، ومن اجل ذلك كانت الحاجة لتذكيرها بها في كل ليلة، ومن هنا يتضح السبب -والله أعلم -الذي دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- لقراءة السورتين الكريميتين في كل ليلة، فما تحملان من بناء راسخ قوامه أصول العقيدة، بما فيهما من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره،كان كفيلا لأن يختم المسلم يومه بهما لكي يراجع نفسه ويضع الهدف من حياته نصب عينيه.

٦. المعنى الإجمالي للسورة

وتتلخص المسائل التي تعالجها سورة السجدة بما يلي:

١. بيان النبوة وتنزيل القرآن الكريم، وأنه من عند الله عزوجل، والرد على المشركين الذين أثاروا الشكوك في ذلك.(٢)

٢. إقامة الأدلة على وحدانية الله ووجوده وقدرته.(٣)

٣. التأكيد على مسألة البعث والرد على المشركين الذين أنكرو ذلك رداً مفحما(٤).

---

(١)الزحيلي، وهبة، التفسير المنير،ج٢٦، ص٦.

(٢)انظر: مجموعة أساتذة من التفسير،التفسير الميسر،ط٢،ص ٤١٥،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،سنة ١٤٣٠_٢٠٠٩.

(٣)انظر، الزحيلي، وهبة بن مصطفى،التفسير الوسيط، ج٣،ص٢٠٤٢.

(٤)انظر: الصابوني، محمد علي،مختصر تفسير ابن كثير،ط ٧،ص ٧٣،دار القرآن الكريم _بيروت، سنة ١٤٠٢_١٩٨١

٤. بيان صفات وحال وجزاء المؤمنين، ومقارنته بحال وجزاء الفاسقين والإشارة إلى منزلة كل منهما يوم القيامة.(١)

٥. توضيح الصلة بين رسالة موسى –عليه السلام–ورسالة محمد –صلى الله عليه وسلم.(٢)

٦. التأكيد على التوحيد وقدرة الله –عزوجل–على البعث.(٣)

فهذه هي المسائل الرئيسية التي تحدث عنها السورة وبهذه الوقفات السريعة مع ملامح السورة الكريمة أشرع الآن إلى تفصيل هذه المسائل والوقوف معها ملياً.

(١)السعدي،عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ط١،ص ٦٥٥، تحقيق:عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠_٢٠٠٠م.
(٢)انظر: المصدر السابقة.
(٣)انظر: المصدر السابقة.

الفصل الأول

مسائل الإيمان باالله تعالى في سورة السجدة

المبحث الأول: الإيمان والفسق في سورة السجدة

المطلب الأول: الإيمان كما ورد في سورة السجدة.

المطلب الثاني: الفسق كما ورد في سورة السجدة.

المبحث الثاني: وجود الله وأدلته في سورة السجدة:

المطلب الأول: خلق السماوات والأرض.

المطلب الثاني: خلق الإنسان وأصله.

المطلب الثالث: سَوْق الماء إلى الأرض الجرز.

المطلب الرابع: إحسان الخلق وإتقانه.

المبحث الثالث: أسماء الله وصفاته الواردة في سورة السجدة:

المطلب الأول: مدخل إلى المبحث.

المطلب الثاني: أسماء الله الورادة في السورة.

المطلب الثالث: صفات الله المتعلقة بالقضاء والقدر.

المطلب الرابع: الصفات الذاتية.

المطب الخامس: الصفات الخبرية.

الفصل الأول

مسائل الإيمان بالله تعالى في سورة السجدة

المطلب الأول: الإيمان كما ورد في سورة السجدة

خلق الله البشر لأجل توحيده وعبادته، قال تعـــالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، لذلك فقد هيأ سبحانه كل ما في الكون و سخره لمصلحة الإنسان. و من رحمته أنه لم يتركه بلا إرشاد لطريق الحق فنجده قد بعث الرسل و الأنبياء، و أنزل معهـــم الكتـــب ذلك أنّ العبادة لا تكون إلا وفق منهج الله عز وجل الذي رسمه لأنبيائه و رسله لذا كان الأساس الأول لهذا المنهج هو الإيمان بالله تعالى.

فالإيمان هو الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، و هو ميدان الصراع بين الحق و الباطـــل، وقد أوذي وفُتن من أجله المؤمنون، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت: ١ – ٢).

والإيمان بالله وحده لا شريك له وإفراده بالعبادة هو الأصل الأصيل الذي من أجله خلـــق الله السماوات و الأرض، و خلق الجنة و النار، و بعث الأنبياء و الرسل. قـــال تعـــالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٢٥).

و الإيمان ضمان للثبات في مواقف الامتحان و به يميز الخبيث من الطيب. قال تعـــالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

فلا عجب لكل الأسباب السابقة و أكثر أن نجد القرآن الكريم يركز على مسألة الإيمـــان، فقراءة تدبرية للقرآن الكريم تجلّي لنا هذا الأمر، فالقرآن الكريم لم يُعنَ بقضية كما عُني بقضية الإيمان بالله تعالى بل إن هذه القضية تسري في الآيات كما يسري الدم في العروق.

ولا عجب أيضاً أن تكون مسألة الإيمان من المسائل العظيمة التي أخذت جلّ اهتمام أهل العلم وأن يكون أول خلاف وقع في هذه الأمة كان في مسألة الإيمان(١) كما سيأتي بيانه فيما بعد.

و قبل أن أشرع في الحديث عن الجزئية التي تطرقت لها سورة السجدة في مسألة الإيمان يجدر بي أن أقف مع بعض المسائل المتعلقة بالإيمان من حيث معناه و حقيقته و زيادته ونقصانه.

أولاً: تعريف الإيمان

١. الإيمان لغةً

جاء في معجم مقاييس في تعريف كلمة الإيمان ما نصّه:

"أَمَنَ: الهمزة و الميم و النون أصلان متقاربان أحدهما: الأمانة التي ضد الخيانة و معناها سكون القلب و الآخر التصديق.

والمعنيان كما قلنا متدانيان... و أما التصديق فقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ (يوسف:١٧) أي: مصدق لنا"(٢).

فكلمة الإيمان مشتقة من الجذر الثلاثي آمَنَ:" الأمان و الأمانة للمعنى و قد آمنتُ فأنا آمن، و الإيمان: ضد الكفر، و الإيمان بمعنى التصديق و ضده التكذيب، فيقال آمن به قوم و كذب به قوم".(٣)

وتعني في اللغة الوثوق(٤).

وعرّف الراغب الأصفهاني الإيمان فقال:"الإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد – عليه الصلاة والسلام – وعلى ذلك:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ (المائدة: ٦٩) ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله و بنبوته"(٥).

---

(١)انظر: البنعلي، أحمد بن حجر آل بوطامي، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، ط١،ج١،ص ٤٠٠، دار الكتب القطرية،سنة ١٤١٥هـ_١٩٩٤.

(٢)ابن فارس، أحمد القزويني الرازي،معجم مقاييس اللغة،ج١،ص ١٣٥.

(٣) ابن منظور،لسان العرب،ج ١٣،ص ٢١.

(٤)انظر: مجمع اللغة العربية،(ابراهيم مصطفى،وأحمد الزيات،و حامد عبدالقادر، ومحمد النجار)،المعجم الوسيط، ج١ ص ٢٨، دار الدعوة.

(٥)الراغب الأصفهاني، المفردات،ج١، ص ٩١.

٢. الإيمان اصطلاحاً

عرّف ابن تيمية[١] الإيمان فقال:" الدين و الإيمان قول وعمل، قول القلب بالجوارح، و لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث"[٢].

وعرّفه الآجرّي[٣]:"الإيمان: تصديق بالقلب و إقرار باللسان و عمل بالجوارح، و لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث".[٤]

وإذا أطلق الإيمان مفرداً غير مقترن بلفظ الإسلام فإنه يراد به الدين كله كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(البقرة: ٢٥٧).

و إذا ذكر مقروناً بلفظ الإسلام فإنه يقصد به الاعتقادات الباطنة كقوله تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾(البقرة: ٢٥).[٥]

فالكلمتان بينهما عموم و خصوص، و أنهما اذا اجتمعا افترقا، و إذا افترقا اجتمعا.

وقال اللالكائي[٦]:"و قال الزهري: الإيمان العمل و الإسلام الكلمة"[٧]

(١) ابن تيمية: الشيخ الإمام عالم حران و خطيبها فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن المعتز بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي، ولد سنة (٦٦١ هـ)بحران، صاحب الديوان و الخطب و التفسير الكبير و الفتاوى،ومنهاج أهل السنة، تفقه في بغداد توفي في صفر سنة (٧٢٨ هـ) و كان له ثلاثون سنة رحمه الله. انظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، بدون طبعة ج١٦ ص٢١٥،دار الحديث – القاهرة سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٢) هرّاس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية،ط٣،ص ٢٣١،دار الهجرة للنشر و التوزيع – السعودية، سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٣) الآجرّي: الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري صاحب كتاب الشريعة في السنة و الرؤية، و الغرباء، و الأربعين و آداب العلماء و غيرها كان صدوقاً عابداً صاحب سنة و اتباع، مات بمكة سنة ستين و ثلاث مائة و كان من أبناء الثمانين انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ج١٢، ص٢١١.

(٤) لآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، الشريعة ط٢، ج٢ ص٦١١ تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميمي، دار الوطن، الرياض سنة ١٤٢هـ – ١٩٩٩م.

(٥) انظر: آل عقدة، هشام بن عبد القادر، مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى سلم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ آل حكمي، ص١٨٠، مكتبة الوادي، جدة، بدون سنة.

(٦) اللالكائي: الإمام المجود، المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي، كان حافظاً، توفي سنة ٤١٨هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٣، ص ١٣٦.

(٧) اللالكائي،أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة ط٨،ج٤، ص ٨٩٢، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، السعودية، سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

ومن خلال المعنى اللغوي و الاصطلاحي أخلُص إلى أن الإيمان: تصديق القلب و اقرار اللسان و عمل الجوارح.[١].

ثانياً: حقيقة الإيمان

و تتلخص حقيقة الإيمان بما يأتي:

أ–الإيمان: قول باللسان و تصديق بالجنان (القلب) و عمل بالجوارح و الأركان. ومعنى هذه الاركان كالآتي:

١–قول باللسان: و يعني النطق بالشهادتين بأن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و الإقرار بهما.

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ (فصلت:٣٠) و قوله – صلى الله عليه و سلم – فيما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم –:" الإيمان بضع و سبعون – أو بضع و ستون – شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و الحياء شعبة من الإيمان"[٢].

٢–التصديق بالجنان (القلب): و يعني يقين القلب وتصديقه، ودليله من القرآن الكريم: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ (الحجرات: ١٤) و قال تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ (الحجرات: ٧).

ومن السنة ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: أن النبي – صلى الله عليه و سلم – و معاذ رديفه على الرحل، قال:" يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله و سعديك ثلاثاً، قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرّمه الله على النار"[٣].

---

(١) انظر: ابن بطة، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن حمدان العكبري، (ت: ٣٨٧هـ)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة، ط١، ج٢، ص ١٧٦١، تحقيق: رضا معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، سنة ١٤٠٩هـ_ ١٩٨٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم ٣٥، ج١، ص ٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، حديث رقم ١٢٨، ج١، ص ٣٧.

٣- العمل بالأركان و الجوارح: و المقصود في ذلك بعد النطق و الإقرار بالتوحيد يجب ترجمة ذلك كله إلى عمل قوامه أركان الإسلام من إقامة الصلاة و ايتاء الزكاة و حج البيت وصوم رمضان... إلى غير ذلك من الأعمال التي تترجم حقيقة الإيمان الذي صدق به القلب ونطق به اللسان.(١)

وفي هذه الجزئية من تعريف الإيمان ظهر خلاف بين كثير من الفرق الإسلامية خلاصته السؤال التالي:

- هل العمل من الإيمان؟ و ركن من أركانه؟ أم أنه خارج عن حقيقته؟ و تباينت آراء الفرق في ذلك، وقبل أن أعرض هذه الآراء لا بد من القول في هذا المقام بأن الإسلام حرص على وحدة عقيدة المسلمين،فذمّ الاختلاف وحذّر من عواقبه، وذكر ذلك في العديد من الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(آل عمران: ١٠٣)، ولا شك بأن الاختلاف الذي نهت عنه الآيات هو ذلك الاختلاف والافتراق في الأصول العقدية أو في ركن من أركان الإيمان، أو ما كان في أمر فيه نص صريح، أما الاختلاف الذي يتدرج تحت باب الاجتهاد وهو ما كان في الفروع والأحكام فهو اختلاف محمود لا يقود إلى تنازع وتفرّق وتشت. ولم يظهر أي شكل من الاختلاف المذموم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم - ولا حتى في أيام أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما -، وإنّ كل خلاف ظهر فهو خلاف غير مذموم سرعان ما يُحسم، فلم يحدث أي افتراق في أصول الدين، وحدث خلاف بعد موته -صلى الله عليه وسلم - حول موضع دفنه -عليه السلام -، فأراد المهاجرون رده إلى مكة لأنها مسقط رأسه وموطن أهله، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته، وحُسم هذا الخلاف حين ذُكر قول الرسول -صلى الله عليه وسلم -:" لما قبض الرسول اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعتً من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما نسيته، قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه " (٢).

(١) انظر: آل عقدة، مختصر معارج القبول، ص ١٨١.
٢. رواه الترمذي في السنن، حديث رقم ١٠١٨، ج٣، ص ٣٢٩.، وذكر المحقق أن الألباني حكم عليه بأنه صحيح.

وظهر خلاف بين المهاجرين والأنصار فيمن يتولى الخلافة والإمامة بعده – صلى الله عليه وسلم –، فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير – أي المهاجرين – وسرعان ما انتهى الخلاف في سقيفة بني ساعدة بالبيعة لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه –، وفي عهده حدث خلاف حول مانعي الزكاة، فحسم الصديق –رضي الله عنه – الخلاف بقوله:" لو منعوني عقالاً مما أعطوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقاتلتهم عليه". وعندما جاء بعده الفاروق – رضي الله عنه – حدث في عهده خلافات في الفروع كميراث الجد مع الإخوة والأخوات والكلالة، ويرها مما لا يؤدي إلى اختلاف في الأصول العقائدية، وهكذا مضت حال المسلمين على الاتفاق في مسائل العقيدة في عهد النبوة ثم في خلافة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وبداية خلافة عثمان – رضي الله عنه –، أما في أواخر خلافته – رضي الله عنه – حدثت أمور أوجبت نوعاً من التفرق، فقام قوم من أهل الفتنة وقتلوه – رضي الله عنه – وكان ممن تولى وترأس وأشعل فتيل هذه الفتنة عبدالله بن سبأ وهو رجل يهودي أظهر الإسلام، وإليه تنسب فرقة السبئية الذين قالوا بألوهية الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – كما ونشر بعضاً من العقائد اليهودية وأخذ يشيع الأكاذيب على الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –، ومن الأسباب التي أدت إلى هذه الفتنة الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية في زمن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وانتقال الخلافة من شخصية ذات طبع شديد إلى شخصية حليمة رؤوفة، فما حدث في عهد سيدنا عثمان – رضي الله عنه – خلّف وراءه ظهور الاختلاف العقدي، وظهور الفرق الإسلامية. فبعد أن اتخذ مثيروا الفتنه الكبرى الأسباب الواهية ذريعة لمهاجمة خليفة المسلمين الثالث فهاجموه وقتلوه بالفعل، وكان قتله رضي الله عنه بداية فتنة الانشقاق والتصدع في صف المسلمين، فبايعت الأكثرية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – على الخلافة، وطالب جمع من الصحابة بدم عثمان بن عفان – رضي الله عنه – منهم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام – رضي الله عنهم –، فبدأت بذلك مواجهات بين المسلمين وكان علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يحاول جمع شمل المسلمين وإخماد شرارة الفتنة التي أوقدها الخارجون على عثمان – رضي الله عنه – فإذا ما خمدت الفتنة اتبع القتلة وأقام عليهم حكم القصاص، ولكن المطالبين بدم عثمان –رضي الله عنه – أصروا على الثأر له وبالأخص معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – فوقعت معركة صفّين وعندما أراد علي ومعاوية – رضي الله عنهما – رأب الصدع وعمل مصالحة بين الصفين ظهر من بين صفوف علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – من رفض ذلك وقالوا: أنّ هذا مخالف للقرآن الكريم وأعلنوا في النهاية العصيان والخروج على علي – رضي الله عنه –

بل وصل بهم الأمر إلى تكفير الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فكانوا هؤلاء البذرة الأولى لفرقة الخوارج التي كونت لنفسها عقيدة وآراء، فظهور الخوارج كفرقة لها عقائد وآراء خاصة كان أول افتراق وقع بين المسلمين(١)،" افتراق الخوارج هو أول افتــراق فـــي تــاريخ المسلمين، وكل الحوادث والنزاعات والاختلافات التي حصلت في عهد أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – لم ينتج عنها افتراق ولا فرق....... ولما قُتل عثمان – رضي الله عنه – وحصلت الفتنة وصارت وقعة الجمل وصفين برزت من خلال ذلك أول فُرْقــة عــن جماعــة المسلمين وإمامهم وهو ظهور الخوارج والشيعة وذلك عام (٣٧ هـ) وما بعدها، وكلا الفرقتين خرجتا من خلال الفتنة وكلاهما من بذور السبئية رغم ما بدا بينهما من تفاوت فـــي الأصـــول والمقولات والمواقف" (٢)، فهذا سبب من الأسباب الرئيسة التي أدت إلـــى اخـــتلاف المـــسلمين وافتراقهم وهناك أسباب أخرى تضافرت لتؤدي في النهاية إلى الفتك بجسد العـــالم الإســـلامي وعقيدة المسلمين(٣) ولولا خشية الإسهاب لذكرتُ تلك العوامل جميعها ولكنّهـــا كلمـــةٌ ســـلّطت الضوء على أنّ هناك أسباباً دعت لاختلاف آراء العلماء وأصحاب الفرق في مـــسائل العقيـــدة ومنها مسألة تعريف الإيمان بالأخص مسألة دخول العمل في حقيقة الإيمان واعتباره ركناً منه أم لا ؟ وأعود لعرض آراء المذاهب في هذه المسألة .

---

(١) انظر: العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ط١،ص٢٥، دار إشبيليا، السعودية، سنة ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٢) العقل، ناصر عبد الكريم، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ص ٢٥.

(٣) ولا بد أن يكون لهذا الاختلاف أسباب وعوامل أخرى غير أحداث الفتنة الكبرى، واختلف البـــاحثون فـــي تحديد هذه الأسباب، فبعضهم أرجعها إلى عوامل داخلية، وبعضهم أرجعها إلى عوامل خارجية لا تمت إلـــى الإسلام بصلة، ولعلّ معظم الباحثين أرجع نشأة هذا الافتراق والاختلاف الذي قاد إلى نشوء الفرق إلى عوامـــل وأسباب داخلية وخارجية. فمن الأسباب الداخلية : العوامل السياسية والتنازع على الإمارة والعـــصبية وظهـــور الجدال العقدي .. إلخ، ومن الأسباب الخارجية : تمثّلت في الأثر اليهودي والنصراني والفارسي والثقافات الوافدة للمجتمع الإسلامي إلى غير ذلك من العوامل والأسباب ولو كان المقام يتسع لتأصـــيل هـــذه المـــسألة المهمـــة والعظيمة لأصّلتها وقعّدتُ لها ولكن يُنظر في هذا الباب كتاب : فؤاد، عبدالفتاح أحمد، الفرق الإسلامية وأولهـــا الإيمانية، بدون طبعة، ج١، ص ٣١ – ٥١، دار الوفاء، الاسكندرية – مصر، بدون سنة، ويُنظر : المعايطـــة، عطاالله بخيت، الفرق الإسلامية وموقف أهل السنة والجماعة منها، ط١، ص ٦٧ – ١٥٢، دار الفاروق، عمان – الأردن، سنة ١٤٣١هـــ – ٢٠١٠ م . فقد ذكر الكتابان أسباب الافتراق العقدي عند المسلمين بشكل مفـــصّل وقسّما الأسباب إلى داخلية وخارجية .

١-مذهب عامة أهل السنة

فقد ذهبوا إلى أن الإيمان: اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح وقالوا بأن معنى الإيمان في اللغة التصديق، وأنه تصديق مخصوص لا يكون في القلب فقط بل يتبع له الانقيـاد والاستسلام. و أكدوا على أن العمل لا يخرج عن دائرة الإيمان، بل هـو جـزء مـن حقيقتـه وماهيته. وأن أجزاء الإيمان مترابطة لا يمكن فصلها عن بعضها بعضاً.(١)

قال الآجري:" اعلموا – رحمنا الله و إياكم – أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمـان واجب على جميع الخلق و هو تصديق بالقلب و إقرار باللسان و عمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تُجزىء المعرفة بالقلب و التصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً و لا تُجزىء معرفة بالقلب و نطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح فإذا كملت فيه هذه الـثلاث الخـصال:كـان مؤمناً.(٢)

واستدلوا على مذهبهم بأدلة من القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة أما مـن القـرآن الكريم فقوله تعـالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:٢-٤) وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥)

وأما من السنة النبوية المطهرة ما أخرجه البخاري عن أبي جمرة في حديث طويل جـاء فيه أن وفد عبد القيس ربيعة قدموا إلى النبي – صلى الله عليه و سلم – فطلبوا مـن النبـي – صلى الله عليه و سلم – أن يخبرهم بأمر فصل يخبرون به قومهم و يدخلون به الجنة فـأمرهم النبي – صلى الله عليه و سلم – بأربع و نهاهم عن أربع... أمرهم بالإيمان بالله وحده، فقـال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده. قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله وإقام الصلاة و ايتاء الزكاة... وصيام رمضان، و أن تعطوا من المغنم الخمس".(٣)

---

(١) انظر: الجلي، أحمد محمد أحمد،العقيدة الإسلامية أركانها وآثارها على الفرد والمجتمع، ص ٣٩٧.
(٢) الآجري، الشريعة، ج٢، ص ٦١١.
(٣) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج١، ص٢٠.

وتعريف ابن تيمية السابق الذكر للإيمان يوضح رأي أصحاب هذا المذهب حيث قال:" من أصول أهل السنة والجماعة. أن الدين والإيمان قول و عمل، قول القلب و اللسان والجوارح".[١]

وهذا مذهب عامة أهل السنة و الجماعة و سائر أهل الحديث و أهل المدينة و أهل الظاهر و جماعة من المتكلمين[٢].

كما و اتفق الخوارج[٣] والمعتزلة[٤] مع أهل السلف وعامة أهل السنة في مفهوم الإيمان و أنه اعتقاد و قول و عمل، و لكنهم اختلفوا في حكم مرتكب الكبيرة، فذهب الخوارج و المعتزلة أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله فأخرجت الخوارج مرتكب الكبيرة من الإيمان والمعتزلة جعلوه في منزلة بين المنزلتين[٥] و سيأتي الوقوف مع هذه المسألة في المطلب الثاني وهو مطلب تعريف الفسق و أحكامه.

٢- مذهب المخالفين

استبعد المخالفون لمذهب السلف و عامة أهل السنة جزئية العمل من تعريفهم للإيمان و اقتصروا على جزئية أو جزئيتين من التعريف على النحو التالي:-

المرجئة: وقالوا بأن الإيمان مجرد معرفة الله تعالى و هذه المعرفة تكون في القلب فقط.[٦]

---

(١) هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص ٢٣١.

(٢) انظر: ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ط١، ص٣٣٢، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة،سنة ١٤٢٦هـ_٢٠٠٥ م.

(٣) الخوارج : هم الذين خرجوا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفين بعد قبول التحكيم ويقال لهم الحرورية نسبة إلى حروراء وهي قرية بظاهر الكوفة نزل بها الخوارج لما خرجوا عن علي رضي الله عنه، ويقال لهم النواصب وهي جمع ناصبي وهو الغالي في بغض علي – رضي الله عنه – .انظر : الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط١، ص ٢١٦، دار الرشاد، سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م .

(٤) المعتزلة : ويسمّون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية ويتلخص مذهبهم بخمسة أصول هي : التوحيد والوعد والوعيد و المنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فرقة نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي واعتمدت على العقل في فهم العقيدة . انظر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بدون طبعة، ص ٣٥، بدون سنة .

(٥) انظر: فؤاد،الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية،ج١، ص ١٨٠_١٨٢.

(٦) المرجئة: سمو بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن النية و القصد و أخروا العمل كله عن الإيمان، انظر الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، بدون طبعة ج١ ص١٨٠، مؤسسة الحلبي، بدون سنة.

الكرامية: والإيمان عندهم مجرد قول اللسان و هذا القول انفردت به هذه الفرقة دون غيرها.[١]

كما ذهب بعض الفقهاء ومنهم الإمام أبو حنيفة[٢] وأصحابه إلى أن الإيمان تصديق القلب و قول اللسان.. وقد أورد الدكتور أحمد الجلي نصاً لأبي معين النسفي يبين منهجهم فقال:" الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق فكل من صدق غيره فيما يخبره يسمى في اللغة مؤمناً به ومؤمنا له قال تعالى مخبراً عن أخوة يوسف – صلوات الله وسلامه عليهم –: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ (يوسف:١٧) أي بمصدق لنا، ثم إن هذا المدلول اللغوي و هو التصديق بالقلب هو حقيقة الإيمان الواجب على العبد حقا لله تعالى وهو أن يصدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما جاء به من عند الله تعالى، فمن أتى بهذا التصديق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار يحتاج إليه ليقف عليه الخلق فيجروا أحكام الإسلام."[٣]

ولكن الخلاف بين هذا الرأي و رأي عامة السلف وأهل السنة كان خلافاً لفظياً، ذلك أنه لا يترتب على هذا الخلاف أي أثر عملي، دام أن كلا الفريقين قد اتفقا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة، كما أن الإمام أبا حنيفة نظر إلى الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع، بينما البقية نظروا إلى حقيقة الإيمان في عرف الشارع، ذلك أن الشارع ضمّ إلى التصديق أوصافاً مثل الصلاة والصوم وغير ذلك[٤].

أضف إلى ذلك أن كلا الفريقين لم يؤيد ما ذهب إليه الخوارج و لا المعتزلة فيما ذهبوا في حكم مرتكب الكبيرة.[٥] – كما سيأتي بيانه –.

كما أنهم اتفقوا على أن العبد لو صدق بالقلب و أقر باللسان و لم يؤد العمل، فإنه يكون عاصياً لله تعالى.[٦]

---

(١) الكرامية: اتباع محمد بن كرام أبو عبد الله، و هو ممن يثبت الصفات و ينتهي فيها إلى التجسيم و التشبيه و هم طوائف، انظر: المصدر السابق، ص١٠٨

(٢) أبوحنيفة: النعمان بن ثابت التيمي، عالم العراق ولد سنة ٨٠هـ عني بطلب الآثار و الفقه و التدقيق في الرأي، توفي ١٥٠هـ و له سبعون سنة، انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٤٠٣.

(٣) الجلي، أحمد، العقيدة الإسلامية، ص ٤٢.

(٤) المصدر السابق،ص ٤٠٣،وانظر: ياسين، محمد نعيم،الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، ط٤، ص ٢٠٤_٢٠٦، جمعية عمال التعاونية

(٥) انظر: فؤاد، الفرق الإسلامية، ص ١٨٠_١٨١.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

وبعد أن ذكرت أقوال العلماء في حقيقة الإيمان، أذكر آراءهم في زيادة الإيمان و نقصانه، فهي مسألة مهمة لا يمكن فصلها عن حقيقة الإيمان.

٢. زيادة الإيمان ونقصانه

و حديثي يبدأ في هذه المسألة بطرح السؤال الآتي:

هل الإيمان يزيد و ينقص؟

و الإجابة على هذا السؤال فيها خلاف أيضاً و سببه الخلاف السابق في حقيقة الإيمان و أستطيع أن ألخص الإجابة بالآتي:

أصحاب المذهب الأول القائل بأن حقيقة الإيمان هي اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، قالوا بأن الإيمان يزيد بالطاعات و ينقص في المعاصي، ذلك أن آيات القرآن الكريم وصحيح السنة وهما صريحان في دلالتهما على ذلك.

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) فالآية صريحة بأن الإيمان قابل للزيادة بالطاعات و النقصان بالمعاصي.[(١)]

ومن السنة المطهرة الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يقول:"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، و ذلك أضعف الإيمان" [(٢)]

وأما أصحاب المذهب الثاني الذي أخرج العمل من دائرة الإيمان، قالوا أن الإيمان لا يزيد و لا ينقص[(٣)]، و هذا نتيجة إخراجهم العمل من حيز الإيمان إذ كيف سيزيد أو ينقص بدون عمل؟!

---

(١) انظر: البدر،عبد الرازق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ط٢،ص ٥٤، دار كنوز إشبيلية،السعودية،سنة ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م.

(٢) أخرجه مسلم،كتاب الإيمان،باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم ٢٠، ج ١، ص ٦٩.

(٣) انظر: فؤاد، الفرق الإسلامية،ج١، ص ١٨١.

وهناك مسألة مرتبطة بحقيقة الإيمان و زيادته و نقصانه و هي مسألة الاستثناء في الإيمان ويعني الاستثناء في الإيمان: أن يجيب من يسأل هل هو مؤمن بصيغة تشعر عدم القطع بذلك. ومن هذه الصيغ: أرجو، إن شاء الله، أو غيرها من الصيغ التي تحتمل تلك [١]

وقد عرض الأستاذ عبد الرازق بن عبد المحسن البدر في كتابه (زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه) هذه المسألة و فصل فيها و قد أجاد – برأيي– و أفاد.

و قد تم حصر أقوال الاختلاف في هذه المسألة بثلاثة:

١. الجواز: أي أن الاستثناء جائز في الإيمان. والذي قال بذلك عامة أهل السنة[٢]

٢.الوجوب. و به قال بعض الكلابية [٣] و بعض اتباع المذاهب.

٣. التحريم. أي أن الاستثناء في الإيمان محرم. و به قال الجهمية[٤] و المرجئة [٥]، والإمام أبو منصور الماتريدي[٦].

وقال المجيزون للاستثناء في الإيمان: أن الإيمان المطلق فعل جميع المأمورات و ترك جميع المحظورات، فإذا قال المرء أنا مؤمن بهذا الاعتبار، و كأنه شهد لنفسه أنه من الأبرار المقربين وكأنه ً زكّى نفسه، وما دام أن الإنسان يخطيء ويصيب فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وكأنه يسأل الله القبول. فمحل الجواز عندهم إذا لم يرد المستثني الشك و إلا فلا، ويجعلون الاستثناء عائد إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور.[٧]

وأما الموجبون للاستثناء في الإيمان قالوا: إن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، و الإنسان يكون عند الله، مؤمناً أو كافراً. واستثناؤهم بمعنى إن شاء الله إيماننا في الأزل، أو إن

---

(١) انظر: البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ص ٤٥٣
(٢) انظر: البنعلي، العقائد السلفية، ج١،ص٤٢٦.
(٣) الكلابية: أصحاب عبد الله بن محمد بن كلاب القطان، من أبرز ما قال: أن أسماء الله و صفاته لذاته، لا هي إلى الله و لا هي غيره، و أنها قائمة بالله و لا يجوز أن تقوم بالصفات صفات. انظر: الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة الفرق و الجماعات، ط١،ص٣٣٠، دار الرشاد، سنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.
(٤)الجهمية: هم الذين قالوا بالجبر و الارجاء و هم اتباع أبي محرز بن صفوان الراسبي.من أبرز ما قالوا: الإنسان لا إرادة له و لا اختيار و لا استطاعة و هو مجبور في كل أفعاله و قالوا أن الإيمان لا يتفاضل به أحد والأنبياء و الناس واحد في ذلك. انظر: الحنفي موسوعة الفرق و الجماعات، ص١٦٨.
(٥) تم التعريف بهم سابقاً.
(٦)أبو منصور الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود،أبو منصور الماتريدي، (٣٣٣هـ _٩٤٤ م)، من أئمة علماء الكلام نُسب إلى ماتريد، من كتبه: التوحيد، أوهام المعتزلة، ومآخذ الشريعة والجدل وغيرها. انظر: الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، ط١٥، ج٧، ص١٩، دار العلم للملايين، سنة ٢٠٠٢م.
(٧)انظر:البنعلي، العقائد السلفية،ج١، ص٤٢٧.

شاء الله موتنا على الإيمان و يسمى هذا الاعتبار الموافاة حتى إن البعض تجاوز ذلك إلى الأعمال الصالحة فإنه يجب أن يقول: صليتُ إن شاء الله.(١)

وأما القائلون بعدم جواز الاستثناء بينوا وجهة نظرهم بأن الاستثناء يقتضي الشك في الإيمان، و قالوا بأن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالخالق، فكما نعلم الشهادتين و نحو ذلك من الأمور المقطوع بها نعلم أنا مؤمنون، فلا معنى للاستثناء لأن الاستثناء يأتي فيما يشك به، و الايمان لا شك فيه.(٢)

هذه هي خلاصة آراؤهم في هذه المسألة، و إن كنت أرى بأن الرأي الأول هو الرأي الوسط بين هذه الآراء.

وبهذا العرض الموجز لتعريف الإيمان و بيان حقيقته أستطيع القول أن الإيمان تصديق

بالجنان وقول باللسان و عمل بالأركان و أن حقيقته تكمن في كونه اعتقاد و قول و عمل. و أنه بطاعة المسلم لربه يزيد و بعصيانه ينقص، و هذه مقدمة لا بد منها للدخول في الحديث عن الإيمان الوارد في سورة السجدة، فبعد أن أصّلتُ بهذه المسألة المهمة بقي أن أبين الجزئية التي تكفلت ببيانها سورة السجدة في مسألة الإيمان. وهي مقابلة صورة المجرمين بصورة المؤمنين وبيان صفات أهل الإيمان و عدم مساواتهم بالكافرين الخارجين عن طاعة الله تعالى.

ثالثاً: مسألة الإيمان كما وردت في السورة

ورد الحديث عن الإيمان بمشتقات لفظته في ثلاثة مواضع من سورة السجدة و هي كالآتي:

١- وردت بصيغة الفعل المضارع كلمة يؤمن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة: ١٥).

٢- وردت بصيغة اسم الفاعل في كلمة (مؤمنا) من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة: ١٨).

---

(١).انظر: البدر، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ص٥٠١.
(٢)انظر: المصادر السابقة.

٣-وردت بصيغة الفعل الماضي المضاف إلى واو الجماعة في كلمة (آمنوا) مـن قولـه تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٩).

و مما يستدعي الوقوف مع مجموعة آيات الإيمان في السورة ما يلي:

١- أن الحديث عن الإيمان في السورة جاء من خلال بيان ذكر صفات أهله فقد عـددت السورة ست صفات من صفاتهم - سيأتي ذكرها بعد قليل -.

جاء طرح السورة لمسألة الإيمان من خلال ذكرعلامات الإيمان و صفات أهله، فالسورة عرّفت الإيمان و بينت حقيقته من خلال ما عرضته من الصفات التي إذا مـا تحلّـى بهـا أي شخص استحق أن تطلق عليه كلمة" مؤمن" و ميّزت من خلاله المؤمنين و الكافرين. و كما هو معلوم أن القرآن الكريم عرض الكثير من صفات المؤمنين و أبرزت آياته الكريمة أهم و أشهر تلك الصفات. وصفات المؤمنين مثبوتة في سور القرآن الكريم، مما يدل على أهميتها، كيف لا؟ و هي ما تميز المؤمن من الكافر.

و "صفات المؤمنين كثيرة في القرآن، توزعت سوراً عديدة و تناولت هذه الـصفات قلـة وكثرة، وتناولت الآيات التي تعرضها قصراً و طولاً".(١)

٢. تحدثت السورة عن صفات المؤمنين بعد أن وضحت الصورة المظلمـة للمجـرمين الذين كفروا بلقائه عز و جل فأنكروا البعث و استبعدوا المعاد و جحدوا قدرة الخالق سـبحانه على إحياء الموتى. قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ (السجدة: ١٠).

فبعد أن ردت آيات السورة على دعواهم المزعومة - إنكـار البعـث - و ذلـك بـأنهم سيموتون و يرجعون بعدها إلى الله، أبرزت الآيات الكريمة الصورة المقابلـة و هـي سـورة الإيمان المشرقة فذكرت بعضاً من صفاتهم.(٢)

ويمكن القول هنا أن الحديث عن الإيمان و أهله جاء بعد بيان حال المجرمين الكافرين في موقف يوم القيامة من ذلة و خزي و خجل و ما يتعرضون له من عذاب شديد، قـال تعـالى:

---

(١) انظر: الخالدي، صلاح عبـد الفتـاح، فـي ظـلال الإيمـان،ط٣، ص ١٨٧، دار القلم،دمـشق، سـنة ١٤١٥_١٩٩٤.

(٢)انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج، ص ٢٨١٢.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ١٢).

٣) صفات أهل الإيمان كما وردت في السورة

ذكرت سورة السجدة ست صفات من صفات أهل الإيمان و هي مرتبة على النحو الآتي:

أ–الإيمان بالآيات القرآنية وآيات الله الكونية، حتى إذا ما وعظوا بها و استمعوا لتلاوة آيات القرآن الكريم و خروا بأعضائهم و جباههم ساجدين لله تذللاً و إقراراً له بالعبودية.

" إشارة إلى الإيمان بالآيات... فإذا ذكر بها خر ساجداً له، يعني انقادت اعضائه له وسبح بحمده، يعني و يحرك لسانه بتنزيهه عن الشرك [(١)] قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة: ١٥).

ب–تنزيه الله عز و جل: والمؤمنون يحركون ألسنتهم بتسبيح الله عزوجل الذي يعني تنزيهه عن كل شرك،بالإضافة إلى حمد الله جل وعلا على آلائه العظيمة فهم يجمعون بين أمرين: التسبيح و الحمد و كأنهم يقولون: سبحان الله و بحمده، سبحان ربي العظيم.[(٢)]

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة: ١٥).

ج– عدم الاستكبار عن طاعة الله: فإذا كانوا قد آمنوا بالله و بكل آياته سواء القرآنية منها أم الكونية، و سجدوا لله تذللاً و خضوعاً و نزهوه و حمدوه فمن البدهي أن يستجيبوا لله طائعين خاشعين من غير استعلاء أو استكبار عن طاعته سبحانه، فهم يستشعرون جلال الله و عظمته و يعرفون قدر أنفسهم لذلك لا يستكبرون عن عبادته و طاعته لعلمهم أن الله عز و جل قد توعد المستكبرين بالاستقرار في نار جهنم.قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦)

---

(١) انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بالفخر الرازي،مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،ط٤، ج ٩،ص ١٤٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت،سنة ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م.

(٢)انظر: الحجازي، محمد محمود،التفسير الواضح، ط ١٠، ج٣،ص٦٦، دار الجيل الجديد،بيروت، سنة ١٤١٣هـ.

و قد أثنى الله عز وجل في السورة على عباده المؤمنين الطائعين المنقادين لله تعالى. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة: ١٥).

د- التهجد و قيام الليل: و من أبرز صفات المؤمنين التي أشارت إليها السورة أنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، فهم يتركون النوم و الاضطجاع على الفرش وينشطون إلى قيام الليل. قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).

والمقصود بالتجافي: التباعد[١] والجنوب: الجوارح والمقصود بالمضاجع: الفرش و هو مكان الضجع: أي الاستلقاء و النوم[٢].

ومعنى الآية: أن تجافي جنوبهم عن المضاجع يتكرر في الليلة الواحدة أي أنهم يكثرون السهر بقيام الليل و الدعاء لله..

هـ- دعاء الله عز وجل: وعندما صدقوا وآمنوا وأقروا بعبوديته- جل وعلا - ونزهوه عن الشرك و النقائص، وحمدوه على نعمه وانقادوا لأوامره دون استكبار فابتعدت جوارحهم عن أماكن نومهم تقرباً لله عز وجل شرعوا بدعائه سبحانه و تعالى خوفاً من عذابه و عقابه و طمعاً برحمته و مغفرته و جزيل ثوابه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).

و- الانفاق في سبيل الله: ومن صفات أهل الإيمان أنهم ينفقون مما آتاهم الله و يقدمون من أموالهم في سبيل الخير و الإحسان مرضاة لله جل و علا، و أمر الانفاق في سبيل الله عظيم ذلك أن العديد من الآيات القرآنية ركزت و أكدت عليه. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٣). و قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران: ١٦-١٧).

(١)انظر مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط،ج١،ص ١٢٨.
(٢)انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات،ج١، ص ١٢٩.

و بهذه الصفة تنهي السورة عرضها لصفات أهل الإيمان فقد عرضت ستاً منها، و وقفة دقيقة و تأملية لهذه الصفات نجدها حلقة متكاملة فيما بينهما و ترجمة فعلية لأركان الإيمان الثلاثة (اعتقاد و قول و فعل) تبدأ هذه الحلقة من صفة الإيمان بالله تعالى، فإذا ما آمن المرء بالله و صدق ذلك قلبه (التصديق بالجنان) يؤمن و يقر بآياته و ينزهه عن كل نقص و كل ما لا يليق به تنزيهاً يقابله تمام المدح (و هذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان و هو القول باللسان) و من ثم ينقاد لأوامره و يهرع لطاعة ربه بأداء الفروض و النوافل و ينفق مما آتاه الله و هذا هو الركن الأخير من أركان الإيمان و هو العمل بالجوارح.

فهذا التناسق والتلاحم بين هذه الصفات فالصفة اللاحقة نتيجة لابد منها من سابقتها، كما أن التناسق يترجم حقيقة الإيمان، وعن هذا التناسق و الانسجام و الترابط بين هذه الصفات يقول الدكتور الخالدي:" إن الذي يجمع بين هذه الصفات هو الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة، و التكامل المتناسق للعقيدة الإسلامية و الشريعة الإسلامية و الشخصية الإسلامية". (١)

بقي في مسألة الإيمان جزئية جزاء وثواب أهل الإيمان الوارد في السورة وهذا سأترك الحديث فيه للفصل الثالث من هذه الدارسة والمتعلق بمسائل الإيمان باليوم الآخر في المبحث المخصص لهذا الموضوع وهو مبحث جزاء الأعمال يوم القيامة.

المطلب الثاني: تعريف الفسق وأحكامه

ذكرتُ سابقاً أنّ السورة بينت حال المجرمين و ذلك أنهم أنكروا البعث و لقائه -عز و جل فاستحقوا العذاب الدائم، و قابلت هذه الصورة بصورة المؤمنين الطائعين الذين استحقوا من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر، فلما ذكرت هذين الحالين و هما حال المجرمين في الآخرة و حال المؤمنين المتقين، أتبعت ذلك ببيان قاعدة مهمة و مبدأ ثابت و هو عدم مساواة المجرمين بالمؤمنين أي عدم مساواة الفجار مع الأبرار، و هذا ما يقتضيه عدل الله- جل وعلا -القائم على التمييز بين المؤمن و المجرم.(٢)

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ (السجدة: ١٨).

---

(١)الخالدي، صلاح عبد الفتاح،في ظلال الإيمان، ص ٨٧.

(٢)الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط١، ج٢، ص ٤٦٣، دار الصابوني للطباعة والنشر، سنة ١٤١٧_١٩٩٧.

و من الواضح أنّ آيات سورة السجدة لم تستخدم لفظ الكفر لبيان عدم تساوي المؤمنين بالكافرين، و إنما دلت على ذلك بلفظ آخر هو لفظ الفسق [١] فما معنى الفسق؟ و ما أحكامه و أقسامه؟

أولاً: تعريف الفسق

١- الفسق لغة

ترجع كلمة الفسق في أصلها إلى الجذر الثلاثي (فَسَقَ):

و الفسق يأتي بمعنى: (الترك لأمر الله تعالى و العصيان و الخروج عن طريق الحق [٢] و أصل الفسوق: الخروج عن الاستقامة و الجور و به سمي العاصي فاسقاً. [٣]

إذاً فالفسق و الفسوق مصدر من فسق و معناه في اللغة: العصيان و الترك لأمر الله عز و جل و الخروج عن الطريق و الدين كما في قوله تعالى:" ففسق عن أمر ربه" أي خرج عن طاعة ربه.

و يقال للرُّطبة: فسقت عن قشرها أي خرجت و منه سميت الفأرة فوسيقة: لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها. [٤]

---

(١) ما تجدر الإشارة إليه أنّ السورة الكريمة تحدثت عن الكافرين الجاحدين إلا أنه لم يرد لفظ (الكفر) أوما يدل عليه في السورة إلا في موضعين هما: قال تعالى:" بل هم بلقاء ربهم كافرون " (١٠) و استخدام كلمة الكافرون هنا – برأيي – للدلالة على عظم هذا الأمر و الموضع الثاني قوله تعالى: " قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم و لا هم ينظرون " (٢٩)، و جاء التعبير عن الكافرين أيضاً بدلالة الإجرام قال تعالى:" و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم " (١٢)، و قال تعالى:" إنا من المجرمين منتقمون " (٢٢) أو بلفظ الفسق للدلالة على الكفر، قال تعالى:" أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً " (١٨)، كما سيأتي بيانه في المتن.

(٢)انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:٨١٧)، القاموس المحيط، ط٨،ج١، ص ٩١٨،تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت،سنة ١٤٢٦هـ _٢٠٠٥.

(٣)انظر: ابن الأثير، محمد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، (ت: ٦٠٦ هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر،بدون طبعة، ج٣،ص ٤٤٦، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطنامي، المكتبة العلمية،بيروت،سنة ١٣٩٩هـ_ ١٩٧٩.

(٤)انظر: ابن منظور،لسان العرب، ج١٠، ص ٣٠٨، وانظر: أبو العباس، أحمد بن محمد علي الفيومي، (ت:٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بدون طبعة، ج٢، ص ٤٧٣، المكتبة العلمية،بيروت، بدون سنة.

٢- تعريف الفسق اصطلاحاً

جاءت المعاني التي عرّف بها العلماء معنى الفسق متقاربة، اتفقت جميعها على اطلاق كلمة الفسق على كل خروج عن طاعة الله تعالى و الإيمان.[١]

وتطلق كلمة الفاسق على: الكافر و المنافق لخروجهما عن طاعة الله و على المسلم المرتكب للكبيرة أو المصر على الصغيرة [٢]

جاء في تفسير المحرر الوجيز في تعريف الفسق:" و الفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله عز و جل فقد يقع على من خرج بكفر و على من خرج بعصيان"[٣]

" والفاسق في الشريعة: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة... فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان [٤]. و عرّف البيضاوي[٥] الفسق:"الخروج عن القصد و الفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة و له درجات ثلاثة:

الأولى: التغابي و هو أن يرتكبها أحيانا مُستقبحاً إياها

الثانية: الانهماك و هو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها.

الثالثة: الجحود و هو أن يرتكبها مستصوبا إياها، فإذا شارف هذا المقام و تخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه و لابس الكفر[٦]

---

(١) انظر: العوضي، أحمد، العقيدة الإسلامية عند أهل السنة و الجماعة،بدون طبعة، ص٥١ مؤسسة رام للتكنولوجيا و الكمبيوتر، جامعة مؤتة،٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ م.

(٢) انظر: فوفانا، آدم، الأحكام المترتبة على الفسق في الفقه الإسلامي، بدون طبعة ج١ ص٣٠، مكتبة دار المنهاج، الرياض ٢٠٠٢.

(٣) ابن عطية، أبومحمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي،(ت ٥٤٠هـ)،ط١،ج١،ص١٢،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٢هـ

(٤)الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، (ت:١٢٥٠هـ)،فتح القدير، ط١، ص٦٨، دار بن كثير ودار الكلم الطيّب، دمشق – بيروت، سنة ١٤١٤.

(٥) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي،(ت: ٦٨٥ هـ)،مفسر ولد في المدينة البيضاء (بنادس) ولي قضاء شيراز مدة فرحل إلى تبريو و توفي فيها، من تصانيفه: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، طوالع الأنوار، اللباب في علم الأعراب و غيرها.... انظر الزركلي، الاعلام ج١ ص٢٩.

(٦)البيضاوي،ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي، (ت: ٦٨٥ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، ج١، ص ٦٤، تحقيق: محمد المرعشلي، دارر إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤١٨هـ.

مما سبق يتبين أن المعنى الاصطلاحي للفسق هو:

الخروج عن طاعة الله عز و جل و عن طريق الحق.. و هو عام ذلك أنه شامل للكفر و ما تحته من الذنوب، و أنه يقع بالقليل من الذنوب أو بالكثير. على الرغم من أنه خص أكثر بمرتكب الكبيرة (١).

ثانياً: أقسام الفسق

قُسّم الفسق لعدة أقسام و لعدة اعتبارات فمن بين هذه الاعتبارات أن الفسق أكبر و أصغر (٢)

والأكبر: وهو الكفر، وهو ضد الإيمان فإذا وجد انتفى الإيمان معه سواء أكان اعتقادياً أم عملياً.(٣)

والأصغر: كل معصية لا تخرج صاحبها من الاسلام سواء أكانت اعتقادية أم عملية (٤).

و قد قسم أيضاً إلى:

- فسق مخرج من الاسلام (الملة)
- فسق لا يخرج من الاسلام (الملة).

و لودققنا النظر في هذين التقسيمين لوجدنا أن الاختلاف بينهما شكلي و أنهما في الحقيقة تقسيم واحد: و يمكن الجمع بينهما فتكون أقسام الفسق تبعاً لذلك:

١. فسق اعتقاد يخرج صاحبه من الإسلام.
٢. فسق عملي يخرج صاحبه من الإسلام.
٣. فسق اعتقاد لا يخرج من الإسلام.
٤. فسق عملي لا يخرج من الإسلام.

---

(١)انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ٦٣٦.
(٢) انظر: العوضي، أحمد، العقيدة الاسلامية عند أهل السنة، ص ٥١
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.

وجمع هذه الأقسام ابن القيم [١] فقال:

"... و أما الفسوق فهو كتاب الله نوعان:

مفرد مطلق، و مقرون بالعصيان

و المفرد نوعان: فسوق كفر يخرج صاحبه عن الإسلام و فسوق لا يخرج عن الإسلام[٢].

و فيما يلي أمثلة على كل قسم من أقسام الفسق السابقة:

١- الفسق الاعتقادي المخرج من (الملة): فسق المنافقين زمن النبي – صلى الله عليه و سلم –[٣]، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (التوبة: ٥٣)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٦٧).

٢-الفسق العملي المخرج من الإسلام (الملة): ومثاله إبليس[٤] قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾(الكهف: ٥٠).

والقسم الأول و الثاني هو الغالب في آيات القرآن الكريم[٥] و مثاله كثير في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (الذاريات: ٤٦)

وقوله تعالى عن النصارى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٧).

---

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي، شمس الدين تتلمذ على يد شيخ الاسلام ابن تيمية، و من تصانيفه إعلام المؤمنين، شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل و روضة المحجين و غيرها الكثير، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٥٦.

(٢)ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،، ط٣، ج ١، ص ٣٦٧، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤١٦ هـ _١٩٩٦م.

(٣)انظر: المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٧.

(٤)انظر: المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٧.

(٥)انظر: فوفانا، آدم، الأحكام المترتبة على الفسق في الفقه الإسلامي، ج١، ص ٣٦.

٣- فسق الاعتقاد الذي لا يخرج من الملة: قال ابن القيم عن هذا النوع من الفسق.." و فسق الاعتقاد كصنف أهل البدع الذين يؤمنون بالله و رسوله و اليوم الآخر و يحرمون ما حرم الله و يوجبون ما أوجب الله و لكن ينفون كثيراً مما أثبت الله و رسوله جهلاً و تأويلاً و تقليداً للشيوخ، و يثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك و هؤلاء كالخوارج المارقة وكثيراً من الروافض و القدرية و المعتزلة و الكثير من الجهمية..."(١)

٤- الفسق العملي الذي لا يخرج من الإسلام: و مثاله قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ﴾ (الحجرات:٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ ﴾(البقرة:٢٨٢).

و هذا القسم من الفسق.. الذي لا يخرج من الإسلام و بالتحديد الفسق العملي منه،كان محل خلاف بين كثير من الفرق الإسلامية من حيث تحديد اسمه و حكمه في الدنيا و الآخرة، و هذا ما يطلق عليه (الفاسق الملي) و المشتهر أكثر (مرتكب الكبيرة)(٢) .

---

(١)ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ١، ص ٣٦٩.

(٢)انظر: المصدر السابق، وانظر: فوفانا، آدم، الأحكام المترتبة على الفسق في الفقه الإسلامي،ج ١، ص ٣٦.
اختلفت الفرق الإسلامية في حكم مرتكب الكبيرة على النحو الآتي :

الخوارج : لهم قول واحد في مرتكب الكبيرة وهو أنهم يحكمون بكفره ويُجرون عليه احكام الكافر في الدنيا وأنه في الآخرة وعصاة الموحدين إذا ماتوا ولم يتوبوا في النار خالدين فيها . انظر : العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ص ٨١ . وانظر : الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سالم بن عبدالله،(ت: ٣٢٤هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط١، ص ١٠٩، تحقيق : نعيم زرزور، المكتبة المصرية، ١٤٢٦سنة هـ ٢٠٠٥م .

المرجئة : ما دام أنّ المرجئة يخرجون العمل من دائرة الإيمان – كما مر في المطلب السابق – فقد جاء رأيهم بمرتكب الكبيرة متفق مع قولهم وخلاصته : أن مرتكب الكبيرة مؤمن وارتكاب المعاصي والكبائر لا يؤثر فيه فهو كامل الإيمان . انظر : باعبدالله، محمد باكريم محمد، وسطية اهل السنة بين الفرق، ط١، ص ٣٤٤، دار الراية للنشر والتوزيع، سنة ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م . وانظر : ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد القرطبي الظاهري الأندلسي، (ت: ٤٥٦)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بدون طبعة، ج٤، ص ٣٠٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون سنة

المعتزلة : أخرج المعتزلة مرتكب الكبيرة من دائرة الإيمان ولكنهم لم يدخلوه إلى دائرة الكفر، فقالوا أنه في منزلة بين المنزلتين وسمّوه فاسقاً وحكموا عليه بالدخول في النار والخلود فيها ولكن عذابه يكون دون عذاب الكفار . انظر : القاضي عبدالجبار، أحمد، شرح الأصول الخمسة، بدون طبعة، ص ١٣٧-١٤٧، تحقيق : عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، بدون سنة .

أهل السنة والجماعة : ومذهبهم في هذه المسألة : أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإسلام وقالوا عنه مؤمن فاسق عاص وهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وحكمه في الآخرة : إن مات ولم يتب دخل تحت مشئية الله إن شاء غفر له وإن شاء أدخله النار ولكنه لا يخلّد فيها، انظر : نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط١، ص ٢٥٨ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، سنة ١٤٢١ هـ .

ثالثاً: الفسق كما جاء في السورة

ذكرتُ في بداية حديثي عن الفسق أن السورة قد عرضت صورة المجرمين الكافرين و ثم بينت الصورة المقابلة لهم. و هي صورة المؤمنين الموحديين الطائعين العابدين العاملين.. و بيّنت جزاؤهم و أن لهم كل ما يقر به عيونهم في جنات الخلد فكان لابد من التأكيد على هاتين الصورتين المتقابلتين و أنهما من المحال أن تتساويا، لأن عدل الله عز و جل يقتضي ذلك."و أمام مشهد المجرمين البائس الذليل و مشهد المؤمنين الناعم الكريم يتلخص مبدأ الجزاء العادل الذي يفرق بين المسيئين و المحسنين في الدنيا و الآخرة".[١]

و يوضح قطب في تفسيره السبب في عدم تساوي الفريقين فيقول:" و ما يستوي المؤمنون و الفاسقون في طبيعة و لا شعور و لا سلوك ولاحتى يستووا في الجزاء في الدنيا و الآخرة سواء. و المؤمنون مستقيموا الفطرة متجهون إلى الله، عاملون على منهاجه القويم، والفاسقون منحرفون شاردون مفسدون في الأرض... فلا عجب إذن أن يختلف طريق الإيمان و الفاسقين في الآخرة".[٢]

بقي أن أبين ما المقصود بالفسق الوارد في السورة؟ أهو فسق الكفر؟ أي الفسق المخرج من الإسلام؟ أم الفسق غير المخرج من الإسلام؟ و ما الجزاء الذي يستحقون؟

جاء في تفسير قوله تعالى:" و أما الذين فسقوا...." أن الفاسقين هم:" الخارجون عن الطاعة و عن دائرة الإيمان و الكافر المكذب بوعد الله.

جاء في تفسير الطبري في شرح قوله تعالى:" أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً":

" أفهذا الكافر المكذب بوعد الله و وعيده المخالف أمر الله و نهيه كهذا المؤمن بالله و المقر بوعده و وعيده".[٣]

وعرّف ابن عاشور[٤] الفاسق في هذه الآية بأنه:" من ليس بمؤمن فقال أن المراد: الفسق عن الإيمان الذي هو الشرك".[٥]

وجاء في تفسير نظم الدرر[٦]: أن الفاسقين هم الذين خرجوا عن دائرة الإيمان الذي هو معدن التواضع.

---

(١)قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٢٤، ص ٢٨٣١.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٣١.
(٣)الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٠، ص ١٨٧.
(٤)ابن عاشور: حمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا).ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس. له كتب، منها (شفاء القلب الجريح) في شرح البردة، و (هدية الأريبج) حاشية على القطر لابن هشام، في النحو، و (الغيث الإفريقي) حاشية على عبد الحكيم على المطول.انظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٧٣.
(٥)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ١٦٣.
(٦)انظر: البقاعي، نظم الدرر، ج١٥، ص٢٥٩.

كل التفاسير – والتي وقعت بين يدي – اتفقت على أن الفاسق الوارد في آيـــات ســـورة السجدة هو: الخارج عن الطاعة و أنه فسق الكفر.(١)

وهذا هو ما تدعمه و تؤكده الآية:" و أما الذين فسقوا فمأواهم النار" دل على أن الفـــسق الوارد في السورة هو فسق الكفر ذلك لو أنه الفسق غير المخرج من الإسلام لما خلّد في النـــار فالواضح من الآيات أنه يدخل النار حتى إذا حاول الخروج من العذاب سيُعاد في النار و يخلـــد فيها. وتبقى مسألة جزاء الفاسقين التي سأبينها إن شاء الله تعالى في الفـــصل الثالـــث المتعلـــق بمسائل الإيمان بالآخرة.

و بهذا أنتهي من عرض هاتين المسألتين المهمتين الأساسيتين (الإيمان والفسق في سورة السجدة).

(١)انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٤٥٥، وانظر: الآلوسي، روح المعاني، ج١٢، ص ١٣١، وانظر: حوّى، سعيد، الأساس في التفسير، ج٢، ص ٢٣٦٥.

المبحث الثاني

وجود الله وأدلته في سورة السجدة

الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة هو أصل العقيدة، وهذه المسألة كانت القضية الأولى التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، فلقد قامت كثير من النظريات والفلسفات في التركيز على إثبات وجود خالق للكون، وتباينت العديد من الأدلة والبراهين على ذلك [١]. إلا أن القرآن الكريم فاق كل اهتمام في مسائل العقيدة والإيمان، وذلك بأن جعل العقيدة موضوعه الرئيس. ولكن في عرضه لمسائل العقيدة اهتم بمسألة إثبات وجود الله، وأقام الأدلة على ذلك مثل اهتمامه بقضية التوحيد ونفي الشريك عنه سبحانه وانفراده بالخلق والعبادة ولكن اهتمامه بقضية التوحيد كان أكثر وأوضح.[٢]

والسبب في ذلك أنه يعدُّ هذه المسألة – وجود الله – أمراً فطرياً في النفوس البشرية السليمة وحقيقة بدهية لا تحتاج إلى جدال أو نقاش، فما من إنسان عاقل إلا ويدرك هذه الحقيقة بما أودعه الله تعالى فيه من فطرة يحس بها وتحركه إلى معرفة الله عز وجل.[٣]

فالقرآن الكريم يعدُّ مسألة وجود الله من أوضح البدهيات للعقول السليمة والفطرة المستقيمة. التي لم يفسدها الهوى أو التقليد الأعمى، فقد فطر الله العباد على معرفته وتوحيده وتعظيمه. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن جعل الأدلة والبراهين على وجوده فطرية بدهية أيضا، فهي لوضوحها تدفع الإنسان بالفطرة إلى الإيمان بالله عز وجل.وطريقة عرض القرآن الكريم لهذه الأدلة هي أقوم وأهدى الطرق، وذلك بأن جمعت بين الأدلة النقلية والعقلية معاً، فهي نقلية من جهة ورودها، وعقلية من جهة دلالاتها.[٤].وذلك لأن الله وجهها للفطرة والعقول معاً فهي

---

(١)انظر: عبيدات، عبد الكريم نوفان، أدلة الفلاسفة على وجود الله – دراسة نقدية، مجلة جامعة دمشق، ج ١٩، العدد الاول، ص ٣٦١، سنة ٢٠٠٣.

(٢)انظر: المصدر السابق. وانظرالجلي، العقيدة الاسلامية وأركانها، ص ٨٨.

(٣)انظر: الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، منهج القران الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، ط١،ج١ ص٣٣٥، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، السعودية، سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٤)انظر هراس، محمد خليل، عقيدتنا عقيدة القران والسنة،ط١،ص٢١، دار الكتاب والسنة للنشر الدولي سنة ١٤٢٧ هـ.

تثير الفطرة، وتوجه العقول إلى التدبر بها.لذلك كانت أدلة القرآن الكريم على هذه المسألة أعظم الأدلة وهي التي تصلح لجميع البشر وعلى اختلاف ثقافاتهم وعقولهم.وأعظم دليل يقدمه القرآن الكريم على ذلك هو الدليل الكوني أو الأدلة الكونية، فهو يقدم الكون دليلاً واضحاً لوجـود الله الخالق ويلفت الانتباه والأنظار إلى هذه الأدلة المشاهدة في كل ركن من أركـان هـذا الكـون الرحب.(١)

ومن نماذج هـذه الأدلـة العظيمـة قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤). فقارىء هذه الأدلة في القرآن الكريم يجد أنه نهج منهجاً خـالٍ مـن التكلـف والتعقيد يوصل سالكه إلى المقصود بأسلوب وطريقة أقل مؤونة.

وبما أن سورة السجدة جزء لا يتجزأ من القرآن الكريم وبما أنها من السور المكية التـي عنيت بترسيخ عقائد الإيمان ومنها عقيدة توحيد الله عز وجل، فلقد تضمنت بين آياتها جملة من الأدلة الكونية التي تدل على وجود الله سبحانه وتعالى. ولقد استدلت السورة بما يفهمـه سـائر البشر وتقبله عقولهم وتستجيب له فطرهم ويكون مشاهداً محسوساً لهم بحواسهم حتى ينقلهم من الإيمان بالمشاهد المحسوس إلى الغائب الذي لا تدركه الحواس وهو مدار الإيمان.

وها هي سورة السجدة تقدم أربعة من الأدلة الكونية على وجود الله تعالى لتعمل علـى غـرس العقيدة وتثبيتها في النفوس وهذه الأدلة مرتبة على النحو الآتي:-

١ - خلق السماوات والأرض، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (السجدة: ٤).

---

(١)انظر: المصدر السابق، ص٢٠.

٢ – خلق الانسان وأصله. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ (السجدة: ٧ – ٩).

٣ – سوق الماء. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧).

٤ – إحسان الخلق وإتقانه. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ (السجدة: ٧).

وقد رتبت هذه الأدلة حسب ورودها في السورة إلا دليل إحسان الخلق وإتقانه فإني ارتأيتُ تأخيره وجعله الدليل الرابع لمناسبة الموضوع، فأردت أن أختم هذه الأدلة بدليل إحسان و إتقان خلق هذا الكون الفسيح البديع.

وتجدر الإشارة إلى أن سورة السجدة بدأت بذكر أول دليل على وحدانية الله تعالى، بعد التأكيد على الرسالة وإثبات صحتها فكان لابد للنبي –صلى الله عليه وسلم –بعد ذلك أن يدعو إلى توحيد الله سبحانه لذلك زوده الله بما يحتاج من الأدلة والآيات والبراهين لإتمام مهمته – صلى الله عليه وسلم–في التدليل والتأكيد على أن الذي أنزل الكتاب هو وحده خالق كل شيء.[1]."كما كان الركن الأعظم من أركان هدى الكتاب هو إثبات الوحدانية للإله وإبطال الشرك عَقِبَ الثناء على الكتاب بإثبات هذا الركن".[2]

ومع أول دليل من أدلة وجود الله تعالى في هذه السورة.

المطلب الأول: خلق السماوات والأرض

ها هو الكون يفتح دفتي كتابه لنقرأ في ثنايا صفحاته الكثير فيأخذنا في جولات نرتاد فيها آفاقه الفسيحة، فيهدينا إلى آيات الله عز وجل البديعة، فما أن يتوقف المرء في صفحة من صفحات في أفق السماء، وتجول به أخرى في جنبات الأرض، وتصعد به صفحة أخرى إلى

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير،ج٢١،ص١٨٩.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢١، ص٢١١.

القمر في منازله والنجوم في مداراتها، والشمس في توهجها الدائم، وتنزل بـــه أخـــرى فتريـــه الحقول الغناء والبحار والأنهار الجارية في الأرض، فما أن ينتهي من التفكير في صفحة ويقلبها إلا وتطالعه صفحة أخرى...وهي في كل ذلك تهدف إلى فتح البصائر والأبـــصار،فترينا كيـــف تعمل قدرة الله عزوجل وتهدينا إلى الحكمة من الخلق والإيجاد، وتبين لنا عظيم النعم التي أكرمنا الله بها شارحةً ومفسرةً قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (فصلت:٥٣).

فهذه الصفحات والآيات الكونية تعمل على تثبيت العقيدة في النفوس بما تحتويه من أدلـــة وبراهين، ذلك أنه مما يُثبّت عقيدة المؤمن أن يريه الله –عزوجل –بعض آياته في هذا الكـــون، كما سأل ابراهيم – عليه السلام – ربه أن يريه من آياته ليطمئن قلبـــه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾(البقرة: ٢٦٠).

فمن بين آيات الكون العظيمة آية خلق السماوات والأرض، فلقد دلت السورة الكريمة على أن خلق السماوات والأرض من أعظم الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته وأحقيته بالعبـــادة والتعرف عليه سبحانه، وذلك في آية من آيات هذه الـــسورة المباركـــة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (السجدة: ٤).

ولقد جمعت سورة السجدة بين آيتين من آيات الله تعالى العظمى لتدل بهما على وجـــوده سبحانه وتعالى،إحداهما من الآيات الكونية العلويـــة وهـــي الـــسماء (أو كمـــا وردت بـــالجمع (السماوات)).والثانية من الآيات الكونية السفلية وهي الأرض،وهاتان الآيتان لا تقلّان في الأهمية على آية خلق الانسان – التي سيأتي شرحها لاحقا –. لذلك وجدت أن القرآن الكـــريم يـــصرّح بتفوق آية خلق السماوات والأرض على آية خلق الإنسان. قال تعالى:﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (غافر: ٥٧)(١).

ومن الملفت للنظر أن الآيات الداعية إلى التفكير في خلق السماوات والأرض في القـــرآن الكريم كثيرة جدا. مما يدل على عظم شأنها وأن دلالتها على وجود الله –عز وجل– من أوضح الآيات والدلالات.قال ابن القيم في سياق حديثه عن السماء:" أعظم الآيات في علوها وارتفاعها

---

(١) انظر: العريفي: سعود بن عبد العزيز، الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد، ط١،ص٢٦٥، دار عالم الفوائد، السعودية،سنة ١٤١٩هـ.

وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علواً كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ولا عمد تحتها وعلاقة فوقها. بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق ولا أمت ولا عوج ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو أحسن الألوان وأشدها موافقة للبصر وتقوية له...".(١)

وقال في حديثه عن الأرض وبيان أنها من أعظم آيات الله في هذا الكون:" إذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات الله فاطرها وخالقها سبحانه فتراها مهادا وذللها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأموالهم ومعايشهم وجعل منها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم وأرساها بالجبال فجعلها أوتاداً تحفظها لئلا تميد بهم...(٢).

فالسماوات والأرض مليئة بالآيات البينات والحجج الواضحات التي تهدي الإنسان وتدله على أن وراء هذا الكون خالقا عظيما مدبرا وهو المستحق المتفرد بالعبادة.

أشارت آية سورة السجدة التي تحدثت عن خلق السماوات والأرض إلى أنه سبحانه خلقها في ستة أيام، وهذه الآية الكريمة هي من ضمن سبع آيات في القرآن الكريم فقط أشارت إلى هذه المسألة وهي مدة خلق السماوات والأرض وأن الله عزوجل خلقها في ستة أيام ثم استوى على العرش.

وهذه الآيات هي على النحو التالي:

١- قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (الأعراف: ٥٤).

٢-قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (يونس: ٣).

٣-قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (هود: ٧).

٤-قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (الفرقان: ٥٩).

٥-قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (السجدة: ٤).

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والادارة، بدون طبعة، ج١ ص٢٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة.
(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص٢٠٠.

٦–قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (ق: ٣٨).

٧–قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾.(الحديد: ٤).

وحديث الآية عن هذه الجزئية وهي مدة خلق السماوات والأرض يقتضي الإجابة على الأسئلة التالية:

١ – ما معنى الخلق في قول الله تعالى" الله الذي خلق السماوات والأرض"؟

٢– مقدار هذه الأيام الستة؟

٣ – ما الحكمة من خلق السماوات والأرض في ستة أيام مع أنه سبحانه هو القادر والقائل:﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾.(القمر: ٥٠)

١: معنى الخلق في قول الله تعالى" الله الذي خلق السماوات والأرض"

الخَلق: خَلَقَ الله تعالى وتقدّس الخالق والخلاق. وهي من صفات الله عزوجل ولا تجوز بالالف واللام لغير الله عزوجل.[١]وتعني الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة وهي في لغة العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه.

وأصل الخلق: التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.[٢]

فالخلق في الآية هو الإبداع: أي أن الله تعالى أبدع السماوات والأرض على غير مثال سابق لها. قال تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ١١٧).

---

(١)انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٨٥. وانظر: أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١، ص١٨٠.
(٢)انظر:الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٢٩٦.

٢. طبيعة الأيام الستة الواردة في الآية

ذكرت الآية الكريمة أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واختلف في طبيعتها ومقدارها، فهل هي ستة أيام من أيام الدنيا أم أنها من أيام الآخرة، وأُوجز الإجابة بما يلي:-

أن العلماء اختلفوا في مقدار هذه الأيام الستة على قولين:

أ. قول الجمهور على أنها كأيامنا هذه.(١)

ب. قول ابن عباس(٢)، مجاهد(٣) والضحاك(٤)وكعب الأحبار(٥)والإمام أحمد(٦)أن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون.(٧).

فالجمهور أبقوا الستة أيام على ظاهرها من العددية ومن كونها أياماً باعتبار امتياز اليوم يكون بطلوع الشمس وغروبها." وظاهر الآيات أن الأيام هي المعروفة للناس التي هي جمع اليوم الذي هو مدة تقدر من مبدأ ظهور الشمس في المشرق الى ظهورها في ذلك المكان ثانيةً".(٨)

وأما الرأي القائل بأنها ستة أيام وكل يوم مقداره ألف سنة وذلك لاعتبار قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧).

---

(١)انظر:ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري، (ت:٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية ج١،ص١٦، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، سنة ١٤٠٨هـ_١٩٨٨ م.

(٢)ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي حبر الامة ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة لازم الرسول صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث وله في الصحيحين و غيرهما ١٦٦٠ حديثا وكان آية في الحفظ، حضر مع علي رضي الله عنه صفين والجمل سكن في الطائف وتوفي بها. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٩٥.

(٣)مجاهد بن جبر (٢١-١٠٤هـ) أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي أخذ التفسير عن ابن عباس ويقال أنه مات وهو ساجد. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٧٨.

(٤)ثابت الضحاك بن خليفة الأوسي المدني ابو زيد (٤٥هـ-٦٦٥م)، صحابي ممن بايع تحت الشجرة له أربعة عشر حديثاً. انظر: الزركلي، الأعلام، ٢، ص٩٨.

(٥)كعب الأحبار (٣٢هـ-٦٥٢م)، كعب بن مانع الحميري أبو إسحاق تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر-رضي الله عنه- أخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها عن ١٠٤ سنة. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٢٨.

(٦)أحمد بن حنبل (١٦٤هـ-٢٤١هـ)، أبو عبد الله الشيباني إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة وكان أبوه والي سرخس، ولد في بغداد فنشأ على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كثيرة إلى الكوفة والبصروكمة والمدينة واليمن والشام والمغرب والجزائر وفارس، صنّف المسند والناسخ والمنسوخ، والتفسير، وفضائل الصحابة، والزهد، وابتلي بمحنة خلق القران في أيام المأمون وحبس ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القران، ومما صُنّف في سيرته (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي).انظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٥٣.

(٧)انظر: المصدر السابق، ج١، ص ١٦.

(٨)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ - ب، ص١٦٢.

فتكون الستة أيام عبارة عن ستة الآف من السنين.

ولعل سائل يسأل أن الآية الخامسة من السورة ذكرت أن مقدار اليوم ألف سنة مما تعدون: فأقول:أن هذه الآيات:﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥). أشارت إلى تدبير الأمور من السماء ألى الأرض أي أن الله يدبر أمر الكون كله في العالم السفلي والعلوي ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم مقداره ما لو كان من عمل الناس لكان حصول مثله في ألف سنة.والذي يظهر أن هذا اليوم هو يوم القيامة وهو عظيم طوله ألف سنة من أيام الدنيا لشدة أهواله فإذا كان اليوم في هذه الآية الخامسة هو يوم القيامة زال اللبس في المسألة.

أعود إلى مقدار الأيام الستة، فالواضح فيما سبق أنهم مختلفون في ذلك، ولا يوجد ما يقطع أنه يوم من أيام الدنيا أو يوم من أيام الآخرة، وبرأيي أيا كان المقدار فالمقصود قد يقع بالمعنيين: فقد يكون يوما من أيام الدنيا لأن ذلك ليس على الله بعزيز والله قادر أن يخلقها بلمح البصر.ويحتمل أن يكون يوما من أيام الآخرة ذلك أن حقيقة اليوم بمعناه: (مدة تقدر من مبدأ ظهور الشمس في المشرق إلى ظهورها في ذلك المكان ثانية لم يتحقق الا بعد تمام خلق السماء والارض." [١]

وبرأيي لو كان مقدار الأيام الستة هو المقصود من الآية لذكرته والهدف والغرض هوإعلام المشركين بعظيم قدرة الله فواضح من الآية أنهم لم يكونوا يعلموا ذلك، فيترتب عليه زيادة سفورهم بالضلال في إشراك غير الله في الربوبية والألوهية.

وأدعم لرأيي بقول صاحب الظلال في تفسيره لآية:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ (الأعراف: ٥٤).

"...إنها قد تكون ست مراحل وقد تكون ستة أطوار وقد تكون ستة أيام من أيام الله التي لا تقاس بمقياس زماننا الناشيء من قيادة حركة الأجرام التي نقيس نحن بحركتها الزمان، وقد تكون شيئاً اخر.فلا يجزم أحد ماذا يعني هذا العدد على وجه التحديد..."[٢].

(١) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٤٦١.
(٢)قطب، الظلال، ج٣، ص ١٢٩٦-١٢٩٧.

وقال أيضاً: "فأما الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض فهي كذلك غيب لم يشهده أحد من البشر ولا من خلق الله جميعاً"، ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ ٥١ (الكهف: ٥١) وكل ما يقال عنها لا يستند الى أصل متيقن"[١]

٣. ما الحكمة من خلق السماوات والأرض في ستة أيام مع أنه سبحانه هو القادر والقائل: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾. (القمر: ٥٠)

خلق الله السماوات والأرض مدرجة مع القدرة على إيجادها دفعة واحدة وفي ذلك حث على التأني في الأمور[٢]، وأن الله قد جعل لكل شيء أجلاً معلوماً مقدراً.

قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾صدق الله (الأنبياء: ٣٧)

وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾. (الاسراء: ١١)

وكأن الله –عزوجل– يُوصل رسالة للإنسان قائلا له: تمهل فربك القادر على أن يخلق أعظم آية تدل على وجوده – هي السماوات العظيمة والأرض بأمر واحد وهو قول كُن، خلقها في ستة أيام فما بالك أيها الإنسان.؟

" وفي خلقه سبحانه الأشياء مدرجاً للخلق..التثبت والتأني في الأمور......."[٣]

ويجيب ابن الجوزي عن هذه المسألة فيطرح أسباباً منها:

" ١–أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمر تستعظمه الملائكة ومن يشاهده.

٢– أن التثبت في تمهيد ما خُلق لآدم وذريته قبل وجوده أبلغ في تعظيمه عند الملائكة.

٣– أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قوله كن فيكون.

---

(١)المصدر السابق،ص١٢٩٦.

(٢)انظر: البيضاوي،أنوار التنزيل واسرار التاويل،،ج٣،ص١٦، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب،ج٤،ص٢٥٧. وانظر: أبو السعود،محمد بن مصطفى العمادي،(ت: ٩٨٢)، بدون طبعة،ج٧، ص٨٠، دار احياء التراث، بيروت،بدون سنة.

(٣)الآلوسي، روح المعاني، ج٤،ص٣٧٣.

٤-أنه علّم عباده التثبت"[١].

وهكذا أنتهي من عرض أول دليل من أدلة وجود الله تعالى في سورة السجدة،الذي ذكرت فيه ما ناقشته سورة السجدة من جزئيات في هذه المسألة.

المطلب الثاني: خلق الإنسان وأصله

بعد أن وقفت مع صفحة من صفحات الكون البديعة الدالة على وجود الله و المبثوثة في الآفاق أقف مع صفحة ثانية من صفحات هذا الكون الرحب، ومع دلائل وبراهين الأنفس، فمما يستدعي الإنسان إلى التفكر والنظر،أن يتفكر في ذاته، فأعظم جولة يتجولها الإنسان هي التي يدخل بها إلى نفسه ليكتشف خباياها فيفتح بذلك أبواب المعرفة الخاصة به، فلو بقي جاهلاً بتاريخه وبداية حياته وقصته وأصله، قد ينقلب ذلك عليه فيصبح عدواً لنفسه، فآية الأنفس..وآية خلق الإنسان هي من أكبر البراهين الكونية الواضحة التي تتجلى بها وحدانية الله تعالى وقدرته.

ومما يستدعي الانتباه ويشد التفكير هو الاهتمام الواضح للقرآن الكريم بمسألة خلق الإنسان تشير الكثير من الآيات القرآنية إلى قيمة التدبر والبحث والتنقيب عن أسرار الحياة وبداية الخلق، قال تعالى:﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾صدق الله (العنكبوت: ٢٠). وقال تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾.(الطارق: ٥)

فالآية تأمر الإنسان بالتفكر في خلقه لا مجرد إلقاء نظر، بل يجب أن يبحث في هذا الأمرليتبين خبايا وأسرار هذا الدليل الذي يعرّف بالله ويدل على وجوده سبحانه وتعالى.[٢] وفي هذا الشأن قال الإمام الأشعري[٣] قولاً عن التفكر في الإنسان وخلقه وقد أور قوله الشهرستاني في كتابه الملل والنِحل:" الإنسان إذا فكر في خلقه من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن له يد في خلقه وينقله من درجة إلى درجة ويرقيه من نقص إلى كمال وعلم بالضرورة أنه لم يكن صانعاً قادراً عالماً

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٢،ص١٢٨.

(٢)انظر: طيرة، عبد الفتاح محمد، خلق الإنسان دراسة علمية قرآنية،بدون طبعة،ج١ ص١٤-١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٨.

(٣)أبو الحسن الأشعري: علي بن اسماعيل بن اسحق أبو الحسن، من نسل أبي موسى الأشعري، كان من الأئمة المتكلمين المعتمدين، ولد في البصرة وكان على مذهب المعتزلة ولكن رجع عنه، من كتبه مقالات الاسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. انظر: الزركلي، الأعلام ج٤، ص ٢٦٣.

فريداً،وإذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختبار في الفطـــرة أو تبين آثار الإحكام والإتقان في الخلقة....".[١]

ومما يوجب الانتباه والتفكير ملياً، وهو ذلك الاهتمام الكبير للقرآن الكريم في المادة التـــي خلق منها الإنسان وهذا يتبين من خلال تعدد الآيات الواردة في هذه المسألة، والتي تعددت تبعاً لذلك المفردات والمصطلحات التي تم التعبير بها عن تلك المادة التي خلق الله منها الانسان. فقد عبر القرآن الكريم عن هذه المادة بأسماء مختلفة منها:-

الأرض: قـــــال تعـــــالى:﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢)

التراب: قال تعـــالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩).

والصلصال[٢] قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾.(الرحمن: ١٤)

والحمأ [٣] قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر: ٢٦).

وعبر عنها أيضا بكلمة الطين و التعبير بهذا المصطلح هو ما يهمني هنا، ذلك أن ســورة السجدة في ثلاث آيات من آياتها تحدثت عن موضوع خلق الإنسان، وبيان أصله وكيف بدأ خلقه وكيف أن الله تعالى قد أحسن خلقه وأكرمه بالسمع والبصر والفؤاد. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة: ٧-٩).

---

(١)الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٩٤.

(٢)الصلصال: تردد الصوت في الشيء اليابس وقيل المنتن من الطين، انظر:الراغب الأصفهاني، المفــردات، ص ٣٧٢.

(٣)الحمأ:طين أسود منتن، انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات،ص١٧٥.

وآية سورة السجدة" وبدأ خلق الانسان من طين"،هي من بين ثمان آيات في القرآن الكريم استخدمت هذه الكلمة في سياق الدلالة على أصل الإنسان وهذه الآيات [(١)]:

١-قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ (الأنعام:٢).

٢-قال تعالى:﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف:١٢).

٣-قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون:١٢).

٤-موضع سورة السجدة السابق.

٥-قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات:١١).

٦-قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (ص:٧١).

٧-قال تعالى:﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.(ص:٧٦)

٨-قال تعالى:﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾. (الاسراء:٦١)

وهذا يضفي على سورة السجدة تميزاً، وهو أن بعض آياتها جاءت تحمل بعض المواضيع التي تطرقت لها باقي آيات القرآن الكريم قليلاً.

أعود إلى آية سورة السجدة لأقف وقفات مع ما بينته من مسائل الخلق:-

١. أصل الإنسان من الطين

ذكرت سابقا أن الآيات القرآنية استخدمت العديد من المفردات لتبين أصل المادة التي خلق منها الإنسان، وذكرت أن هذه المصطلحات مثل الأرض والتراب والحمأ والصلصال بالإضافة إلى الطين، وتأتي آية سورة السجدة لتؤكد أن أصله من طين وأن بداية خلقه كانت من هذه المادة.

(١) انظر:عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥٣٣

وقد يتبادر إلى الذهن أن ثمة تناقض بين هذه المفردات ونظرة فاحصة ومتعمقة في هــذه الكلمات والآيات نجد أنه من الممكن الجمع بينهما بالقول:

أن عملية خلق الإنسان كما عرضها القرآن الكريم هي وحدة متماسكة في جميع مراحلها، فلا اختلاف ولا تعارض في مصطلحاتها وألفاظها.. ويمكن القول أن مراحــل خلــق الإنــسان هي(١):

١-مرحلة البداية: التي فيها الإشارة إلى المصدر الذي بدأ منها الخلق وهذا ما تحدثت عنه آية سورة السجدة.

٢-مرحلة التخليق: وهي مرحلة المتغيرات المتلاحقة من النطفة إلى العلقة ثم المضغة ثم العظام التي كسوتها باللحم.

ويجمع هذه المراحل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ﴾(الحج: ٥).

فآية سورة السجدة نصت ودلت على هذا الأمر دلالة واضحة فبينت أن الله تعــالى خلــق الأب الأول للبشر من طين، والطين مكون من التراب والماء.

"وبدأ خلق الإنسان من طين يعني: خلق أبا البشر آدم من طين...".(٢)

اذاً فالآية بينت أن المادة الأصل للإنسان هي الطين" فالتعبير قابل لأن يفهم منه أن الطين كان بداية وكان في المرحلة الأولى ولم يحدد عدد الأطوار التي سبقت مرحلة الطين ولا مــداها

(١)انظر: فياض، محمد، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان،ط١، ص٤٥-٤٦، دار الـشروق، القــاهرة سنة١٤٢٠ هــ - ١٩٩٩ م. وانظر: الصوفي، ماهر أحمد، آيات الله في نــشأة الحيــاة علــى الأرض وظهور الإنسان وفي البحار والمحيطات والأسرار،بدون طبعة، المكتبة العــصرية،صيدا_بيروت،ســنة ٢٠٠٨م-١٤٢٩ هــ. وانظر:البوشيخي، الشاهد، القرآن والإنسان، مجلة حــراء، العــدد ٢٧، ص٦، تركيا، السنة السابعة ٢٠١١.

(٢)ابن كثير، تفسير القران العظيم،ج٦،، ص٣٦٠.وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٤١. وانظــر: البيضاوي،،انوار التنزيل واسرار التأويل،ج٤،ص٢٢٠،وانظر:السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٠٣

ولا زمنها...وقد يكون ذلك إشارة إلى بدء نشأة الخلية الحية الأولى في هذه الأرض وأنها نشأت من الطين وأن الطين كان المرحلة السابقة لنفخ الحياة فيها بأمر الله...."[١].

٢. خلق النسل في سلالة

بيّن الله –عزوجل– في آية " ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.....". أنه خلق آدم عليه السلام من الطين، وبعد ذلك جعل ذريته من سلالة[٢]، أي من نطفة بل خلاصة هذه النطفة التي مصدرها اجتماع ماء الرجل بماء المرأة. وقد عبرت عنه الآية بأنه ماء مهين أي ضعيف. والغرض من ذلك هو" الاعتبار بنظام التكوين إذ جعل الله تكوين هذا الجنس المكتمل التركيب العجيب الآثار من نوع ماء مهراق لا يعبأ به ولا يصان..."[٣].

فذرية آدم يتناسلون[٤] من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة[٥]. قال تعالى:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (الطارق: ٥-٧).

فهذه الآية – آية سورة السجدة – وسابقتها تبينان أن أصل خلق آدم – عليه السلام – كان من الطين، فبينت أصل خلقه وبداية نشأته أما هذه بينت أن ذريته تناسلوا منه ويسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه.

فالآية قابلت بين بدء الخلق حيث لا تناسل من أب وأم وبين الذرية التي لابد لها من نسل بانفصال المولود عن الوالدين."جعل نسله أي: ذريته من سلالة سميت الذرية سلالة: لأنها تسل من الأصل، وتنفصل عنه...."[٦].

٣. نفخ الروح في الإنسان وتكريمه بالسمع والبصر والفؤاد

لقد دلّت سورة السجدة على أن الله –عزوجل– قد سوّى الإنسان ونفخ فيه من روحه. قال تعالى:"ثم سواه ونفخ فيه من روحه". [٦]

(١)قطب، في ظلال القران،ج٥، ص٢٨٠٩.
(٢) السلالة: كناية عن النطفة، وقيل من الصّفو الذي يسل من الأرض، انظر: الراغب، المفردات، ص٣١٢.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير و التنوير،ج١،ص٢١٦.
(٤) النسل: الانفصال عن الشيء، والنسل: الولد لكونه ناسلا عن أبيه،انظر: الراغب، المفردات،ص٦٣٤.
(٥) انظر عبد الرازق: منى بنت عيسى(سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.)، **مراحل خلق الانسان في آيات القرآن الكريم**، ص١٧،رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين _ نابلس، اشراف: محسن الخالدي.
(٦) الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٢٨٨.

ومعنى التسوية في الآية: التقويم، قال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.(التين:٤)

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (الانفطار: ٧): أي جعل خلقتك على ما اقتضت الحكمة.فالله -عزوجل- قد سوّى صورة الإنسان وقوّم أعضاءه وعدل خلقته في أبدع وأحسن تقويم. فكانت تسوية الله تعالى للإنسان بعد أن جعل نسله من سلالة وذلك بعد خلق آدم -عليه السلام-.[١] وبعد أن جعله الله في أحسن صورة نفخ فيه من الروح، وقد أضافها الله تعالى لنفسه تشريفاً كنسبة البيت إليه – بيت الله الحرام – وإشارة إلى أنه خلق عجيب وأن له شأنا عنده سبحانه وتنويها بذلك السر البديع الذي لا يعلم تكوينه إلا هو تعالى، وإشارة بأن الإنسان من أشد المخلوقات اختصاصا بالله تعالى [٢]. فالمضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة ثلاثة أقسام[٣]:

الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله تعالى:"﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

الثاني: إضافة المخلوقات كقوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ (الشمس: ١٣).

أما القسم الثالث: وهو ما فيه معنى الصفة والفعل كقوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٤)

وبناء على ذلك فإن الروح من المخلوقات التي أضافها الله سبحانه وتعالى لنفسه.

والنفخ: نفخ الريح في الشيء، ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى.[٤]

---

(١)انظر: الراغب، المفردات، ص ٣٣٢.
(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٤١.
(٣) انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحرانة: (ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، بدون طبعة، ج٦، ص١٤٥-١٤٦، تحقيق: عبد الرحمن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٦-١٩٩٥م.
(٤) انظر: الراغب، المفردات، ص ٦٤٦.

وبعد أن كرّم الله الإنسان بصورته البديعة الحسنة ونفخ فيه الروح التي تحييه بإذنه تعالى، وأكرمه بأن جعل له السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة: ٩).

تبين الآية وتذكر الإنسان بأعظم النعم التي أنعمها الله تعالى عليه وأولى هذه النعم هي حاسة السمع وإنها لنعمة عظيمة منحها الله –عزوجل–له، لما لجهاز السمع من وظيفة حساسة ومهمة للإنسان، فما توصلت إليه الدراسات العلمية أن جهاز السمع يتكون من الأذن والعصب السمعي، ومراكز السمع في المخ، والأذن تتركب من ثلاثة أقسام: خارجية، ووسطى وداخلية وهي أعقدها وأخطرها، وتعتبر الأذن الداخلية المستقبل للأصوات، والوسطى والخارجية الجهاز الناقل لها، وسبحانه الخالق –جل في علاه– فقد صُمّمت الأذن الخارجية بطريقة تساعد على السمع الجيد وتحمي الأذن من الأخطار فصيوان الأذن مؤلف من مادةغضروفية وفيها تعاريج والتواءات لجمع الأصوات، ثم الممر الموصل الى الطبلة ٢.٥ سم وهو منحنى الى أسفل وانحناء الممر مهم حتى لا يتعرض غشاء الطبلة للخطر، وهناك قطعة لحمية صغيرة تظلل فوهة الممر من الجانبين، وكذلك يحتوي الممر على الشعر لاصطياد ذرات الغبار وعلى غدد حمضية للغرض نفسه، فتبارك الله الخالق المصور المبدع الذي صمم وخلق كل شيء بقدر.(١)

ومن نعمه سبحانه وتعالى على الإنسان نعمه البصر، وأي نعمة أعظم من هذه النعمة؟!إذ أنه بواسطة العين يستطيع الإنسان أن يتعرف على المحيط الخارجي ويتعرف على الأشياء من ناحية شكلها وألوانها وأبعادها وبواسطة البصر يستطيع أن يقدّر المسافات بمنتهى الدقة، ويقدّر ببصره درجة الإضاءة، وبواسطة نعمة البصر يستطيع أن يقرأ ويرى النور.(٢)

ولو أردت الحديث عن جهاز الإبصار ومكوناته ووظيفته وكيفية أدائه ونظام الرؤية، لطال المقام ولكن يكفيني أن أشير إلى ما أشارت إليه السورة بأن نعمة البصر هي من نعم الخالق على عباده وآية من آيات خلق الانسان، تشير إلى عظمة الخالق المبدع، فهل يستوي الأعمى والبصير؟

---

(١).انظر: عثمان، نبيه عبد الرحمن، معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن، بدون طبعة، ص١٩٨، بدون سنة أو دار.

وانظر: البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط٨،، ص٣٢٣، الدار السعودية للنشر والتوزيع، سنة ١٤١٢هـ–١٩٩١.

(٢) انظر: عثمان، معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن، ص١٨٥.

فالسمع والبصر هما النافذتان اللتان يطل منهما الإنسان على العالم الخارجي و ورد ذكرهاتين الحاستين في القرآن الكريم كثيراً. ومن الملاحظ على ورودهماأنه قدّم السمع على البصر في معظم الآيات التي وردت فيها ومنها آية سورة السجدة...."وجعل لكم السمع والأبصار".. وفي ذلك حكمة من عنده سبحانه فهو الخالق المبدع العالم بأهمية السمعوالبصر، فالإنسان يستطيع التعلم والنطق والتعبير عن نفسه وإدراكه إذا فقد نعمة البصر. أما إذا فقد نعمة السمع بالأخص إذا كان صغيراً أو ولد وهو أصم فلا يستطيع التكلم ويبقى أبكماً.

" الترتيب في السمع والأبصار والأفئدة على مقتضى الحكمة، وذلك لأن الإنسان يسمع أولا من الأبوين أو الناس أموراً فيفهمها ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة، فيبصر الأمور ويجربها ثم يحصل له بسبب ذلك إدراك تام وذهن كامل فيستخرج الأشياء... ومثاله شخص يسمع من أستاذ شيئاً ثم يصير له أهمية مطالعة الكتب وفهم معانيها ثم يصبح له أهلية التصنيف فيكتب من قلبه كتاباً، فكذلك الإنسان يسمع ثم يطالع صفحات الموجودات...!" [١]

وكما أنعم عليه بنعمة السمع والبصر أنعم عليه بنعمة الفؤاد وهو على الأغلب العقل.[٢]

" وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة.. أي وخلق لكم هذه الحواس السمع لتسمعوا بها الأصوات والبصر لتبصروا به الأشياء والعقل لتدركوا به الحق والهدى."[٣]، فالفؤاد" العقل وهو الذي يتم التفكير والوعي به والإدراك والتمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر.[٤]

ويكفيني القول عن عظمة هذه النعمة أن الله –عزوجل– ميّز وكرّم بني البشر عن باقي المخلوقات بهذه النعمة ألا وهي نعمة العقل الذي يقود للتفكير والإدراك.

أعود إلى الآيات مجموعة كاملة التي بينت خلق الإنسان في السورة:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ (السجدة: ٧–٩)، لأذكر الملاحظات الآتية:

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب،ج٢٥، ص١٤٢.
(٢) انظر: ابن كثير،تفسير القران العظيم، ج٦،ص٣٦٠.
(٣) الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢،ص ٤٦٢. وانظر: الزحيلي،التفسيرالمنير، ص١٢٢.وانظر:الزحيلي، التفسيرالوسيط،ج٣،ص٢٠٤٣
(٤) السحيم، محمد بن عبدالله بن صالح.،الإسلام اصوله ومبادئه،ط١،ص١٧٢،وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوةالدار السعودية سنة ١٤٢١هـ.

١. كان الحديث عن بدأ الخلق بصيغة الغائب ثم انتقل إلى صيغة وأسلوب الخطاب عند الحديث عن نعم السمع والأبصار والأفئدة، ويجيب ابن عاشور على هذه المسألة فيقول:" والانتقال من الغيبية إلى الخطاب في قوله، وجعل لكم، التفات لأن المخاطبين من أفراد الناس وجعل السمع والأبصار والأفئدة للناس كلهم غير خاص بالمخاطبين فلما انتقض الاستدلال على عظيم الصورة وإتقان المراد من المصنوعات الممتدة عنهم بطريقة الغيبة الشامله للمخاطبين وغيرهم ناسب أن يُلتفت إلى الحاضرين بنقل الكلام إلى الخطاب لأنه أكثر بالاستبيان".(١)

٢. أفرد السمع، وجمعت كل من الأبصار والأفئدة.وذلك لأن السمع جاء مصدر لا يجمع وجعل كل من الابصار والافئدة فلانها جاءت بصيغة الاسم فجمعت باعتبار تعدد الناس ايضا.

وأورد الرازي سببا لذلك وهو: أن السمع قوة واحدة ولها فعل واحد فإن الإنسان لا يضبط في زمان واحد كلامين والأذن محله ولا اختيار لها فيه فإن الصوت من أي جانب كان يصل إليه ولا قدرة لها على تحقيق القوة بإدراك متحرك إلى جانب مرئي دون آخر.(٢)

٣. عندما بين الله عزوجل عظيم صنعه الذي يتجلّى في خلقه الإنسان بأبهى وأفضل صورة استنكر على استمرار بني الإنسان في عدم شكره –جل وعلا– على عظيم كرمه ولطفه وإحسانه وعطائه وجزيل نعمه والآئه. فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة: ٧–٩).

وكيف لا تستحق هذه النعم العظيمة الشكرَ صباحَ مساء؟! بل لو أفنى الإنسان حياته شاكراً لما وفى حقه سبحانه وتعالى؟

هذه جولة بسيطة موجزة في خلق الإنسان التي تعد من الآيات العظيمة الدالة على وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى في هذا الكون وقد حث الله سبحانه عباده على أن يتفكروا في انفسهم ليستدلوا بذلك على وجوده ومعرفته. قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢١، ص٢١٧.
(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٤٢

إنّ الاستدلال بمسألة خلق الإنسان على وجود الله لها أهمية بالغة وخاصة، لا تكون لغيره من أنواع الاستدلال الأخرى وأبلغ هذه الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ (العلق: ١-٢).فذكر أولاً الخلق عامة،ثم خصص خلق الانسان ومن الحكمة في هذا التخصيص أن الناس جميعا مشتركون في مباشرة هذه الدلالة فالإنسان هو المستدل وفي الوقت ذاته هو الدليل والبرهان والآ ية.[1]

علنّي أختم حديثي بهذا الكلام القيم لابن القيم- رحمه الله -:" فأعد الآن النظر فيك وفي نفسك مرة ثانية من الذي دبرك بلطف التدبير وانت جنين في بطن أمك في موضع لا يد تنالك ولا بصر يدركك ولا حيلة لك في التماس الغذاء ولا في دفع الضرر فمن الذي أجرى إليك من دم الأم ما يغذيك كما يغذي الماء النبات وقَلَبَ ذلك الدم لبنا، ولم يزل يغذيك به في أضيق المواضع وأبعدها في حيلة الكسب والطلب حتى إذا كَمُل خلقك واستحكم وقوى أديمك على مباشرة الهواء وبصرك على ملاقاة الضياء وصلبت عظامك على مباشرة الأيدي والتقلب على الغبراء صاح الطلق بأمك فأزعجك إلى الخروج أيما ازعاج إلى عالم الابتلاء...".[2]

فابن القيم يوضح لنا الشاهد من التدرج في خلق الإنسان على أن هناك مدبراً حكيما قادراً عليماً وراء هذا الكون. وسبحان الله الخالق البارىء المصوّر الذي تخر له الجباه شكراً وحمداً وثناءً وطاعة.

المطلب الثالث: سَوْق الماء

ولنقلب صفحة من صفحات هذا الكون الفسيح، لنفتح صفحة أخرى نعيش في ظلالها برهة، لتكشف لنا المزيد من أسرار الكون البديع العجيب وها هي سورة السجدة تحدثنا مرةً أخرى عن آية من آيات الله -عزوجل - في السماء والأرض، فهي تقدم دليلاً حسياً ملموساً متكرراً مشاهداً على قدرته سبحانه وتعالى، وهذا الدليل هو سوق الماء إلى الأرض الجرز، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧).

---

(١) انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني،(ت: ٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوي، بدون طبعة، ج١٦، ص٢٦٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، سنة ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥ م.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص ٢٥٦.

وهذه الآية اتبعت طريقة القرآن الكريم بأنها استدلت على وجود الخالق بما يفهمه البشر وتقبله عقولهم وتستجيب له فطرهم. وهذا الدليل –دليل الماء والمطر– يتكرر في القرآن الكريم، ليستدل به على الوحدانية.قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٢١).

فهاتان الآيتان نظائرهما في القرآن كثيرة، فتارة يذكر الله خلق السماوات وإنزال الماء من السماء، وتارة يذكر إنزال الماء وإخراج الثمرات بسببه وغيرها كثير. فإنزال الماء من السماء، ومشاهدة الأرض بعد ذلك مخضرّة بشتى ألوان وأنواع النبات هي آية متكررة بين العباد وتدل دلالة واضحة على أنه لابد من خالق وصانع عظيم حكيم لهذا الكون، تدل جميعها على وجوده ووحدانتيه الحقة.

قال ابن القيم:" ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر إلى الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها وظرابها وآكامها ومنخفضها ومرتفعها ولو كان ربها تعالى إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السّفلى وكثُر، وفي ذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها فينشيء سبحانه السحاب وهي روايا الأرض ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به كما يلقح الفَحل الأنثى ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة الأمطار وإذا بعدت من البحر قلّ مطرها..." [(١)].

فالماء آية دالة على قدرة الله تعالى، سواء أكان الماء النازل من السماء أم النابع من الأرض فهو من الآيات الكونية التي دلّت على الصانع الحكيم العظيم وقدرته التي تتسع لكل شيء.[(٢)] وإن ما أنزله الله تعالى من السماء من ماء مبارك، فأنعش به الأرض بعد موتها دليل واضح ناصع على قدرته سبحانه و وحدانيته، وإنّ في إنزال الماء حكم عظيمة يترتب عليها الكثير من مصالح العباد. فالقرآن الكريم استدل على الوحدانية بإنزال الماء من السماء واستدل

---

(١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج١، ص ٢٢٣.

(٢.)انظر: العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد،ص ٢٩١، وانظر: الوعلان، عبد المجيد بن محمد (سنة ١٤٣٢هـ_١٤٣٣م.)، **الآيات الكونية دراسة عقدية**، ص٣٤٢،رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف: عبدالكريم الحميدي.

عليها أيضاً بتنوع الثمرات التي تخرج من هذا الماء، وأنه سبحانه وتعالى أنزل الماء بقدر وقادر على، الذهاب به ولو ذهب به لهلك من على ظهرها. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٨). وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (الملك: ٣٠).

فالله سبحانه جعل الماء من ضمن آيات قدرته ومن براهين وحدانيته ووجوده ومن الدلائل العظيمة التي يرشد من خلالها عباده إلى عبادته تعالى. كما بيّن القرآن الكريم أنّ الماء أساس الخلق ومادته وسبب الحياة، ونبّه على ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

فأمر الاستشهاد بالماء على الوحدانية تنوّع وروده في القرآن الكريم فتارة يستدل به على خلق الإنسان، وتارة على تنوّع المخلوقات التي تسقى بالماء وتارة على أنه أساس الخلق، وتارة على إعمار الأرض بعد موتها وخرابها إلى غيرذلك مما استدل به بالماء على هذا الأمر.(١)

أعود إلى الدليل الحسي الملموس المشاهد الذي قدمته سورة السجدة لتدلل به على وحدانية ووجود الله –عزوجل– قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧).

أرادت الآية أن تبيّن لطف الله سبحانه وتعالى بخلقه، وإحسانه إليهم وما أنعم عليهم من عظيم النعم والخيرات (٢)، فذكرت نعمة إرساله الماء عليهم، ومن عظيم فضل الله سبحانه وكرمه على العباد جلب الماء وسوقه إلى الأرض وذلك بإنزاله من السماء. وهو الأقرب والأظهر للمعنى، أو من الأنهار والبحار أي من الأرض نفسها، فيلامس هذا الماء الأرض الجرداء القاحلة التي لا نبات فيها، فتخرج هذه الأرض بإذن الله شتى أنواع النبات وليس ذلك إلا من أجل أن ينعم الإنسان بأطيب الثمر ويقتات باقي المخلوقات من الأنعام والحيوانات، لتستمر حياتها على هذه الأرض.

---

(١)،. انظر: السحيم، محمد بن عبدالله بن صالح، الدلالات العقدية للماء في القرآن الكريم، ص٩–١٠، وهو بحث منشور عبر موقع الألوكة على الشبكة العنكبوتية.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٣٧٢.

وقد عبّرت الآية الكريمة عن ذلك بصورة بديعة رائعة ومثّلت لذلك بصورة فنية خاصة، وكأن أحدهم – ولله المثل الأعلى – يسوق –شيئاً فتُساق وتجلب السحاب المحمّلة بالماء بواسطة الرياح وتتوقف عند الأراضي التي لا نبات فيها، فتسقط ما حملته من ماء فتنعش هـذه الأرض فيخرج منها النبات بأشكاله وأنواعه المختلفة.وعبّرت الآية الكريمة عن هذه الـصورة بكلمـة" نسوق" وهي فعل مضارع مما يدل على الاستمرارية، والمقصود من ذلـك أن هـذه الـصورة مشاهدة ومتكررة دائماً أمام أنظار وأعين الناس ولكي تبقى كذلك." واختير المضارع في قولـه نسوق لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على القدرة الباهرة".(١)

ذكرتُ سابقاً أنّ الآية بيّنت عظيم نعم الله على العباد منها سوق الماء إلى الأرض اليابسة ثم يخرج منه زروعاً مختلفة، وقد وضحت الآية أنّ هذه النعمة لا تقتصر فقط على العباد وإنما تتعداها إلى الأنعام.قال تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧).

وهناك لطيفة في الآية وهي تقديم الآية للأنعام على الأنفس وقد يكون هناك عدة أسـباب محتملة منها أن الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للإنسان، وقد يكـون أن الـزرع غذاء الدواب وهو لا بد منه، وأما غذاء الإنسان فقد يحصل من الحيوان فكأن الحيـوان يأكـل الزرع ثم الإنسان يأكل من الحيوان. (٢)

والآية قدمت دليلاً حسياً مشاهداً تدلل على وجود الله تعالى وطالما كان هذا الدليل صورة مشاهدة ومتكررة للعباد، فكان من المناسب جدا استخدام الآية الكريمة لكلمة" أولم يروا" في بداية الآية وكلمة" أفلا يبصرون" في نهايتها. ففي هذه الآية نبّه الله تعالى عبـاده إلـى أن يـستعملوا أبصارهم وعقولهم، أبصارهم أن لا تنظر إلى الظواهر الكونية بمجرد أنها ظاهرة عابرة فقـط، بل ينظر ويتفكّر في آن واحد كيف يُساق هذا الماء ويمشي في الأرض القاحلة، فتصبح مخضرة بهيجة، ثم يُنشيء على أثرها نعماً كثيرة فيها الخير للإنسان والحيوان. ليصل بذلك على وجـود إله قادر بيده الخلق والأمر." ويُناط الاستدلال هنا بالرؤية لأن إحياء الأرض بعـد موتهـا ثـم إخراج النّبت منها دلالة مُشاهدة.." (٣)

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٤١، بتصرف.
(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ١٥١.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٤١.

وأُخلِصُ إلى أن سوق الماء إلى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها ليعمّ أرجاؤها ثم يخرج النبت بأنواعه، لتنعم به سائر المخلوقات وأن الماء سواء أكان نازلاً من السماء أم نابعـاً مـن الأرض كل ذلك ما هو إلا دليل وآية عظمى من الآيات والأدلة التي تدل دلالة بيّنة على وجـود الخالق تبارك وتعالى وأنه المستحق للعبادة وحده.

المطلب الرابع: إحسان الخلق وإتقانه

الكون الرحب الواسع الفسيح هو آية كبرى تنطق بوجود الله سبحانه فالسماء التي تبهـر الأنظار والأرض وما عليها من عوالم، وبديع تكوينها من شمس وقمر وبحر ويـابس وجبـال ووديان وسهول وصخور وعالم النبات وعالم الحيوان، كل ذلك يشدُّ النفس ويدهشها، ويجعلهـا تقف حائرة أمام الدقة البالغة في تنظيم هذا الكون، بحيث أن أي تغير فيه يـؤدي إلـى الخلـل والنقص ويشدُّ النفس ذلك الإتقان المدهش في كل الكون.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر في كثير من آياته. قـال تعـالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (الملك: ٣)، وقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (النمل: ٨٨). وتأتي الإشارة القرآنية إلى وجود ذلك الإتقان في جملة المخلوقات.قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩). وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨).

فهذه الآيات تلفت نظر المستدل على وجود الله إلى دلالة المخلوقات على خالقها من خلال ما يشاهد فيها من الانضباط والالتزام التام بنظام في غاية الدقة ما كان له أن يكون ويوجد دون خالق ومدبر.(١)

وما زالت الآيات القرآنية تنبه إلى هذا الدليل ومن بينها آية في سـورة الـسجدة وإنـي لأعتبرها قاعدة كبرى في هذا الباب ولو اكتُفي بها آية لكفى، ولكنها مع غيرهـا مـن الآيـات القرآنية الكريمة تبرز أهمية هذا الأمر وتؤكده، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ (السجدة: ٧).

(١) انظر: العريفي، سعود بن عبد العزيز، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، ص ٢٣٥.

إحسان الشيء وإتقانه: جعل الشيء محموداً حسناً غير معيب وأن يكون وافياً بالمقصود منه." والمقصود: أنه الذي خلق كل شيء وخاصة الإنسان خلقاً بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً وأخرج أصله من تراب ثم كوَن فيه نظام النسل من ماء.." [(١)].

"... كل شيء خلقه يتجلّى فيه الإحسان والإتقان فلا تجاوز ولا قصور ولا زيادة عن حد الإحسان ولا نقص، ولا إفراط ولا تفريط، في حجم أو شكل أو صنعة أو وظيفة.كل شيء مقدّر لا يزيد عن حد التناسق الجميل الدقيق ولا ينقص".[(٢)]

وبيّنت الآية أن الإحسان عام في جميع الخلق، أي أن الله تعالى أحسن كل شيء ذكره في السورة من خلق للسماوات والأرض وخلق الإنسان وسوق الماء، وأن الله قد حسّن كل مخلوق خلقه، إذ ما من مخلوق خلقه إلا وهو مرتب له ما تقتضيه الحكمة و أوجبته المصلحة.فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"..." [(٣)]

فالله -عزوجل- قد حسّن السماء وأتقن صنعها، وما رفعها وإمساكها إلا مشاهد على ذلك، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(الرعد: ٢).

وتتجلّى دلالة الإتقان في بنائها وحبكها وإيساعها، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧). وتزيينها بالكواكب السيّارة والنجوم.قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ (الصافات: ٦). وكذلك آيات الليل والنهار والشمس والقمر التي تتجلّى في السماء قال تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٤).[(٤)]

ومن مظاهر الإتقان والإحكام والإحسان في الأرض أن هيأها الله تعالى للسكن وأعدّها لتكون مكاناً ملائماً للإنسان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ (طه: ٥٣)، ومظاهر

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢١٥.
(٢) قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص ٢٨٠٨.
(٣) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٧، ص ٨١.
(٤) انظر: الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية، ص ١٧٨_١٨٤.

الإحسان في خلقها التثبت والإرساء بحيث لا تميد الأرض ولا تضطرب، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (لقمان: ١٠). وكيف أجرى الرياح والسحاب والمطر عليها بقدرٍ من عنده في نظامٍ محكمٍ بديع بحيث لو حدث أي خلل لاختل النظام الأرضي كاملاً.(١)

وكما ورد في المطلب الثاني من هذا المبحث من الحديث عن خلق الإنسان، فيكفي هذه الآية دليلاً على إحسان الخلق وإتقانه.

" أليس من الإتقان المدهش هندسة هذا الإنسان في خلقه وتكوينه، سل عالم التشريح عن مخطط جسم الإنسان وإتقانه وخواصه وميزه، يبين لك من صنعه عجباً يدهش العقول ويحيّر الألباب.." (٢).

فأطوار خلق الإنسان وحسن صورته، وتسوية خلقه وحواسه وجوارحه وما صُنّف إليه البشر من ألوان وألسنة وأجناس فإن الواحد من البشر لا يشتبه بغيره، ومن أحوال خلقه أن جعله الله زوجين، ذكراً و أنثى فلو فَني أحد الزوجين لما استمرّت الحياة، كل هذا وغيره الكثير يحمل في طياته دلالة واضحة على إتقان هذا الكون من خالق عظيم منفرد بكل شيء. وكل ذلك ينبىء عن دقة في الخلق بل وإبداع في ذلك، فالتقدير والإتقان شامل لجميع مخلوقات الله كلها ذلك أن الكون منظّم ومنسق وانتظامه مرتبط بإرادة الله وقدرته فلا عبث ولا فوضى، وإنما هو نظام وإتقان وتقدير وتدبير، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: ٢٧).(٣).

وفي نهاية هذه الجولة أقول: فطر الله تعالى العباد على معرفته وتوحيده وتعظيمه، ومن رحمته بهم أن جعل الأدلة والبراهين على وجوده فطرية بديهية ظاهرة، فالفطر شاهدة على وجوده ومجبولة على الإقرار به. والله تعالى جعل كل شيء من خلقه دليل يشهد له بالوحدانية، فالإنسان والحيوان، والنبات، والسماء والأرض، والرياح والأمطار، والليل والنهار وغيرها.. كلها أدلة تنطق وتدل على الخالق الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد المتفرد بالجلال، المتوحِّد بالعظمة.

---

(١) انظر: المصدر السابق، وانظر: العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد،ص٢٨٤_٢٩٠.
(٢)الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، ص١٤٦، دار القلم، دمشق_بيروت، سنة ١٣٩٩هـ_١٩٧٩.
(٣) انظر: المصادر السابقة.

المبحث الثالث

أسماء الله وصفاته الواردة في سورة السجدة

المطلب الأول: مدخل إلى المبحث

خلق الله تعالى البشر لغاية عبادته وطاعته سبحانه وتعالى، و عبادته لا تتم إلا بمعرفتـــه، وكلما عظُمت معرفة العبد بربه عَظُمت عبادته له، فحريٌ بمن أراد ولـــوج أبـــواب الطاعـــات والعبادات أن يسلك في سبيل ذلك التفكر في أسماء الله وصفاته، فهما بابان عظيمان من أبـــواب العلم بالله سبحانه يقربان العبد من ربه ويعرفانه به. فالذي يفتح للعبد الأفق لهذه المعرفة هو أن يطرق باب توحيد الأسماء والصفات، فهو أحد أبواب وأركان التوحيد الثلاثة، فتوحيد الألوهية[(١)] وتوحيد الربوبية[(٢)] وتوحيد الأسماء والصفات.وقبل عرض أسمائه وصفاته تعالى الـــواردة فـــي سورة السجدة لابد من التقديم بمقدمة مهمة تشمل التعريف بتوحيد الأسماء والصفات وأهميته ولا بد من أرساء بعض القواعد المهمات في هذا الباب.

أولاً:- توحيد الأسماء والصفات وأهميته

وهو" إفراد الله – تبارك وتعالى – بأسمائه وصفاته بحيث يؤمن العبد بما أثبت الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلّم – من الأسماء والصفات على الوجه الـــذي أراد الله ورسوله – صلى الله عليه وسلّم – وعلى الوجه اللائق به" [(٣)].

فتوحيد الأسماء والصفات هو إفراد الله تعالى بأحسن الأسماء وأكمل الـــصفات التـــي لا تنبغي لأحد غيره.

وتكمن أهمية هذا التوحيد بأنه بابٌ عظيم من أبواب التوحيد، وهو من أشرف العلوم على الإطلاق، وهو علمٌ يتعلق بذات الله – عزوجل – ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلا، ومنزلته عالية وأهميته عظيمة، وهو أول ركن من أركان الإيمان، وبقية الأركان متفرعة عنه، وتوحيـــد

---

(١) توحيد الألوهية: يسمّى أيضاً توحيد العبادة وهو توحيد الله بأفعال العباد مطلقة، ويعنـــي إفـــراد الله تعـــالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة.انظر: البنعلي، العقائد السلفية، ج١، ص ٢١.

(٢) توحيد الربوبية: توحيد الله بأفعاله تعالى، أي الاعتقاد بأن الله رب السماوات والأرض وخالق من فيهما وهو الرازق والمحي والمميت وكل من سواه لا يملـــك لنفـــسه ولا لغيـــره نفعـــاً ولا ضـــراً إلا بـــإذن الله ومشيئته.انظر: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤.

(٣) حسان، جبريل يسأل والنبي – صلى الله عليه وسلم – يجيب، ج١، ص ١٧٤.وانظر: التميمي، محمد بـــن خليفة،معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ط١، ص١٥٠، مكتبة أضـــواء الـــسلف، الرياض _ السعودية، سنة ١٤١٩هـ_١٩٩٩.

الأسماء والصفات أجلُّ العلوم، ذلك أن شرف العلم تابع لشرف معلومه، فلا شك أن أجلّ معلوم هو الله رب العالمين، فلا بد أن يكون العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجلُّ العلوم وأفضلها. ولا تكاد تخلو آية من آيات القرآن الكريم من صفة لله سبحانه أو اسم من أسمائه الحسنى. وبما أنه أجلُّ العلوم وأشرفها فهو أصل كل علم، وما عداه تابعٌ له.(١)

يقول الشيخ التميمي في معرض حديثه عن أهمية هذا العلم:" فكل علم هو تابع للعلم به... فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل"(٢).

ثم إنّ السلف جعلوا توحيد الأسماء والصفات من الدعائم التي قام عليها منهجهم المعتمد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، وذلك للأهمية الكبيرة التي يحظى بها هذا الفرع من التوحيد، كما أنّ العلم بأسماء الله وصفاته يفتح باباً عظيماً للعبد في معرفة الله عزوجل، لأن العبد إذا أخلص في حبه لربه وجبت عليه معرفته ولا تتم له هذه المعرفة إلا من خلال معرفته لأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فإذا بنى العبد أمره على أساس العلم الصحيح لأسماء الله وصفاته، يكون إيمانه صحيحاً وتوحيده خالصاً، فتوحيد الأسماء والصفات أساس الهداية و الإيمان وهو أصل الدين الذي يقوم عليه. فإذا قام الإيمان الصحيح على الأساس الصحيح فإن ذلك سيتغلغل ليكون حياةً للقلوب ونعيمها وسرورها، فلا حياة للقلوب، ولا نعيم إلا بأن تعرف هذه القلوب ربها ومعبودها وفاطرها، ويكون أحبَّ إليها مما سواه. وأخيراً فإنها ستجد ثمرة كل ذلك من زيادة في الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة، فإذا ثبت هذا العلم في قلب العبد أورث فيه خشية، فتستشعر معاني هذه الأسماء وهذه الصفات فتنعكس إيجاباً على سلوكه وعمله.(٣)

مما سبق يتبيّن أن توحيد الأسماء والصفات من أعظم مطالب الدين وأشرف علوم الأولين والآخرين.

وبعد التعريف بهذا العلم وبيان أهميته فلابد من أن أضع بين يدي القارىء بعض القواعد الواضحات المهمات لفهم هذا المبحث المهم من الأسماء والصفات، ولستُ هنا بصدد الحديث عن هذا الباب العظيم من أبواب التوحيد بلغة البسط والإسهاب، فلهذا موضعه من كتب العقيدة

(١) انظر: التميمي، محمد بن خليفة، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ص ١٤٥.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) انظر: المصدر السابق،ص ١٧ – ٢٥.

لعلمائنا الكرام، ولكنّي سأحاول جاهدةً أن أضع مقدمة يسيرة فيها التعريف بين الاسم والصفة وبعض القواعد التي سار عليها أهل السنة والجماعة في فهم هذا المبحث.

ثانياً: تعريف الاسم والصفة

ورد في كتاب التعريفات في تعريف كلمة" الاسم" ما نصّه:" ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وهو ينقسم إلى: اسم عين كزيد وعمرو، وإلى اسم معنى، وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجودياً كالعلم أو عدمياً كالجهل". (١)

وورد في تعريف الصفة:" هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها." (٢)

فالأسماء هي الألفاظ الدالة عليها.. والصفات هي الأمارات اللازمة للشيء.

وأما عن الفرق بين الاسم والصفة فمن خلال المعنى السابق يتضح الفرق بينهما بما يلي:

١- الاسم هو كل ما دلّ على ذات الله تعالى مع كمال الصفات القائمة به، مثل: العليم والقادر والحكيم، وأمّا الصفة فهي نعت الكمال القائم بالذات كالعلم والحكمة والسمع.(٣)

٢- الأسماء يشتق منها صفات، والعكس ليس صحيحاً، فالصفات لا يشتق منها أسماء، مثلا: يشتق من الرحيم والقادر والعظيم: صفات الرحمة والقدرة والعظمة، ولكن لا نشتق من صفة الإرادة اسم المريد(٤).

٣- الاسم لا يشتق من أفعال الله تعالى، فلا نشتق من اسم المحب والكاره والغاضب،أما صفاته فتشتق من أفعاله، فنثبت له صفة المحبة والكره (٤).

٤- أسماء الله تعلى يضاف لها كلمة(عبد)،ولا يضاف إلى صفاته، فنقول: عبد الرحمن، ولا نقول: عبد الرحمة.

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٣.
(٣) انظر: الكواري، كاملة، المجلّى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط١، ص ٦٩، دار ابن حزم، بيروت _لبنان، سنة ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠٢ م.
(٤) انظر: المصادر السابقة.

ثالثاً: القواعد والأسس التي تقوم عليها دراسة مسألة الأسماء والصفات

فإني أضع في هذا الجزء بعض القواعد الأساسية لفهم هذا القسم العظيم، فلا بد من إرساء القواعد والأساس حتى يرتكز بنيان هذا المبحث الهام من الدراسة،وفي الآتي بعض القواعد الواضحات البيّنات في التعامل مع أسماء الله سبحانه وتعالى:

القاعدة الأولى: أسماء الله الحسنى هي التي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد –صلى الله عليه وسلم – قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠). وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (طه: ٨). و روى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال:" لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر:"(١)

القاعدة الثانية: أسماء الله ليست منحصرة، وأما الحديث السابق الذكر:" لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحداً لا يحفظها إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر."فجمهور العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.(٢)

القاعدة الثالثة: من أسماء الله – عزوجل – ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله، فإذا أطلق وحده دون مقابله أوهم نقصاً، منها: المانع –المعطي، الضار – النافع، القابض – الباسط، فلا يطلق: الضار، المانع، القابض، فلا بد من ذكرها مزدوجة. (٣)

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى حقٌّ على حقيقتها مطابقة وتضمناً والتزاماً، فدلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على جميع مدلوله أي: فكل اسم دال على المسمّى به، فدلالة اسم (الرحمن) على ذات الله مطابقة. ودلالة التضمن: دلالة اللفظ على بعض مدلوله، أي: فدلالة الاسم على الذات وحدها أو على الصفة وحدها. فدلالة صفة الرحمة تكون تضمناً. وأما دلالة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد، حديث رقم ٦٤١٠، ج ٨، ص ٨٧.
(٢) انظر: الحمود، محمد بن حمد، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ط ١، ج ٢، ص ٤٣، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣.
(٣) انظر: عبد المقصود، أبو محمد أشرف، القواعد الطيبات في الأسماء والصفات، ط١، ص ٢٢، مكتبة أضواء السلف، الرياض، سنة ١٤١٦هـ _١٩٩٥م.

الالتزام: فدلالته على شيء يفهم لا من لفظ الاسم، لكن من لازمه، فلهذا مثل الخالق اسم يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق. [١]

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى غير مخلوقة ولا تقاس بأسماء الخلائق. فالله سبحانه له أسماء الجلال وصفات الكمال. وليس شيء من أسمائه مخالفاً لصفاته، وليس شيء من صفاته مخالفاً لأسمائه.[٢]

القاعدة السادسة: وردت أفعال أطلقها الله –عزوجل –على نفسه على سبيل الجزاء العادل في القرآن الكريم، وهذه لا يجوز أن يشتق منها أسماء، لأنها فيما سيق فيه مدح وكمال، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾(النساء: ١٤٢).

القاعدة السابعة: أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها. أي يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص.

القاعدة الثامنة: أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة مشتقة وغير جامدة والمراد بذلك أن الاسم دال على صفة لله تعالى وليس عَلماً محضاً فالمحسن مشتق من أحسن يحسن إحساناً.[٣] وعليه فإن ليس من أسماء الله – عزوجل– الأسماء الجامدة التي لا تتضمن معنى يلحقها بالأسماء الحسنى، لأن أسماء الله أعلام وأوصاف.فالأسماء الدهر والأبد والشيء، لا تعتبر من أسمائه تعالى [٤]، إلا أن البعض خالف منهج أهل السنة في ذلك ومنهم ابن حزم [٥]، فهو يرى أن أسماء جامدة غير مشتقة، ذلك أن ابن حزم يلتزم في أسماء الله تعالى ما ورد بالنص فيثبت لله تعالى من الأسماء ما سمّى به نفسه، فمنع أن يسمّى إلا بأسمائه الحسنى، وقال أن الأسماء بالألف واللام لا تكون إلا معهودة ولا معروف في ذلك إلا ما نصّ الله تعالى عليه، وقال لا يحل لأحد أن يشتق لله تعالى اسماً لم يسم به نفسه، وبرهان ذلك أنه تعالى قال:" والسماء

(١) انظر: عبدالمقصود، القواعد الطيبات، ص ٢٢.
(٢) انظر: المصادر السابقة.
(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، بدون طبعة، ج١، ص٢٢، دار الكتاب العربي، بيروت _لبنان، بدون سنة.
(٤) الأشقر، عمر سليمان، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، ص ٦٦.
(٥) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، من أشهر تصانيفه: الفصل بين الملل والأهواء والنحل، والمحلى، وجمهرة الأنساب، والناسخ والمنسوخ، وجوامع السيرة، طوق الحمامة وغيرها الكثير.وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان، لأنه انتقد كثير من العلماء والفقهاء. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٥٤.

وما بناها" فلا يحل لأحد أن يسميه البناء، وقوله هذا غير مسلّم به" لأن هذه الآية ونحوها مما ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (الأحزاب: ٥٧). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (المائدة: ٣٣). وغيرها كثير في القرآن، فالأسماء المشتقة من هذه الأفعال يحيل العقل معانيها في اللغة على الله تعالى، وقد وردت على طريق الجزاء فلا يشتق لله تعالى من هذه أسماء وما في معناها مما فيه إيهام معنى لا يجوز على الله تعالى، فيشتق له من أسمائه الحسنى صفات لأنها تقتضي المدح والثناء بنفسها فيما اشتق منها فهي دالة عليه ودلالته دلالتها".[١] وهذه بعض القواعد المتعلقة في أسمائه سبحانه وتعالى التي لا بد من تأصيلها لتكون دراسة هذا المبحث عل منهج واضح سليم، وبقي أن أقدم بعض القواعد المتعلقة بدراسة الصفات وقبلها الأسس التي قام عليها منهج أهل السنة في دراسة صفات الله تعالى، فلقد ارتكز مذهبهم على ثلاثة أسس دلّ عليها **القرآن الكريم وهي:**

١- **تنزيه الله جلّ وعلا** على أن يشبّه بشيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، ومرتكز هذا الأساس قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(الشورى: ١١). وقال تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص: ٤). وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٧٤).[٢]

٢- **الإيمان بما وصف الله به نفسه،** لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله.. ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾(البقرة: ١٤٠)، وبما وصفه به الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأنه لا يوصف الله بعد الله أعلم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي قال في حقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣-٤).[٣] ٣- **قطع الطمع عن إدراك كيفية ذات الله عزوجل.** قال تعالى:" ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٠)، فالله لم يكلف العباد معرفة كيفية

---

(١) الحمد، أحمد بن ناصر، ابن حزم وموقفه من الإلهيات، ط ١، ص ٢١٠، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة _السعودية، سنة ١٤٠٦.
(٢) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار بن عبدالقادر، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ط٤، ص ١٠، الدار السلفية، الكويت، سنة ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م.
(٣) انظر: التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة، ص ٩٩.

صفاته، ولم يتعبّدهم في ذلك، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فعليهم الإيمان بذلك وأن لا يتجاوزا هذا الحد.(١)

أما قواعد دراسة الصفات فتتلخص في الآتي:

١- **الكمال في صفات الله تعالى.** فصفاته تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فكل ما وصف به نفسه فهو كمال مطلق، كالعلم والقدرة والحياة، وعليه فإذا كانت الصفة نقصاً محضاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه تعالى، كالموت والجهل والعجز، قال تعالى:" لا يضل ربي ولا ينسى" (طه:٥٢).

٢- **باب الصفات أوسع من باب الأسماء:** وذلك لأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها.(٢)

٣-**لا يصح اشتقاق أسماء الله تعالى من الأوصاف** (٣). قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾(فاطر: ٤١).فلا يصح أن نقول إنّ من أسمائه الممسك.

٤-**الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل:** وهي قاعدة مطرّدة في الأسماء والصفات، وتعني أن نثبت له أسماءه وصفاته بدون تمثيل ولا تكييف، وتنزيهه بدون تعطيل. قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾(الشورى: ١١)

(١) انظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط٢، ص ٢٧، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة _ مصر، سنة ١٤١٤هـ _١٩٩٤م.
(٢) انظر: المصدر السابق، وانظر: السقاف، صفات الله كما وردت في الكتاب والسنة،ط ٢، ص ٢٠ – ٢٢، دار الهجرة، السعودية، سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١. وانظر: الكواري، المجلى في شرح القواعد الحسنى، ص٢١٥ وما بعدها.
(٣) انظر: المصادر السابقة.

رابعاً: أول من تكلّم في مسألة الصفات

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الجعد بن درهم [١] كان مِن أوائل مَن تكلّم في مسألة الصفات في الإسلام فقد نفاها وقال بخلق القرآن، وعن الجعد أخذ الجهم بن صفوان [٢]هذه المقالة ونشرها في خراسان. وبعدهم المعتزلة فقد أخذوا من الجهمية القول بنفي الصفات على اختلاف بينهم في طريقة نفيها، فالقول بالصفات بدأ على يد الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان الذي اشتهر بنشره لهذا المذهب وإليه نسبت فرقة الجهمية، و لما ظهرت المعتزلة أخذت بقول الجهمية بنفي الصفات، فمؤسس مذهب الاعتزال وهو واصل بن عطاء كان ينفي الصفات معتقداً أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء. وكذلك الأمر بالنسبة للفلاسفة، فهم يرون أن الله تعالى واحد من كل وجه، فنفوا صفات الباري الزائدة على الذات وقالوا: أنه تعالى عالم بالذات لا بعلم زائد على ذاته، والمعتزلة تأثروا بالفلاسفة، فقالوا: إن الله عالم بذاته، قادر بذاته لا بعلم وقدرة.[٣] وسمّوا بالمعطلّة ذلك أنهم نفوا الصفات عن الله تعالى.

ويُلاحظ في معظم هذه الفرق – المعطلّة – في أنّ أغلب أصحابها من الموالي [٤].فمن الموالي من هم على علمٍ وديانة وفضل كالحسن البصري [٥]، وعطاء بن أبي رباح [٦]. ومنهم العكس من ذلك تماماً، كان منافقاً ومن أرباب البدع والضلال، وكان من بينهم من أرباب المعطلّة والجهمية وعلى رأسهم الجعد بن درهم والجهم بن صفوان" الذين قادتهم انحرافاتهم الذاتية عن عقيدة الإسلام للقول بهذه المبتدعات الشاذة، دخلوا الإسلام ليمكّنوا لأنفسهم بين عامة

---

(٤) الجعد بن درهم (١١٨هـ–٧٣٦م)، من الموالي مبتدع،سكن الجزيرة الفراتية، له أخبار في الزندقة، زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى، وأخذ عنه مروان بن محمد في أيام هشام بن عبد الملك.انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢١، ص ١٢٠.

(١) الجهم بن صفوان (١٢٨هـ_٧٧٥م). من موالي بني راسب، رأس الجهمية،قال الذهبي عنه " الضال المبتدع "، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١٤١.

(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٥٠، وانظر: المعتق، عواد بن عبدالله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، ط٤، ص ٨٤، مكتبة الرشد، الرياض _ السعودية، سنة ١٤٢١هـ _ ٢٠٠١م.

(٣).الموالي: " الولاء نوعان: ولاء عتاقة وولاء موالاة فصورة ولاء العتاقة أن يعتق الرجل عبداً أو أمة فيصير المعتق منسوباً إلى العتق بالولاء. ويسمّى هذا ولاء النعمة. ولاء الموالاة: وهو أن ينتمي رجل لآخر بالمخالطة وينتسب إلي أو ينتمي إلى قبيلة من القبائل فينتسب إليها.والإسلام أقر النوعان. " انظر: السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، بدون طبعة، ج٣٠، ص ٣٨، دار المعرفة،بيروت، سنة ١٤١٤هـ_١٩٩٣م.

(٤) الحسن البصري: الحسن بن يسار البصري (٢١هـ_١١٠هـ)، أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء، كان غاية في الفصاحة ولا يخاف في الله لومة لائم. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٢٦.

(٥) عطاء بن أبي رباح (٢٧هـ _١١٤هـ)، عطاء بن أسلم بن صفوان، تابعي من أجلاء الفقهاء.ولد في اليمن ونشأ بمكة وكان مفتي أهلها. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٣٥.

الناس ويخلطون بين الإسلام وبين ما توارثوه من عقائد باطلة، فقاموا باختلاق هذه المشكلات العقدية....".[١] فكانت أول المبتدعات التي قال بها الجهم بن صفوان القول بخلق القرآن، والقول بخلق التوراة والذي هيّأ لذلك كلّه هو الجعد بن درهم وأخذها المعتزلة وكان القصد من ذلك كله هو نفي الصفات والزعم أن الله لا يتكلم كما زعم الجعد أن الله ما كلّم موسى تكليماً ولم يتخذ ابراهيم خليلاً، وقد بنى الجهم على هذا الأصل المبتدع تعطيله للصفات فقال:" إن الله لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد فلا يجوز أن يقال في حقه أنه حي أو عالم أو مريد أو موجود لأن هذه الصفات تطلق على العبيد، وقال إنما يقال قي وصفه أنه قادر موجد فاعل وخالق، محيي ومميت لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد، وكان يقول كلام الله حادث ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه".[٢] فكان ظهور هذه الفرقة (الجهمية) أساساً للبلاء والشقاء والاختلاف في هذه الأمة وقد سار على نهجهم بعض من جاء بعدهم، فتفرقت الأمة وانصدع صفها وتفرقت كلمتها بعد اجتماعها وتوحدها، ولعلّ هناك أسباباً تضافرت وأدت إلى مثل هذا الاختلاف، وقد كان للأثر اليهودي والنصراني والفارسي وغيرها من الأسباب التي أسهمت في نشأة مثل هذه المعتقدات والتأثير على مثل أولئك من أصحاب هذه المقالات، فقد كان الجعد بن درهم هو السلسة التي تتصل باليهود التي أخذ عنها الجهم التعطيل والقول بخلق القرآن وقد جمع الجعد بن درهم بين الزندقة والإلحاد، وهو من أهل حرّان تلك البيئة التي كانت تعجُّ بمختلف الفلسفات والآراء التي انتقضت عندما جاء الإسلام، وعكفت على اختراع البدع المناهضة لهذا الدين الجديد. فقام بطرح صنائعها الضالين كالجعد بن درهم والجهم بن صفوان وغيرهم ممن تطوّعوا للصد عن سبيل الله ومقاومة هذا الدين، وقد أورد ابن تيمية – رحمه الله – قولاً للإمام أحمد – رحمه الله – عن الجعد بن درهم فقال:" وكان يقال إنه من أهل حرّان وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات وكان بحرّان أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة، بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال." [٣]ويتضح الأثر اليهودي في هذه المقالات من خلال السلسلة التي أخذ عنها الجعد مقالته بخلق القرآن" وأخذه جهم عن الجعد بن درهم" وأخذه جعد عن أبان بن سمعان وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي – صلى

(١) انظر: المعايطة، الفرق الإسلامية، ص ١٠٤

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٥٠١.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد عبدالحليم بن عبد السلام الحرّاني الحنبلي، (ت:٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، ط٢، ج١، ص ٣١٣، تحقيق: د.محمد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، سنة ١٤١١هـ _ ١٩٩١م.

الله عليه وسلم –وكان لبيد يقرأ القرآن وكان يقول بخلق التوراة وأول من صنّف في تلك طالوت وكان طالوت زنديقاً..ثم أظهره جعد بن درهم"[١].

أمّا الأثر النصراني فيتضح من خلال أمر يوحنا الدمشقي وهو أكبر علماء اللاهوت في الكنيسة، فقد حاول إيقاف الدعوة الإسلامية"فألف رسالتين على شكل محاورة بين مسيحي ومسلم في شأن ألوهية المسيح وحرية الإرادة الإنسانية والغرض منها تبرير النصرانية والاستناد إلى أفكارها في مواجهة مفهوم التوحيد، وقد استدرج يوحنا بعض المسلمين إلى القول بخلق القرآن والصفات الإلهية، وهي مسائل لم يكن المسلمون يخوضون فيها، والواقع أن معبداً لم يبتكر هذا القول بالقدر وتعطيل الصفات من عنده ولكنه تأثر بكتابات يوحنا الدمشقي...قال الإمام أبو الحسن الأشعري ناسباً مقالة الجهمية في خلق القرآن إلى النصارى:" **وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى** أن كلمة الله حواها بطن مريم...."[٢].

وأمّا الأثر الفارسي، فلقد كانت أرض فارس ملئية بالملل والنحل ذات العقائد المختلفة والمتناقضة ولمّا دخل الإسلام بلاد فارس دخل عدد كبير من أتباع هذه المذاهب، وكثر ة هذه العقائد واختلافها كان له الدور في التأثير بل زرع بذور الفرقة والشقاق في التاريخ الإسلامي، فكان أكبر الأثر على معتقدات المعطّلة، فهم اتخذوا التنزيه غطاء لنفي القدر والعلم الإلهي، وامتد هذا الأثر للمعتزلة فكان أكثر مفكري المعتزلة من فارس أو من الموالي كأبي الهذيل العلّاف [٣]، والنظّام [٤] وغيرهم، فكان أعظم فلاسفة المعتزلة فُرساً.وهكذا فإن جميع هذه الآثار تضافرت وتوحدّت في سبيل تخريب وتدمير العقيدة الإسلامية وبث الفرقة والاختلاف، ولا شك أنّ هذه الآثار لم تكن لتنجح لولا أن وجدت أُذناً صاغية في الوسط الإسلامي، وقد أسهم في نشأة هذا الخلاف أيضاً عاملين وهما سوء القصد وسوء الفهم، فعدم فهم المراد اللغوي في مجمل النصوص الشرعية والعقدية بالإضافة إلى سوء القصد والرغبة في التخريب العقدي وتحريف النصوص[٥].

---

(٣) انظر: المعايطة، الفرق الإسلامية، ص ٥٠٧.

(١) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص ٦٨.

(٢) أبو هذيل العلّاف (١٣٥هـ_٢٣٥هـ)، محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس، من أئمة المعتزلة اشتهر في علم الكلام، وله مقالات في الاعتزال. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ١٣١.

(٣) النظّام (٢٣١هـ_٨٤٥ م).ابراهيم بن سيّار هانىء البصري، أبو إسحاق، من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة واطلع علي أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وتفرّد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة وسميّت باسمه (النظّامية). انظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص ٤٣.

(٥) انظر: المعايطة، الفرق الإسلامية، ص ١٠٧.

ولا بد من الإشارة إلى أن كثرة الخوض في هذه المسائل والتعمق في البحث في آيات الصفات لم يكن هو المنهج الذي سار عليه صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والسلف، بل كان مرتكزهم في هذه المسألة قائم على الأسس الثلاثة –السابقة الذكر–، وقد تمسكوا بظاهر ما ورد به السمع من غير تأويل ولا صرف عن الظاهر، ودون تعرض لها بتحريف أو تعطيل.

المطلب الثاني: أسماء الله الواردة في سورة السجدة

أولاً: الرب

ورد اسم الله تعالى الرب في سورة السجدة في ثمانية مواضع هي كالآتي:

١.قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢).

٢.قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة: ٣).

٣.قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١).

٤.قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ١٢).

٥.قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ (السجدة: ١٥).

٦. قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).

٧. قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة: ٢٢

٨.قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (السجدة: ٢٥)

ومعنى اسم الرب في اللغة: التربية وإنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، وهو المتولي لمصالح العباد.[١].

و الرّب: هو الله عزوجل، هو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك ولا يقال الرّب في غير الله.[٢]، فالله سبحانه هو الرب القوي العزيز الكريم الذي يكشف الكروب ويرفع البلاء وهو الحي القيوم رب السماوات والأرض ومن فيهنّ ورب كل شيء، فالخلق كله له والرزق كله منه والتدبير كله بيده ومصير الأمور كلها إليه، وهو سبحانه الرب الملك الحق رب العرش العظيم، لا إله ولا رب سواه[٣].

وتربية الرب عزوجل لعباده نوعان:

١.تربية عامة: وهي تربية الرب عزوجل لكل مخلوق مؤمناً كان أم كافراً، برّاً كان أم فاجراً تربية حكيمة بالخلق والتدبير والعطاء والمنع والإحياء والإماتة قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر: ٦٢)[٤].

٢. تربية خاصة: وهي تربية الرب لأوليائه، فوفقهم للإيمان به،وأعانهم على عبادته قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (الحجرات: ٧).[٥] فالرب هو الذي بيده مقاليد الأمور، ومما سبق يتبين أنّ معنى الرب يدور حول المعاني الثلاثة التالية:

١.المُبْلغ كل ما أبدع حد كماله الذي قدّره له [٦].

٢. السيّد.[٧].

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، المفرادت، ج١، ص ٢٤٥.
(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٣٩٩.
(٣)انظر: السقاف، صفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة، ص ٣.
(٤) التويجري، محمد بن ابراهيم، توحيد أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة، ط٢، ص ١٠٣، مكتبة الملك فهد، سنة ١٤٣٣هـ_٢٠١٢م.
(٥) المصدر السابق، ص ١٥٤.
(٦)عمر، أحمد مختار، أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة، ط١، ص ٥٥، عالم الكتب، القاهرة – مصر، سنة ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.
(٧). انظر: المصدر السابق، ص ٥٥.

٣.الملك المتصرف في مخلوقاته بإرادته[١].

وآيات سورة السجدة التي ورد فيها اسم الله تعالى" الرب" كلها تدور حول هــذه المعــاني وتبينها وتجليّها فالآية الأولى من سورة السجدة أثبتت أن رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم- من عند ربه العالم بكل شيء وردت على المشركين بأن القرآن هو كلام رب العوالم جمــيعهم وبينت أن هذه الرسالة قد بعث الله بها نبيه ليكون للعالمين نذيراً وبشيراً، فهي الرسالة التي أنعم الله بهاعلى الإنسان، فالخلق كله له والتدبير كله بيده، ومصير الأمور كلها إليه، فالله جلّ وعــلا المتصرف بالإحياء والإماتة وهذا ما بينته آية" قل يتوفاكم ملك الموت ثم إلى ربكم ترجعــون.." وبينت أن مصير الإنسان ومآله إلى الله عزوجل والكافرون يوم القيامة أمام خالق الكون وهــم آتون بجرم تكذيب النبي – صلى الله عليه وسلم – ويخاطبون رب العــالمين ندامــةً وحــسرةً وإقراراً منهم بأن ما وعدهم به الله رب العالمين حق، والمؤمنون يــسبحون الخــالق العظــيم المتصرف والمتفرد بالعبادة ويدعونه، فهو الرب الكريم الذي خلقهم وهداهم وساقهم إلى طاعته وأعانهم عليها وألقى في قلوبهم محبته وحبب إليهم الإيمان. وأختم هذه الآيات بقوله تعــالى" إنّ ربك يفصل بينهم يوم القيامة.."، فهي تُعمّق المعاني التي ذكرتها فهو المالك، والمتصرف فــي مخلوقاته الدال على وجوده قدرته وعلمه وإرادته وصنعته وحكمته. وهكذا فاسم الرب من أسماء الله التي تشعر العبد بالأمان والطمأنينة والسكينة، فالله هو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج عن ربوبيته وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته، وتحت قهره وهو الــذي يربي عباده فيطيعه خلقه ثم يهديهم إلى مصالحهم[٢]. ومما يلاحظ أن اسم الــرب هــو الأكثــر وروداً في السورة من باقي الأسماء الله الحسنى التي ودت فيها.

ثانياً: الله

ومعنى هذا الاسم: الذي يستحق العبادة وهو تعالى المستحق لها دون سواه.[٣]

والله عَلَم على ذات الله، وعَلَم أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الحشر:٢٢)، وقد ورد ذكره في سورة السجدة في موضــع واحد في قولــه تعــالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (الــسجدة: ٤)،

(١). انظر: المصدر السابق، ص ٥٥.
(٢) انظر: عمر، أسماء الله الحسنى، ص ٥٥.
(٢) انظر: الزجاج، ابراهيم بن السري بن سهل، تفسير أسماء الله الحسنى، (ت:٣١١هــ)، بــدون طبعــة، ص ٢٦، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، بدون سنة.

فالآية تتحدث عن الألوهية ومظاهرها وآثارها ودلائلها في صفحة الكون، فهو الإله العظيم الذي لا أعظم منه، حارت في عظمته الألباب، الملك والأمر كله بيده، فاسم الله يتضمن لصفات الألوهية، وهو أصل لجميع أسماء الله الحسنى قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ٢٤). لهذا كان هو أكثر الأسماء وروداً في القرآن الكريم واقترنت به عامة الأدعية والأذكار كسبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر. وكلمة التوحيد لا إله إلا الله هي مدار الدين كلّه.(١)

وهذا الاسم جامع لمعاني الأسماء وحقائقها، وهو أعظم أسمائه سبحانه لدلالته على الذات العليّة الجامعة لكل صفات الألوهية، المنعوتة بنعوت الربوبية، المنفردة بالوحدة في الذات والصفات والأفعال المعبودة بحق، وهو اسم انفرد به سبحانه فلم يسمَّ به غيره.فإذا تدبر العبد اسم الله عرف أن الله تعالى وحده له جميع معاني الألوهية وهي كمال الصفات وعدم الشريك في الأفعال والباري، فهو المالك لذلك كلّه وأنّ أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة، فإذا تقرر عند العبد أن الله وحده المألوه أوجب له أن يعلّق بقلبه حبه وخوفه ورجاءه وأناب إليه في كل أموره وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين.(٢)

فاجتماع هذين الاسمين من أسماء الله الحسنى" الرب" و"الله" في السورة، تكون السورة قد خاطبت القلوب والعقول بالعقيدة وركزتها فيها، فعقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد خالق الكون والإنسان ومدبر السماوات والأرض والمتصرف بهما ذلك أن اسم الله (الله والرب) تدور عليها بقية أسماء الله الحسنى وترجع إليها فاسم الله متضمن لصفات الألوهية واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، فهذان الاسمان يتضافران في تأصيل العقيدة،فاسم الرب ركز وأصّل عقيدة الربوبية، واسم الله أصّل عقيدة الألوهية، فعقيدة الألوهية هي أعظم أعمال القلب الذي ينبغي على العبد أن يحصلها وهي محبة الله والخوف منه ورجاء الله والثقة به.. وتوحيد الربوبية يعقد قلب العبد على أنّ الله وحده هو الخالق للعالم والرازق والمدبر المحيي والمميت، فها هي سورة السجدة خاطبت العقل البشري وقلبه وركزت العقيدة فيهما، وذلك

---

(١) انظر: التويجري، أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ص ٩٣، بتصرف. وانظر: اسماعيل، محمد بكر، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها،ط١، ص ٨-٩، دار المنار، القاهرة _مصر، سنة ١٤٢١هـ _٢٠٠٠م.

(٢) انظر: البارودي، عماد زكي، أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، بدون طبعة، ص ١٠٣،المكتبة التوقيفية، بدون سنة.وانظر: السعدي، أبو عبدالله عبد الرحمن بن ناصر بن عبداله، تفسير أسماء الله الحسنى، بدون طبعة،ص١٦٥، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – السعودية، سنة ١٤٢١هـ.

بذكرها اسمين من أسماء الله تعالى والذي عليها مدار العقيدة كلها فتوحيد الربوبية يتضمن توحيد الألوهية وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وكلاهما يعمّق معنى تعظيم الله عزوجل .

ثالثاً: العزيز

ورد اسم الله" العزيز" في سورة السجدة في موضع واحد في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (السجدة: ٦).

والعزيز: من أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، ويعني أنه الممتنع فلا يغلبه شيء، والقوي الغالب كل شيء، ومنه المُعِزّ: وهو الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده. والعز في الأصل: القوة والسيادة والغلبة والرفعة.. [(١)].

وقد ورد هذا الاسم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾(فاطر:١٠). فالعزة مُلْكٌ خالصٌ لله تعالى، فالله تبارك وتعالى هو العزيز الذي لا يُغْلب، العزيز الذي لا يقهر، المالك لكل شيء، العزيز الذي أحاط بكل شيء ولا يعجزه شيء. فسبحان الله العزيز الذي أنزل كتابه العزيز وأعز به رسوله-صلى الله عليه وسلم- وعباده المؤمنين، هو سبحانه العزيز الذي له جميع معاني العزة من جميع الوجوه، عزة القوة، عزة القهر، عزة العلو.[(٢)]

فنظرة عقدية لهذا الاسم ندرك من خلالها ما لهذا الاسم من معانٍ عظيمة، منها أنّ مصدر العزة ومنبعها هو الله عزوجل، وهذا يحتم على العبد أن لا يطلب العزة إلا منه سبحانه وتعالى، فهو الملك العزيز الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء خلقاً وإيجاداً وأمراً وتدبيراً. قال تعالى:" ولله العزة ولرسوله والمؤمنين ولكنّ أكثر المنافقين لا يعلمون". واسم الله" العزيز" عادةً ما يرد في القرآن الكريم مقروناً بالحكمة واسم الحكيم. لأن اسم الله" العزيز" بما فيه من المعاني المتقدمة لا يظهر كمالها على الوجه الأكمل إلا إذا روعي فيها الحكمة التي تفيد أنّ الآثار المترتبة على هذه المعاني إنما تقوم على العدل المطلق والنظام الدقيق والتدبير المحكم.[(٣)]، إلا

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٧٤. وانظر:الزجاج، تفسير أسماء الحسنى، ص٣٤.
(٢) انظر: التويجري، أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٤٠.
(٣)انظر: اسماعيل، محمد بكر، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، ص٤١.

إنه في آية سورة السجدة قُرن باسم" الرحيم" بعد ما ذكرت السورة أن الله خلق الخلْق، بينت أنه خلقهم على أحوالٍ فيها لطف بهم، فهو رحيم بهم فيما خلقهم إذ جعل أمور حياتهم ملائمة لهم.(١)

فإذا ذكر المسلم ربه باسمه" العزيز" استشعر في أعماق قلبه بعزة المؤمن وقوة الإيمان واعتقد اعتقاداً جازماً أنه محاط بعناية الله تعالى، وأحس ببرد اليقين في كيانه كله، وهذا ما أكدته سورة السجدة فبعد أن بينت صحة رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه من عند الله سبحانه وردت على المشركين افتراءاتهم وبينت خلق السماوات والأرض ووضحت أن الله مدبر ما في الكون وأنه بيده، والعالِم بكل شيء ذكرت أنه العزيز المستغني عن غيره، حتى يستشعر العبد أنه أمام قدرة قادرة وإرادة نافذة وعلم محيط ورحمة واسعة ونعمة غامرة فهو الشديد القوي الممتنع بقوته عن سائر خلقه.

رابعاً: الرّحيم

ورد اسم الله"الرّحيم" في موضع واحد من سورة السجدة قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (السجدة: ٦). والرّحيم من رحم: والرّحمة والتعطف، والرّحمة: المغفرة، قال تعالى:" هدىً ورحمة لقومٍ يؤمنون" أي هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم ورحمة الله وسعت كل شيء. (٢).

والرّحمة عامةٌ لجميع الخلائق، وخاصةٌ في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو الذي يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع.(٣)

" والرّحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها. هذه هي الرحمة الحقيقة فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك.."(٤)

فهو الرّحيم بجميع مخلوقاته الذي كتب على نفسه الرّحمة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾(الأنعام: ٥٤). وعادةً ما يقرن اسم الرّحيم بالرحمن، واسم الرحمن يختص بالله

---

(١)انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢١٥، بتصرف.
(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٣٠.
(٣) انظر: الزجاج، أسماء الله الحسنى، ص٢٩.
(٤) الزجاج، أسماء الله الحسنى، ص ٢٠٨.

سبحانه وتعالى ولا يجوز إطلاقه على غيره، وقيل: الرّحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم. والرّحيم: فاض برحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو الذي يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم.[١]، وهذا الاسم يدل على أن الله عزوجل مستغنٍ بذاته عن سائر خلقه. وتتجلى مظاهر رحمته سبحانه بعباده في السورة في الخلق والإحياء والإماتة والرزق،وإرسال لهم الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم –والكتاب المجيد، وخلق لهم كل ما في الأرض وهو المتكفل بتدبير أمورهم كافة، فالرّحمة معناها: إحسانه وإنعامه، فالله أغدقهم بنعمائه ورحمته وهذا ما بينته سورة السجدة. فالعبد عندما يكرر اسم الله" الرّحيم" فإن سحائب الرّحمة تغمره ويجد نفسه مدفوعاً بشوق وشغف إلى تكرار هذا الاسم في دعائه وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥).

وهكذا فإن هذه الأسماء الأربعة الواردة في السورة تتضافر لتبرز مسائل العقيدة، فتبدأ سورة السجدة باسم (الرب) فهو الخالق الذي أوجد المخلوقات بقدرته ودبرها وسواها وأحكمها الذي أتقن كل شيء، بقدرته يحيي ويميت، وهو المربي جميع عباده بالتدبير، والمربي أولياؤه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، فاسم (الرب) يركز عقيدة الربوبية لله عزوجل المتعلقة في الخلق والإيجاد والتدبير وتصريف الأمور. وبعده اسم (الله) فهو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فهو يركز عقيدة الألوهية المتمثلة بعدم استحقاق أحد سواه للعبادة، ثم اسم (العزيز) المتمثل بعزته وقوته وقدرته فالعزة كلها لله تعالى، واسم (الرحيم) الذي تتجلى مظاهر رحمته في خلقه بإيجادهم وتكريمهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإحسان خلقهم، وما أعدّ لأهل الجنة من أصناف النعيم وأنواع العقاب لأهل النار، إلى غير ذلك من الأمور التي تجلّي مظاهر رحمته جلّ وعلا.

المطلب الثالث: الصفات المتعلقة بالقضاء والقدر

أولاً:صفة الخلق والتدبير

للإيمان بالقضاء والقدر مكان علي وأهمية كبرى في حياة المسلم، فالإيمان به مبدأ الدين القويم وختامه، وهو أحد أركان الإيمان، ومما يدل على أهميته كثرة وروده في نصوص الشرع التي بينت حقيقته ووضحت أمره وأوجبت الإيمان به، وما يترتب على الإيمان به من عظيم

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

الثمرات في الدنيا، وما يترتب على الكفر به والضلال في فهمه، والإيمان بالقدر أمر فطري دل عليه الكتاب والسنة، وأما تعريف القضاء والقدر هو:

" تقدير الله تعالى الأشياء في القِدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلم صفات مخصوصة وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدّرها وخلقه لها.."(١).

ومراتب القضاء والقدر أربع:

"١- العلم: أي أن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم(٢).

٢- الكتابة: أنّ الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.(٣).

٣-المشيئة: أي أنّ ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن(٤). - سيأتي شرحها لاحقاً -.

٤-الخلق والتكوين: أنّ الله خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد." (٥).

ولا شك بأني لستُ بصدد الحديث عن القضاء والقدر بلغة البسط والإسهاب، إنما عرّفت به فقط وذكرتُ مراتبه للدخول في الحديث عن الصفات الواردة في السورة والمتعلقة به.

وأمّا عن هذه الصفة فإنها تقتضي الإيمان أنّ جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها، وحركاتها وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوجَد من العدم كائن بعد أن لم يكن، وهي صفة من صفات الله الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة وهي من صفات الذات و صفات الفعل وهي القدرة على الإيجاد والإنشاء والتكوين، فكل شيء مخلوق لله تعالى بأمره وفعله وقوته وحكمته، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤). والأدلة كثيرة على ذلك من القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).وقال تعالى:﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣). وقال تعالى:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢).

---

(١) انظر: الحمد، محمد بن ابراهيم، الإيمان بالقضاء والقدر، ط١، ص ٦١، دار الوطن، سنة ١٤١٦هـ.
(٢) انظر: المحمود، عبدالرحمن بن صالح، القضاء ولقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط٢، ص ٤٠، بدون دار، سنة ١٤١٨هـ.
(٣) انظر: المحمود، القضاء والقدر، ص ٤٠.
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) انظر: المصدر السابق.

والأدلة التي سقتها في المبحث السابق من أدلة وجود الله في السورة وهي خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وكل الأمور المتعلقة بهما تدل دلالة واضحة على هذا الأمر.

وخلق الله تعالى للأشياء كلها يقتضي ذلك أن الله هو المدبر والمتصرّف في كل هذا الكون، فلا مدبر ولا متصرف بكل أمور الكون من الإحياء والإماتة والخلق والإيجاد والرزق، إلا هو سبحانه وتعالى. فلا مدبر لجميع أمور الخلائق في العالم السفلي والعلوي إلا هو سبحانه، وقد دلّت الآية الكريمة" يدبر الأمر من السماء إلى الأرض" في سورة السجدة على هذا الأمر.. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤)، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾(السجدة: ٧).﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ (السجدة: ٧). ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ (السجدة: ٥).

ثانياً: صفة الإرادة والمشيئة

وردت صفة الإرادة والمشيئة في سورة السجدة في قوله تعالى:" ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة: ١٣).

وهذه الصفة ثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة وتقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته، وقد دلّ عليها" إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا بمشيئة الله وحده فما شاء كان ولما لم يشأ لم يكن، وهذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن".[1]

وقبل الإشارة إلى ورود هذه الصفة في سورة السجدة لا بد من توضيح الإرادة وأنواعها، قال صاحب الطحاوية:" وكل شيء بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء

(١) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ط١،ج١، ص١٢٥، مكتبة السوادي، جدة _السعودية، سنة ١٤١٢هـ_١٩٩٢ م.وانظر: الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر ،ص٦٥.

لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعـــالى:"﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٩).، وقال تعالى:" ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾. (يونس: ٩٩)." (١)

فالله سبحانه وتعالى لا يرد قضاؤه وأمره مراد، ولا يؤخر حكمه مؤخر، وإرادته سبحانه وتعالى نوعان:

١. إرادة قدرية كونية (من الخَلْق):وهي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات التـــي تتعلـــق بأمور ليس للإنسان فيها اختيار،كخلق السماوات والأرض والموت والحيـــاة، وعُمـــر الإنـــسان ورزقه وأجله، فهذه هي الإرادة الشاملة لكل حركة، وهي المشئية العامة التي يدخل فيها جميـــع المخلوقات من بَر وفاجر وصالح وطالح، وهي من لوازم الربوبية وهي التي تـــستلزم وقـــوع المراد، والمراد نوعان:

أ). مراداً لذاته: وهو ما كان محبوباً لله تعالى، لما فيه من الخير، كخلق الأنبياء والـــصالحين وكافة الفضائل(٢).

ب). مراداً لغيره: وهو ما ليس مقصوداً بحد ذاته وإنما وسيلة إلى غاية فقد يكون بحد ذاتـــه مكروهاً ولكنه يُراد لأنه يوصل إلى غاية أكبر، ومثالٌ عليه: خَلْق إبليس، فهو ليس مرادا لذاته وإنما مرادا لغيره، فخلق ابليس وسيلة إلى محاب كثيرة لله تعالى منهـــا: أن يُظهـــر للناس قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق ابليس يقابله خلق جبريـــل عليه السلام.(٣)

٢. الإرادة الشرعية: وهي الإرادة والمشيئة التي تشمل مطالب الله من العباد من أوامـــر ونواهٍ وهذه هي المتضمنة لمحبة الله ورضاه أو غضبه، فهي المتعلقة بأوامرالله ونواهيـــه فـــالله أراد من الإنسان الطاعة ولم يرد منه المعصية، والإرادة هنا معناها: الطلب، اما الإرادة الأولى معناها: الخلق(٤).

---

(١) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥١.

(٢) انظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥١، وانظر: المحمود،عبد الرحمن بن صالح، القـــضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه،ص٤٠_٤٢، وانظر: القيسي، مروان ابراهيم، التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، ط١، ص ١٢٢_١٢٦، عمان _ الأردن، دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية، سنة ١٤٠٤ هــ _ ١٩٨٤ م.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: القيسي، التحفة السنية، ص ١٢٣.

ومن أمثلة الإرداة الكونية في القرآن الكريم قوله تعـالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ (فصلت: ١٢).، والإرادة الشرعية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢)، اما الإرادة الشرعية قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحـل: ٩). ومـن الإرادة الكونية: قوله تعـالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(المائـدة: ٢٦)، والإرادة الشرعية: قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ (المائدة: ٣). [١]

والإرادة الشرعية قد تنفذ وقد لا تنفذ، ولو كانت الإرادة الشرعية هي الإرادة الكونية لتاب الناس جميعاً ولهُدوا جميعاً فالإرادة الشرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبـه ويرضـاه، وبين الإرادة الشرعية والكونية عموم وخصوص، فالكونية: أعم من جهة أنها لا تتعلـق بمثـل إيمان الكافر وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية: أعم من جهة تعلقها بكل مأمور بـه، واقعـاً أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون مأمور به.[٢]

وآية سورة السجدة تقرر ما جاء سابقا عن هذه الصفة قـال تعـالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(السجدة: ١٣). فالله تعالى يخبر أنه لو شاء لجعل الناس امة واحدة، ولهدى كل البشر والنفوس إلى الرشد ووفقها للإيمـان به، ولكن الله أوجب العذاب للذي يحيد عن الطريق الصحيح. فالله تعالى هو الـذي أراد كفـر الكافرين وكل ذلك في علمه السابق" فإذا كان قد علم أنّ أبا لهب سيكفر فهذا معنـاه أنـه لـن يستطيع أن يخرج عن علمه ويؤمن، وهذا دليل على أنّ الله تعالى سيحول بقدرته بينـه وبـين الإيمان، فلن يقدره عليه ولن يقدر أبو لهب على خلاف ذلك، اما الأسباب فهي مقدورة له، ولكن الله تعالى لم يوفقه ولم يقدره على بلوغ غاياتها. فما آمن من آمن إلا بفضل الله ورحمته، ومـا

(١) انظر: المصدر السابق.
(٢) الوصيفي، أبو عبد الرحمن علي بن السيد، القضاء والقدر عند السلف، بدون طبعة، ص ٦٣، دار الإيمان، سنة ٢٠٠٢ م.

كفر من كفر كرهاً عنه إنما كان ذلك بخذلان الله تعالى له:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾(يونس:٩٩)[١].

وبذلك يكون معنى الآية الواردة في سورة السجدة: "وَلَوْ شِئْنَا) يا محمد (لآتَيْنَا) هـؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله (هُدَاهَا) يعني: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله (وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مني) يقول: وجب العذاب مني لهم، وقوله: (لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ منَ الجِنَّة والنَّـاس أجمَعِينَ) يعني: من أهل المعاصي والكفر بالله منهم"[٢].

فالآية تقرر قاعدة عظيمة وهي أن الله عزوجل له الامر من قبل و من بعد، فلـو أراد أن يكون الناس جميعاً مؤمنين لآمنوا، ولكن الله أراد امتحانهم واختبارهم وأعطاهم العقول ليدركوا بها النفع والضر، والصلاح والفساد والتعمير، وتكشف له بالتدبر عواقـب الأعمـال المـشتبهة والمموّهة بحيث يكون له اختيار ما يصدر عنه من أنواع الأفعال، والذي يختار طريق المعاصي والكفر بالله فإنه سيكون من اهل جهنم وكل هذا لا يخرج عن إرادته سبحانه وتعالى، فالله تعالى لو أراد لآتى المشركين رشدهم وتوفيقهم للايمان ولكن حق ووجب منه القول أن يملأ جهنم من أهل الكفر والمعاصي من صنفي الجن والإنس أجمعين وذلك لاختيارهم الضلالة. وكما وتؤكـد الآية نوعي الإرادة: الإرادة الكونية بأنه لا يوجد شيء خارج عن إرادة رب العالمين، وتقـرر الإرادة الشرعية واختيار الإنسان لطريقه. فإذا اختار طريق الضلال ضل فكانت النار أولى به، فتتضح بذلك الإرادة الكونية بأن الله تعالى قد خلق المؤمنين والكافرين والفـضائل والحـسنات والسئيات.

(١) انظر: المصدر السابق، ص٦٣.
(٢) الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٧٦.

المطلب الرابع: الصفات الذاتية [(١)]

أولاً:صفة العلو

صفة العلو إحدى الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم–وهي من الصفات الثابتة لله تعالى في القرآن الكريم والسنة المطهرة.فقد أخبر الله تعالى عن نفسه أنه عالٍ على كل شيء،وأنه تعالى لا شيء فوقه فله العلو المطلق: علو الذات والفوقية والقدر والشأن، وأهل السنة جميعاً يعتقدون بهذا الأمر وهو أن الله عزوجل فوق جميع مخلوقاته كافة،: علو الذات[(٢)]. وإن كان علوه مطلقاً إلا أنه لا تخفى عليه خافية فهو عالٍ على خلقه ولكنه يعلم أعمالهم وأقوالهم وكل شيء يخصهم.[(٣)]. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾.(الزخرف: ٨).

فالعلو: صفة ذاتية ثابتة لله عزوجل بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة – كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً–.و ورد في سورة السجدة ما يدل على ذلك: قال تعالى:﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢). وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥).

ومن الأدلة التي تثبت بها صفة العلو أنّ الآيات تواترت في ثبوت هذه الصفة في وتدل جميعها دلالة قطعية على إثبات علوه سبحانه وتعالى على خلقه ومن تلك الآيات بالإضافة إلى آيات السورة الكريمة:

---

(١) .تقسم الصفات من حيث إثباتها إلى : ثبوتية وهي ما أثبته الله لنفسه في كتابه او على لسان رسوله مثل : العلم والقدرة والحياة والقدرة والاستواء . وصفات سلبية : وهي ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – مثل : النوم والجهل والموت والنسيان .وتقسم الصفات الثبوتية من جهة تعلقها بالله تعالى إلى : الصفات الذاتية وهي : التي لا تنفك عن الذات مثل الوجه واليدين والعينين والأصابع، والصفات الفعلية وهي : التي تنفك عن الذات مثل : الاستواء والمجيء والإتيان والنزول .وتقسم من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين : الصفات الشرعية العقلية : وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي والفطرة السليمة ومنها العلم والسمع والبصر، والصفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع ومنها الوجه واليدين والعينين. انظر : عاشور، سعد عبدالله، منهج السلف في إثبات الصفات الإلهية، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد ١٥، العدد ١، سنة ٢٠٠٢، ص ١٨٩.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٧٦.

(٣) انظر: ابن تيمية، تقي الدين الحرّاني، (ت: ٧٢٨)، الأسماء والصفات، بدون طبعة، ج١، ص ١٧، دراسة وتحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٤) المصدر السابق.

١–قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٢–قال تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (النساء:١٥٨).

٣–قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠).

ففي الآية الأولى" وهو العلي العظيم"، صرّح الله عزوجل بعلوه المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وقهراً.[١]. وفي الآية الثانية" بل رفعه الله إليه" أنّ الله له صفة العلو، فمن المستحيل أن يهبط إلى بطنها أو إلى أي مكان اخفض منه ويقال: رفعه الله إليه، مما دل على صفة العلو لله تعالى. وفي الآية الثالثة" وهو القاهر فوق عباده"" إخبار منه سبحانه بأنه فوق جميع عباده من الجن والإنس والملائكة الذين هم سكان السماوات.[٢]

وفي الآية الثالثة " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه". أن العمل الصالح وأي شيء طيّب يصعد به إلى الله عزوجل. وفي الآية الخامسة" تعرج الملائكة والروح إليه": أنّ الملائكة تصعد إليه والصعود يكون من الأسفل إلى الأعلى.[٣]

وأما في السنة النبوية الشريفة فقد وردت مجموعة من الأحاديث التي تبين أنّ الله تعالى متصف بصفة العلو والفوقية منها:

١–ما رواه أنس قال: جاء زيد بن حارثة، فجعل النبي –صلى الله عليه وسلم – يقول:" اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كاتماً شيئاً لكتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – تقول: زوّجكنّ أهاليكنّ وزوجني الله من فوق سبع سماوات".[٤]، وهذه الجملة من الحديث (زوجني من فوق سبع سماوات) فيها دلالة واضحة على صفة العلو والفوقية لله سبحانه وتعالى، فالله عالٍ فوق سماواته وعلى جميع مخلوقاته.

---

(١) انظر: ابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي، (٥٤١_٦٢٠هـ)،إثبات صفة العلو، ط١،ص٤٣، الدار السلفية، حولي – الكويت، سنة ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م. وانظر: المسند، صالح علي، صفات الله عزوجل، ط١، ص١٦،دار المدني، جدة، سنة ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٥٣٧.
(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٥، ص ٤٠٦. وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٣١٢.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب " وكان عرشه على الماء " (هود:٧) و"هو رب العرش العظيم " (التوبة:١٢٩)، حديث رقم ٧٤٢٠، ج٩، ص ١٢٤

ومن أنصع الأدلة وأكثرها وضوحاً وجلاءً في إثبات علوه سبحانه وتعالى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – شهد للجارية بالإيمان حين وجّه لها سؤالين إحداهما أنها أجابت أن الله تعالى في السماء، فرضي – صلى الله عليه وسلم– إجابتها وأقرها عليها وشهد لها بالإيمان، حيث جاء في الحديث الطويل الذي رواه معاوية بن الحكم السُّلمي، قال:".... وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوّانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذّيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكنّي صككتها صكّة فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعظّم ذلك علي قلتُ: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال" ائتني بها" فأتيته بها، فقال لها:" أين الله؟ قالت في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة".(١). وهذا الحديث من أوضح الأدلة على إثبات علوه سبحانه وتعالى ووجه الدلالة أن الجارية قالت عندما سألها الرسول – صلى الله عليه وسلم– أين الله؟ قالت في السماء. فلو كان غير ذلك لمَ أقرها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وشهد لها بالإيمان؟.فالرسول – صلّى الله عليه وسلّم – يستحيل أن يسأل سؤالاً فاسداً ويستحيل أن يقر جواباً فاسداً بحضرة صحابته – صلى الله عليه وسلم – فقد حكم بإيمانها لمّا أقرت أنّ ربها في السماء وعرفته بصفة العلو والفوقية.(٢)

وثبتت صفة العلو بالفطرة. فكم من إنسان إذا أراد جلب ما ينفعه أو كشف ما يضرّه، رفع بصره ويديه نحو السماء، وإذا ما حلّ بالبشر كرب فنراهم يتوجهون بأعينهم نحو السماء ويرفعون أيديهم نحوها، وتلهج ألسنتهم بدعاء الله عزوجل وطلب رحمته ولطفه،" إن علوه سبحانه وتعالى على العالم وأنه فوق السماوات كلها وأنه فوق عرشه أمر مستقر في فطر العباد معلوم لهم بالضرورة كما اتفق عليه جميع الأمم إقراراً بذلك وتصديقا من غير تواطىء منهم على ذلك..وهم يخبرون عن أنفسهم أنهم مضطرون إلى توجيه قلوبهم إلى العلو كما أنهم مضطرّون إلى دعائه وسؤاله.. فكما لا تتوجه قلوبهم إلى رب غيره ولا إلى إله سواه فكذلك لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى غير العلو... (٣). ومما يبين هذا الأمر أن أبا المعالي

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم ٥٣٧، ج١، ص ٣٨١.

(٢) انظر: الشمالي والعوايشة، ياسر وأحمد، التحقيق في صحة حديث الجارية وبيان ما يستنبط منه دراسة حديثية عقدية، منشورات جامعة اليرموك – عمادة البحث العلمي، عدد ٤، ص ١٨٣٠، سنة ٢٠٠٤. وانظر: التويجري، حمود بن عبدالله بن حمود، إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من رغم أن معية الله للخلق ذاتية،ط١،ص٢٠، مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥م..

(٣) وهبي، عبد الهادي بن حسن، الأسماء الحسنى والصفات العلى، ط١، ص١٣٢، بتصرف، دار الدليل الأثرية، السعودية، سنة ١٤٢٨_٢٠٠٧م.

الجويني[١] كان يعرِّض بإنكار علوه سبحانه وتعالى وكان يقول في مجلسه:" كان الله ولا شيء وهو الآن على ما كان عليه، فقال أبو جعفر الهمداني[٢]: دعنا من ذكر العرش لأنه ثبت بالسمع وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا: ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه وقال: حيّرني الهمداني..حيرني الهمداني.." [٣]وأمّا دلالة العقل على ذلك، فالعقل دلّ على علوه سبحانه من عدة وجوه منها:

" الأول: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

الثاني: أنه – تعالى – لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته والأول باطل.

أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس، والقاذورات ـــ تعالى الله ـــ عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

والثالث: أن كونه – تعالى – لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول فيكون موجوداً، إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعيّن الثاني فلزمت المباينة."[٤]

وبعد الانتهاء من هذه الجولة السريعة مع أدلة إثبات صفة العلو الله عزوجل، بقي أن أقف مع دليلين من أدلة إثبات العلو لله تعالى الواردين في سورة السجدة. الموضع الأول من السورة هوالآية الثانية من السورة فبعد أن افتتحت سورة السجدة بالأحرف المقطعة (آلم)، وذلك لبيان

---

(١) أبو المعالي الجويني (٤١٩ – ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ – ١٠٨٥ م) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: من أصحاب الشافعيّ. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها.انظر: الأعلام،الزركلي، ج٤، ص ١٦٠.

(٢) أبو جعفر الهمداني (٣٣٠هـ)، أحمد بن محمد بن الضحاك سيد همدان وأحد كبار المقاتلين في اليمن.انظر: الأعلام، الزركلي، ج١، ص٢٠٧.

(٣) انظر: عبد المقصود، القواعد الطيبات، ص ١٢٥.

(٤) الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، مباحث العقيدة في سورة الزمر،ط١، ص ٤٤، مكتبة الرشد، الرياض_السعودية، سنة ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

عظمة وإعجاز هذا الكتاب الكريم وقطعت بصحة هذا الكتاب وأنه من عند الله عزوجل ومنــزل على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم-،فليس بسحر ولا شعر بل هــو كــلام رب العــالمين، وبينت ذلك من خلال كلمة تنزيل فهذه الكلمة أثبتت أمرين:

١- أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي لا شك فيه أنه من عنده،" ومعنى لا ريب في أنه ليس أهلا لأن يرتاب أحد في تنزيله من رب العالمين لما حفّ بتنزيله من الدلائل القاطعة بأنه ليس من كلام البشر.." (١)

٢- صفة العلو لله عزوجل ذلك أن معنى كلمة تنزيل في اللغة مأخوذة من الجذر الثلاثي نَزَلَ والنزول في اللغة: هو انحطاط من علو، وإنزال الله نعمه ونقمه على الخلــق وإعطــاؤهم إياها وذلك إمّا بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن وإمّا بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس.(٢).

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ (الكهف:١). وقال تعــالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ (الشورى: ١٧). وقال تعالى: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (المائــدة:١١٤). فنــزول الشيء يكون من أعلى إلى أسفل وهذه دلالة واضحة على إثبات العلو وأنه فــوق المخلوقــات جميعاً.

وأما في الموضع الثاني من السورة فقد أشار إلى علو سبحانه وتعالى ودلّ عليه من خلال تصريح الله عزوجل بأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (السجدة: ٥). فها هو الله سبحانه وتعالى يخبر أنه يدبر الأمــر من السماء.(٣) فاللغة العربية التي خاطبنا الله عزوجل بها تبين بأن تدبير أمــر الــسماء إلــى الأرض إنما يدبره المدبر وهو في السماء لا في الأرض، فهذه الآية من أبرز الآيات التي تدل على فوقية الله عزوجل وعلوه.

فإذا ما استشعر الإنسان هذه الآيات الكريمات التي وضحت إثبات العلو صــفةً لله، بــل وتفكر بعمقٍ شديد في هذه الصفة، تراه يتعبّد بمقتضى صفة العلو حيث يصير له خالقاً فيناجيــه

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٠٦.
(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج٢، ص ٦٣١.
(٣) القصاص، إثبات علو الله على خلقه، ج١، ص ١٣٢. بتصرف

قلبه ويقف مطرقاً واقفاً بين يديه مقام العبد الذليل بين يدي الملك العزيز العلي، الذي كَمُل في علاه(١).

فعلو ذاته: في أنه فوق جميع خلقه مباينٌ لهم، وهو مع هذا مُطلعٌ على أحوالهم، وعلو قهره: قهره تعالى لجميع المخلوقات، فالعالمين السفلي والعلوي كلهم خاضعون له سبحانه وتعالى، وعلو قدره: علو صفاته وعظمتها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(النحل: ٦٠)، يعني أن صفاته كلها ليس فيها نقص بوجه من الوجوه." إذا شهد العباد مشهد علو الله على خلقه فوق سماواته وأنه بائن من خلقه، فإنهم يرفعون إليه أيديهم عند الرغبات. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ

ثانياً: صفة العلم

دلت السورة على إثبات صفة العلم لله عزوجل في آية من آياتها وهي قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (السجدة: ٦).

فصفة العلم هي إحدى الصفات الذاتية لله عزوجل التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، فهي صفة ذاتية لا تنفك عنه أزلاً وأبداً، فهو تعالى يعلم بعلم. ومنها اشتق"اسم العليم"، وهي ثابته لله تعالى في الكتاب والسنة النبوية المطهرة الصحيحة فمن بين الآيات الكريمة (٢) ما يأتي:

١-قوله تعالى:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقره:٢٥٥).

٢-وقوله تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المائده:٩٧)

---

(١) وهبي، عبد الهادي، الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن،بدون طبعة، ص٣٧٠،سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
(٢) انظر: السقاف، علوي، صفات الله كما في الكتاب والسنة،ص٢٢١. وانظر: المسند، صفات الله عزوجل، ص٩٥.

٣ – قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩).

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر– رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال:"مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله:لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله".[(١)]

وروى البخاري أيضاً فيما يقال بدعاء الاستخارة عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما– قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّمنا الاستخارة وفي الأمور كلها كما يعلّمنا السورة من القرآن الكريم،يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقلّ: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علّام الغيوب..........الحديث"[(٢)]

فالشاهد من هذين الحديثين: أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم الغيب سواء أكان هذا الغيب يتعلق بالحاضر أو الماضي أو المستقبل. والحديث الأول يبين ما سبق الحديث عنه في تمهيد الدراسة ألا وهو علاقة سورة السجدة بسورة لقمان التي قبلها. فضمن صلة السورتين جاء في سورة السجدة شرح لمفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة ما قبلها سورة لقمان فقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجده:٥) شرح لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (لقمان:٣٤) ولذلك عقب بقوله سبحانه:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (السجده:٦)[(٣)].وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ (السجده:٢٧)، شرح لقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ (الشورى: ٢٨).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعال:" عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا" (الجن:٢٦) و"إن الله عنده علم الساعة " (لقمان:٣٤) "وأنزل بعلمه " (النساء: ١٦٦) " وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه "(فاطر:١١) " وإليه يرد علم الساعة "(فصلت:٤٧)، حديث رقم ٧٣٧٩،ج٩،ص١١٦.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، بدون رقم للحديث، ج٢، ص ٥٧.
(٣) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ج١،ص١١٣.

إذاً فآية سورة السجدة السابقة"عالم الغيب الشهادة"وما تحمله من شرح لمفاتيح الغيب الواردة في سورة لقمان والآيات التي سقناها للتدليل على صفة العلم، كلها تدل على أنه تعالى عالم بعلم وأنّ علمه محيط بكل الأشياء الشاهدة والغائبة من الكليات والجزئيات، فهو عالم بجميع أحوال خلقه وأرزاقهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن أهل النار ولا يخفى عليه شيء في السر ولا في العلن، وفي العالم العلوي غير المشاهد وغير المحسوس، والعالم السفلي المحسوس. لا يعزب عن علمه سبحانه أي شيء في الأرض ولا في السماوات، فالله عزوجل له العلم المطلق بجميع الأشياء فعلمه شامل وإحاطته شاملة لكل شيء أيضا ً.[١] فسورة السجدة تبين بوضوح تام هذه الصفة، في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (السجدة: ٦). وكما تقدم فآيات سورة السجدة تحمل شرحاً لمفاتيح الغيب وما تعرضه من التدبير والخلق والعلو وتنزيل الكتاب، كله يحمل معنى العلم أي أنّ الله سبحانه عالم بكل ماهو غائب ومشاهد." عالم الغيب والشهادة: أي ذلك المدبر لأمور الخلق هو العالم بكل شيء يعلم ما هو غائب عن الخلق وما حضرهم.[٢]

وهكذا...من خلال ما تقدم من أدلة قرآنية وبعضاً من الأحاديث تبيّن أنّ كلها نصوص صريحة في إثبات صفة العلم تضافرت مع ما أثبتته وبينته سورة السجدة.

المطلب الخامس: الصفات الخبرية

الاستواء على العرش

دلّت سورة السجدة على إثبات صفة الاستواء على العرش لله سبحانه وتعالى وذلك في قوله عزوجل : :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة:٤). فالاستواء على العرش صفة من صفات الكمال الثابتة لله تعالى، وقد دل النقل على هذه الصفة حيث أثبتها الله لنفسه في كتابه العزيز، وأثبتها له رسوله – صلى الله عليه وسلم – في سنته المطهرة، وهي من الصفات الفعلية لله تعالى. وصفة الاستواء مرتبطة بصفة العلو التي عرضتها سابقاً، ذلك أن صفة الاستواء من الأدلة التي يستدل بها على صفة العلو لله تعالى. ولكن ثمة فرق بين الصفتين يتلخص بالآتي:

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص ٤٦١.

١.العلو صفة ذاتية والاستواء صفة فعلية.(١)

٢.العلو معلوم بالسمع والعقل والاستواء على العرش معلوم بالسمع فقط.(٢)

٣.العلو عام على المخلوقات جميعاً والاستواء على العرش علوٌ خاص بالعرش، فـالعلو أعمّ والاستواء أخصّ.(٣)

وقد وردت صفة الاستواء على العرش في سبعة مواضع فقط في القرآن الكريم وهي على النحو الآتي:

١–قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

٢–قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس:٣)

٣–قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد:٢)

٤–قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ (طه:٥).

٥–قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٩)

(١) انظر: سعد ومحروس، عادل و عمرو، موسوعة الأسماء والـصفات، ط١، ج٢، ص ٨١٥، دار الكتـب العلمية، بيروت _لبنان، ١٤٢٧هـ _٢٠٠٦م.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٨١٥.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٨١٥.

٦–قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة:٤).

٧– قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.(الحديد: ٤).

فهذه سبعة مواضع في كتاب الله تعالى تدل دلالة واضحة بانّ الله أثبت لنفسه فيها صفة الاستواء على العرش وتدل على علوه تعالى فوق مخلوقاته، كما تدل على انه مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله من دون تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل. وقد ورد الاستواء في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه:

١.مطلق، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (القصص: ١٤). أي: كَمُل. (١)

٢.مقيد ب (إلى) وقد ورد في موضعين في القرآن الكريم: قوله تعالى:" هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء" (البقرة: ٢٩). وقوله تعالى:" ثم استوى إلى السماء وهي دخان" (فصلت: ١١)، ومعناه: العلو والارتفاع.(٢)

٣.مقيد بـ (على) كقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ (الزخرف: ١٣) ومعناه هنا العلو والارتفاع أيضاً ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه:٥) فاستواء الله على عرشه معناه: علوه واستقراره عليه علواً واستقراراً يليق بجلاله وعظمته. (٣).فلفظ الاستواء إذا عُدِّي بـ(على) في اللغة لا يكون إلا بمعنى العلو والارتفاع.(٤)

---

(١) انظر: عبد المقصود، القواعد الطيبات في الأسماء والصفات،ص ١٢٩. وانظر : عيسى، نجاح محمد عبد الخالق، الأسماء والصفات بين النفي والإثبات، ط١، ص٢٢١ – ٢٢٥، دار المأمون، عمان – الأردن، سنة ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣ م .

(٢) انظر: البدر، عبدالرزاق بن عبدالمحسن،الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء /دراسة تحليلية، عدد١١١، ص٢٦، الجامعة الإسلامية _المدينة المنورة،طبعة السنة الثالثة والثلاثون، سنة ١٤٢١هـ _٢٠٠٠م.

(٣) انظر: البدر، الأثر المشهور عن الإمام مالك، ص ٢٦.

(٤) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٤٦٦. وانظر: المسند، صالح علي، كتاب صفات الله عزوجل، ص٩.

كما وثبتت هذه الصفة في السنة النبوية من خلال إثبات العرش،. فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:" قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– :لمّا قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إنّ رحمتي غلبت غضبي"(١).

كما روى مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ:"اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: الْمُسْلِمُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَالَمِينَ وَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْعَالَمِينَ قَالَ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ، فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ"(٢).

أثبت الأحاديث الاستواء من خلال إثباتها للعرش، فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى قد استوى على عرشه كما بينت الآيات السابقة. قال ابن يتيمة:" إنّ قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له نقول: إنّ الله مستوٍ على عرشه كما قال:" الرحمن على العرش استوى".(٣).

فالاستواء معناه العلو والارتفاع وأما كيفيته فلا يعلمها إلا الله عز وجل، وعندما سئل الإمام مالك عن الاستواء أجاب بجملته الشهيرة والقاعدة الكبرى:" الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.(٤) نؤمن بها كما جاءت من غير تحريف لها أو تعطيل أو تمثيل بصفات أحد من خلقه.

من خلال ما سبق ومن خلال الحديث عن صفتي العلو والاستواء على العرش يثبت أن هاتين الصفتين ثابتتين لله تعالى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة و أنّ الله تعالى خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه بالكيفية التي تليق به جل شأنه.والعرش أعظم المخلوقات وقد كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض كما قال تعالى:﴿

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود:٧).

---

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى:"هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده " (الروم: ٢٧)، حديث رقم ٣١٩٤، ج٤،ص١٠٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى – صلى الله عليه وسلم –، حديث رقم ٢٣٧٣، ج٤، ص١٨٤٤.

(٣).ابن تيمية، الأسماء والصفات، ج٢، ص١٠٨

(٤) انظر: المسند، صفات الله عزوجل، ص٩.

فالعلو والاستواء على العرش صفتان مترابطتان فما أن بدأت سورة السجدة ببيان صفة العلو بقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٢ -٤).

عادت لتؤكد على صفة العلو أيضاً في الآية التالية مباشرة في قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥).

فالعلو في الآية الثانية والاستواء في الآية الرابعة والعلو في الآية الخامسة..وهذا يؤكد على أنّ هاتين الصفتين متلاحقتان مترابطتان أيما ترابط فالاستواء على العرش من أقوى الأدلة التي يستدل بها على صفة العلولله تعالى وهذا ما بينته وأكدته سورة السجدة.

بقي أن أشير إلى ورود آية الاستواء في سورة السجدة فالآية – كما ذكرت سابقاً – هي من بين سبعة مواضع فقط في القرآن الكريم تحدثت عن هذه المسألة.قال تعالى:" ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة:٤)، فهي أقرت مسألة استواء وارتفاع الله عزوجل عن خلقه وأوضحت أن الاستواء دليل على علوه سبحانه وتعالى.

والجزئية التي بينتها السورة أن الله عليٌّ عظيم وأنه ارتفع واستوى استواءً يليق بجلاله سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل.ولا يتعارض ما تقدم من علوه سبحانه وتعالى على خلقه ما تقرر من أنه مع خلقه قريب مجيب. قال تعالى:" وهو معكم أين ما كنتم" وهذه المعية التي فهمها السابقون من أئمة العلم فسياق الآية تدل على أنّ معيته مع خلقه معية العلم فهو معهم بسمعه وبصره وعلمه وقدرته ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.(١)

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد: ٤)

(١) انظر: سعد ومحروس، موسوعة الأسماء والصفات، ج٢، ص ٨١٥.

الفصل الثاني

مسائل النبوة والكتب الإلهية في سورة السجدة

المبحث الأول: تنزيل القرآن الكريم:

المطلب الأول: إثبات تنزيل القرآن الكريم

- أولاً: فرية افتراء القرآن الكريم
- ثانياً: رد السورة على الفرية

المطلب الثاني: أهل الفترة:

- أولاً: تعريف أهل الفترة
- ثانياً: حكم أهل الفترة

المبحث الثاني: إشارات من قصة موسى عليه السلام

المطلب الأول: إثبات تنزيل التوراة

المطلب الثاني: الإمامة في الدين

المطلب الثالث: الافتراق العقدي عند بني إسرائيل

المبحث الثالث: استدلال السورة بمصير الأقوام السالفة

المبحث الأول

تنزيل القرآن الكريم

المطلب الأول: إثبات تنزيل القرآن الكريم

أولاً: فرية افتراء القرآن الكريم

أنزل الله القرآن العظيم على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– معجزة للبشرية وآيةً لهم، وهدىً للمؤمنين، وبشرى للمحسنين، وأمرنا بالتفكر في آياته والتدبر في كلماته، فهو الحجة البالغة، والنعمة الباقية، وقد حفظه الله تعالى من التحريف والتغيير والتبديل، ليكون مُهيمناً على جميع الكتب الإلهية السابقة، فحفظة عز وجل في صدور الرجال من صحابة رسول الله– صلى الله عليه وسلم –، حتى دونوه في الصحف ونشروه للأمة، فمن أخذه جعله أعظم معجزات نبينا –صلى الله عليه وسلم– مع كثرة ما أجرى الله لنبينا من معجزات، فالله سبحانه بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم– يخاطب قومه بلغتهم فأنزل الله تبارك وتعالى عليه القرآن الكريم المعجز ليتحدى الله به البشرية كلها، لا في عصر محمد– صلى الله عليه وسلم– فحسب، وإنما في كل العصور وما زال التحدي قائماً إلى هذه اللحظة. قال ابن القيم متحدثاً عن معجزة النبي – صلى الله عليه وسلم– العظيمة:" وأعظمها معجزة كتاب باقٍ، لم يتغير ولم يتبدل منه شيء بل كأنه منزل الآن، وهو القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به...."[١].

فلما نزل القرآن الكريم على قلب النبي – صلى الله عليه وسلم– في بيئة البلاغة والبيان، اتهم المشركون النبي – صلى الله عليه وسلم– بأنه جاء به وأنه من نظمه وكلامه، على الرغم من أنهم شهدوا بعظمته وجلاله ولكنه الكبر والتكذيب والجحود جعلهم يتقولون في القرآن الكريم أقاويل غير صحيحة باطلة ويطعنون به بمطاعن واهية، منها قولهم أن القرآن الكريم سحر وأنه أساطير الأولين.

---

(١) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ت: (٧٥١هـ)، ط١، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، بدون طبعة، ج٢، ص ٣٤٧، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، بدون سنة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (الفرقان: ٧ – ٨).

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان: ٥).

فالقرآن الكريم معجزة عظيمة تحدى الله بها الأولين الآخرين، وأثبتوا عجزهم عن الإتيان بمثله وأن يأتوا ولو بآية واحدة مما فيه، والقرآن الكريم يُخبر أن هذا العجز لا انقطاع لـــه فـــي قوله تعالى:" ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣ – ٢٤).

ولكن عداء وتمرد المشركين يأبى أن يرى نور الحق، فما سئموا مـــن الطعـــن وإثـــارة الشبهات حول القرآن الكريم والرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم– فمن بين هذه الـــشبهات شبهة أن النبي – صلى الله عليه وسلم– افترى على الله كذباً، وهذه التهمة تحمل فـــي ثناياهـــا معنيين: الأول: أنه كذب في نفسه، والثاني: أنه كذب في إضافته إلى الله تعالى[١].

فكانت فرية وشبهة افتراء القرآن من بين العديد من الشبهات والافتراءات التـــي افتراهـــا المشركون على القرآن الكريم والنبي – صلى الله عليه وسلم– وقد استحوذت هذه الفرية علـــى جميع الافتراءات فكانت الأكثر وروداً في القرآن الكريم، ذلك أن المشركين بالغوا في ترديد هذه الفرية خاصة أن القرآن الكريم نزل بلغة عربية فصيحة، والنبي– صلى الله عليه وسلم– عربي فصيح اللسان فدعوى أنه افترى هذا القرآن تجعل طعنهم أقرب إلى القبول في نفوسهم[٢]. قـــال تعـــــــــالى:" ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (الفرقان: ٤)

([١]) انظر: الكيلاني، إبراهيم زيد، معركة النبوة مع المشركين أو قضية الرسالة، ص ١٧.
([٢]) المصدر السابق، ص ١٧.

والافتراء من" فَرا، والفِرى: جمع فرية وهي الكذبة وافترى يفترى افتراءً كذب وهو افتعال منه"[١].

وقد أشارت سورة السجدة لإدعاء المشركين واتهامهم للقرآن الكريم والنبي – صلى الله عليه وسلم–، فبعد أن نوهت السورة الكريمة بأن مصدر الكتاب هو الله عز وجل استنكرت على المشركين ادعاءهم أنه مفترى من عند محمد– صلى الله عليه وسلم– وذلك في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة: ٢ – ٣).

فالسورة تخبر عن قول المشركين بصيغة دقيقة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ (يونس: ٣٨)، فهي تعرض ادعاءهم على شكل سؤال، ولقد تكرر هذا السؤال بحرفيته في القرآن الكريم خمس مرات فقط في المواضع الآتية[٢]:

١. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس: ٣٨)

٢. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (هود: ١٣).

٣. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٥).

٤. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة: ٣).

٥. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ ﴾ (الأحقاف: ٨).

([١]) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ٤٤٣.
([٢]) انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٦٢٨.

والملاحظ على جميع السور التي وردت بها هذه المواضع أنَّ جميعها سور مكية أي أنها نزلت في بداية الدعوة الإسلامية وفي بعضها طلب الله تعالى من المشركين أن يعارضوا القرآن ولو بسورة مثله، وأثبتوا عجزهم ووهنهم في ذلك، ففي آية سورة السجدة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾(السجدة: ١ – ٣). فبعد أن بين الله تعالى لقريش خاصة وللعرب عامة أن هذا القرآن معجز وأنهم عاجزون عن معارضته على الرغم من أنه مكون من الحروف التي يتخاطبون بها وهي حروف اللغة العربية قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة: (١). وبعد أن أخبرت الآية بأن القرآن تنزيله بلا شك ولا أدنى ريب، انتقلت إلى إنكار مقولة كفار مكة المناقض لتلك الحقيقة والتعجب منه، فقال: بل أيقولون افترى محمد القرآن من عند نفسه[١]؟! فجاء التصريح والإجابة بأنه حق من عند الحق سبحانه وتعالى أنزله لمهمة الإنذار والتحذير.

فالمشركون إذاً بعد أن أثبتوا عجزهم وضعفهم أمام كلام الخالق جل وعلا أخذوا يثيرون الافتراءات والشبه نحوه وكل ذلك بقصد نفي ما أخبرهم به محمد– صلى الله عليه وسلم– وهذا أسلوب ومنهج الضعيف والضعفاء، عندما يثبتون عجزهم وضعفهم لا يجدوا سوى أسلوب إثارة وتلفيق التهم والشائعات– وهذا برهان أبلج على ضعفهم وعجزهم أمام كلام ربِّ الأرباب جل في علاه.

وهذه الفرية وهذا الطعن في القرآن الكريم قديم وموجود منذ نزوله، فلقد حاول المشككون على مرِّ التاريخ الطعن في القرآن الكريم بشتى الوسائل والطرق، قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾ (النحل: ١٠٣) قال تعالى:﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(الأنفال: ٣١). فهذه الدعوى قديمة متجددة بدأها المشركون وخلفوا وراءهم بعض الناعقين الذين أثاروا عاصفةً عاتية من الأباطيل والمزاعم

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٠٧.

والافتراءات والدعاوى من المستشرقين والعلمانيين، فدعاوى المستشرقون كانت واضحة وصريحة وطعون العلمانيون كان الغالب في أنها غامضة وملتوية وغير مباشرة[١].

وما كان الهدف من هذه المزاعم والأباطيل إلا أن تكون حملات للتشكيك في الإسلام وكتابه ونبيه وتاريخه ورجاله وعقيدته وشريعته وحقائقه وثوابته، ولعلَّ هؤلاء الناعقين قد عرفوه أهمية كتاب الله تعالى في نفوس المسلمين ومدى تعلقهم به، وعلموا أنه باعث نهضتهم ومحي همتهم وموحد كلمتهم، وسبب نجاتهم وقوتهم وهو الذي ضمن لهم الأمن والسعادة في دنياهم وأخراهم، وهو مصدر عزتهم على مدى الأزمان، ولا زال الطاعنون يرددون هذه الفرية إلى اليوم" ففي دائرة المعارف الإسلامية ورد ما نصه" القرآن ليس من عند الله يقول يوليوس فلها وزن[٢] القرآن من عند محمد. ويقول غوستان لوبون[٣] القرآن من تأليف محمد، ويقول درمنجهام [٤] وهو يصور النبي – صلى الله عليه وسلم– بالفنان أو الشاعر الذي يتأول الطبيعة، ثم يبدع في التأليف: وهذه النجوم في ليالي صيف الصحراء كثيرة شديدة البريق، حتى ليحسب المرء أنه يسمع بصيص ضوئها وكأنه نغم نار موقدة، حقاً إن في السماء إشارات للمدركين وفي العالم غيب بل العالم غيب كله، ولكن ألا يكفي أن يفتح الإنسان عينيه ليرى وأن يرهف أذنه ليسمع ويرى الحق ويسمع الكلم الخالد، لكن للناس عيوناً لا ترى وآذاناً لا تسمع، أما هو فيحس أنه يسمع ويرى وهل تحتاج لكي تسمع ما وراء السماء من أصوات إلى قلب مخلص مليء إيماناً[٥].

ويقول نولدكه[٦]:" كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيبة والإلهامات المباشرة لحس أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناجح فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على

---

(١) المطيري، عبد المحسن بن زيد بن متعب، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، ط١، ص١٨٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

(٢) هاوزن: يوليوس هاوزن، مؤرخ لليهودية ولصدر الإسلام، ناقد للكتاب المقدس العهد القديم، كان مسيحياً ولد سنة ٨٤٤هـ، وتوفي سنة ١٩١٨م وعبر عن آرائه في كتابين: تاريخ إسرائيل وتأليف الأسفار، السنة في الكتاب المقدس.انظر: بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط١، ص٤٠٨، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٣م.

(٣) غوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد عام ١٨٤١م، اعتنى بالحضارات الشرقية: أنظر: خليل، عماد الدين، قالوا عن الإسلام، ط١، ص٨٦، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، السعودية، سنة ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

(٤) درمنجهام: مستشرق بريطاني، له مؤلفات كثيرة منها: قصص من فاس، وقصص جديدة من فاس، ومحمد والسنة الإسلامية، وسيرة الأولياء المسلمين، وغيرها. انظر: مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، بدون طبعة، ص٥٠٨، بدون دار أو سنة.

(٥) المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص ١٨٢.

(٦) نولدكه، ينودور نولدكه، شيخ المستشرقين الألمان، ولد سنة ١٨٣٦م، توفي سنة ١٩٣٠م، درس الشعر العربي واهتم بالنحو العربي أتقن اللغات السامية، وكانت رسالة الدكتوراه من تاريخ القرآن، انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٩٥.

خصومه مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة"[١]. ولم يقتصر هذا الحال على هؤلاء المستشرقين الناعقين، بل إن من أبناء الإسلام من كان سهماً وجهته الثقافة الغربية وأعمت بصره وبصيرته ليطعن في الإسلام فيكون بذلك أشد وقعاً لأنه من نفس أبنائه وحملة اسمه، وذلك عن طريق بث شكوكهم ودعواتهم المسمومة في هذا الدين وما هذا إلا مؤامرة شرسة تكشف الحقد الدفين لأمثال هؤلاء على الإسلام ديناً وكتاباً وثقافة وتاريخاً، ومن أبرز هؤلاء الحاقدين الناقمين من أبناء جلدته ذلك الملقب كذباً وادعاءً بعميد الفكر العربي طه حسين[٢] ونصر أبو زيد[٣]. وغيرهم الكثير، وإليك نص يُصرِّح فيه حسين بتكذيب القرآن الكريم، ويدعي ادعاءً فاجراً بأنه ليس مصدراً موثوقاً به، فقال:" للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنها أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربين فيها، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى"[٤].

وهكذا فإن طه حسين يُمعِن في التضليل والتزييف والتزوير فقد أخذ يدعو وغيره من الناعقين الحاقدين إلى بشرية القرآن الكريم، بل تجرأ على القرآن وعمد إلى تكذيبه كما في كما في النص السابق فضلاً عن ذلك فقد تجاهل القيمة التاريخية للقرآن الكريم ونصوصه، وطالب بأن يكون القرآن كغيره من الكتب القابلة للطعن والنقد فقال:" إن القرآن ليس إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التي تتصورونها وأن تعتبروه كتاباً عادياً فتقولوا فيه كلمتكم ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب ويبين مأخذه عليه..." [٥].

([١]) المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص١٨٣.

([٢]) طه حسين: أديب مصري، ولد في إحدى قرى مركز مغاغة بصعيد مصر، فقد بصره وهو صغير، درس في الأزهر واتجه إلى الانتفاع بمناهج المستشرقين ورواد الثقافة الحديثة. من أشهر أعماله: " في الأدب الجاهلي، أحاديث، نقد وخصام، وحديث الأربعاء". انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج٤، ص٢١٧١.

([٣]) نصر أبو زيد: أستاذ اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة القاهرة، من أشد أعداء الإسلام المعاصرين، من أرائه: أن القرآن الكريم مجرد نص لغوي والوحي مجرد ظاهرة. انظر: الحسني، فاطمة بنت حميد، فكر طه حسين في ضوء العقيدة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ص٣٦٥، إشراف: محمد عبد الحافظ، سنة ٢٠٠٩م.

([٤]) حسين طه، في الشعر الجاهلي، ط١، ص٢٦، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، سنة ١٣٤٤هـ، ١٩٢٦م.

([٥]). انظر: رزق، جابر طه حسين، الجريمة والإدانة، ط، ص ٨٤.

ولم ينتهِ عند هذا الحد بل زعم أن في القرآن الكريم أخطاء نحوية –حاشا لله– ففي مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة أكسفورد عام ١٩٢٨م، ألقى طه حسين بحثاً عنوانه استخدام ضمير الغائب في القرآن وارتأى فيه" أن تأويل ضمير الغائب في معظم آيات القرآن باسم الإشارة فيه حل لمشكلة عدم المطابقة بين الضمير وما يرجع إليه وزعم أنه بهذا الرأي يصحح ما يراه المستشرقون من أن في القرآن أخطاءً نحوية" (١).

وهكذا فإن طه حسين وأمثاله لم يكن إلا شكاكاً داساً لسمومه ورذائله ساقطاً على كل خبيث منتهزاً أي فرصة للطعن ليس في القرآن وحسب بل في الإسلام ورسوله ولغته وحضارته، فقد غلّب الجانب الأسطوري على سيرة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– إلى غير ذلك من الآراء الهدامة التي لا يتسع المقام هنا لذكرها، ويا ليت شروره توقفت عنده وعليه، بل وجدت هذه الآراء أذناً صاغية من أمثاله فمن أبرز من تأثر به أمين الخولي(٢). وصلاح عبد الصبور(٣) ونجيب محفوظ(٤) ونصر أبو زيد(٥) الذي قال عن القرآن الكريم:" القرآن ينتمي إلى ثقافة البشر"(٦).

وهكذا فإن هذا فيض من غيض أردت التدليل به على أن هذا الطعن قائم مستمر، وأن هذه العاصفة العاتية بين الحق والباطل لن ولم تنتهِ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، إلا أن الوجه الأبيض الناصع الذي يلبسه البعض لأمثال هؤلاء ساقط لا محالة، وأن الحق باقٍ والباطل ذاهب، وأن ما ينفع الناس سيمكث في الأرض وأن الزبد أمثال الطاعنين من المستشرقين والعلمانيين ومن قبلهم المشركين وكفار قريش ومكة وغيرهم قد ذهب وسيذهب جفاءً وهذه الدعوى بدأها المشركون وما زالت مستمرة إلى يومنا...

أعود إلى آية سورة السجدة التي تحدثت عن فرية افتراء القرآن الكريم وذكرتُ سابقاً أن عناد المشركين وتجبرهم وطغيانهم منعهم أن يروا نور الحق فأعرضت أبصارهم وبصائرهم، فأخذوا يهيلون شبههم واعتراضاتهم نحو القرآن الكريم فمرةً قالوا أنه سحر ومرة قالوا شعر

---

(١) سرسيق، إبراهيم محمد، طه حسين حياته وأدبه في ميزان الإسلام، العدد الأول، ص١٩١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة العاشرة، سنة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

(٢) أمين الخولي: كاتب مصري، تخرج في مدرسة القضاء الشرعي ودرس فيها، أصدر مجلة الأديب، تزعم الدفاع عن طه حسين، وكون جمعية الأمناء، انظر: فاطمة، فكر طه حسين في ضوء العقيدة، ص ٣١٠.

(٣) صلاح عبد الصبور: شاعر مصري، رائد من رواد الحداثة، مليء شعره بالمضامين الحداثية المنحرفة، كما في قصيدته" الناس في بلادي، ومأساة الحلاج، انظر المصدر السابق.

(٤) نجيب محفوظ: نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا، أديب وقاص وروائي مصري، منح جائزة نوبل، كان موالياً في مواقفه لليهود، روايته مليئة بالمضامين المنحرفة فكراً وخُلقاً. انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: الحسني، فاطمة بن حميد بن جود الله، فكر طه حسين في ضوء القصيدة الإسلامية، ص ٣٠٩.

(٦) انظر: المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص ١٨٣.

ومرة قالوا أساطير الأولبين، ومرة قالوا بل هو اختلاق اختلقه محمد – صلى الله عليه وسلم– من عنده.

ولقد تنوعت طرق عرض القرآن الكريم لهذه الافتراءات، فمرةً يقدم الشبهة الممهدة للفرية، ثم يرد على الشبهة ثم يعرض الفرية، ثم يرد عليها، أو أنه يقدم الشبهة ثم الفرية ثم يرد على الفرية وبعدها يرد على الشبهة، ومثاله قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾(سبأ: ٧). (هذه الشبهة)، قولهم بعدها:﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾(سبأ: ٨). (هذه الفرية)، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾ (سبأ: ٨). على الفرية، وأما سورة السجدة فلقد كان عرضها للفرية بتقديم الرد أولاً ثم تقديم الفرية ثم الرد عليها أيضاً، وكان هذا خاصاً بسورة السجدة فقط، فردت على فرية اختلاق القرآن الكريم بقوله:﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ١ – ٢). ثم اتبعت ذلك بعرض الفرية في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ ﴾ (يونس: ٣٨). ثم اتبعت الفرية بالرد عليها في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ (السجدة: ٣)[١]. وعرض هذه الفرية بهذه الطريقة تميزت بها سورة السجدة عن غيرها من السور والآيات التي تحدثت عن هذه الفرية وهذا يضفي تفرداً جديداً على هذه السورة العظيمة.

ثانياً: رد السورة على هذه الفرية

تنوعت الردود القرآنية على فرية افتراء القرآن الكريم، وأما الرد الذي جاء في سورة السجدة فكان رداً على المشركين ببيان حاجتهم المُلِحّة لهذا الكتاب وقد ورد هذا الرد في السورة الكريمة التي بين يدي وفي موضع ثانٍ فقط في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص: ٤٦).

علماً أن الردود القرآنية التي ردت على هذه الفرية تنوعت فمن بينها :

([١]) عصفور، طارق علي محمد، الافتراءات الواردة على الرسول– صلى الله عليه وسلم– والقرآن، رسالة ماجستير، ص ٢٢١، الجامعة الأردنية، إشراف: د.أحمد نوفل، سنة ٢٠٠٨م.

التحدي بالمعارضة: وهو أن يطلب من أصحاب الفرية أن يعارضوا القرآن بأن يأتوا بمثله أو جزء منه، فقد طالب الله تعالى المكذبين بالقرآن الكريم من الإنس والجن أن يعارضوه وتحداهم بذلك على مراحل هي:

١. أن يأتوا بمثل القرآن الكريم كاملاً، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

٢. تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (هود: ١٣) [١].

٣. تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة منه: فقد حصر التحدي في سورة من مثله قصيرة كانت أم طويلة قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨)[٢].

٤. أن يأتوا بحديث مثله، قال تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٣ – ٣٤).

وهذا التحدي جاء لبيان صدق القرآن الكريم وقوة إعجازه وتفرده وتميزه في كل ما يدعوا إليه.– ومن بين هذه الردود أيضاً أن الله تعالى لا يقر من يفتري عليه كلاماً بل يعاقبه ويفضحه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ (هود: ٣٥). – ومنها إظهار براءته– صلى الله عليه وسلم– من هذا الافتراء قال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٥).– ومن بين هذه الردود

([١]) انظر: عصفور، الافتراءات الورادة على الرسول – صلّى الله عليه وسلّم –، ص ٢٢١.
([٢]) انظر: المصدر السابق.

الرد ببيان اضطراب المشركين في وصف القرآن قال تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ ﴾ (الأنبياء: ٥)[١].

وأما الرد الذي جاء في سورة السجدة فكان بالتأكيد على تنزيل القرآن الكريم وأنه من عند الله عز وجل وأنهم في حالة ضرورة لإرسال الرسول وإنزال الكتاب، فكان رد السورة الكريمة على هذه الفرية بشقين:

الشق الأول: إثبات تنزيل القرآن الكريم

الشق الثاني: بيان المقصود الذي أنزل من أجل القرآن الكريم

الشق الأول: إثبات تنزيل القرآن الكريم

فالسورة بينت أن الحق الذي لا يقبل الجدال ولا النزاع أنه لا يوجد على وجه الدنيا بأسرها كتاب تصح نسبته للخالق جل وعلا سوى القرآن الكريم وهذه حقيقة لا يماري فيها عاقل ويدل على صحة هذه الحقيقة أدلة قطعية قطعت نسبة القرآن الكريم لله عز وجل منها:

لو كان محمد اختلق القرآن الكريم من تلقاء نفسه لاستطاعوا أن يأتوا بمثله مع حرصهم الشديد على ذلك ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم– كان يتحداهم دائماً ويكرره عليهم كثيرا ومع هذا ثبت عجز المشركين عن ذلك بل لو اجتمعت قريش والعرب وأهل الأرض لن يأتوا بمثله قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾(البقرة: ٢٤). ولقد فصّل الله تعالى هذه القضية بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس: ٣٧)[٢]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

---

(١) انظر: عصفور،الافتراءات الورادة على الرسول – صلى الله عليه وسله –، ص ٢٢٣-٢٤٣.
(٢) انظر: المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص ١٨٣.

بالإضافة إلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم– تبرّأ من نسبة الافتراء إليه قال تعــالى: ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى ﴾ (هود: ٣٥). وليست أدل على أن القرآن الكريم ليس من عند محمد– صلى الله عليه وسلم– من معاتبة القرآن الكريم ومخالفته لرأي النبي – صلى الله عليه وســلم– في مواطن عديدة وهذا دليل وبرهان واضح لم يختلقه بنفسه، ومن أمثلة معاتبة القرآن الكريم له قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ (عبس: ١ – ٢)، ومن الأمثلة على مخالفة القرآن ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الأنفال: ٦٧)، "ومخالفة القرآن لطبع الرسول وعتابه الشديد له في المسائل المباحة، وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه... فإذا تلبث فيه يسيراً تلقاه القرآن، وبالعتاب القاسي والنقد...حتى في أقل الأشياء خطراً قال تعــالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ (لتحريم: ١)، ولو كان كاتماً أي الرسول صلى الله عليه وسلم– شيئاً لكتم أمثال هــذه الآيــات ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه..." [1].

ومن الأدلة التي تبين أن القرآن الكريم من عند الله– حاجة النبي صلى الله عليه وســلم– للقرآن الكريم، ذلك أنه كانت تنزل به نوازل لا يجد لها بُداً إلا أن ينتظر أن ينزل عليــه قرآنــاً بذلك، وعلى الرغم من هذا لم يتقوّل النبي صلى الله عليه وسلم من عنده شيء، ومثال ذلك فتور الوحي عنه في حادثة الإفك وغيرها من الحوادث فقد روى البراء بن عازب– رضي الله عنه– قال:" كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلم– صلى نحو بين المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يحب أن يوجّه إلى الكعبة فأنزل الله "﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(البقرة: ١٤٤)." فتوجه نحو الكعبة"[2].

([1]) دراز، محمد بن عبدالله، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، بدون طبعة، ص٥٥. اعتنى به: أحمد مصطفى، دار القلم للنشر، سنة ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
([2]) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، حديث رقم (٣٩٩)، ج١، ص ٨٨.

بالإضافة للأمور السابقة الذكر والتي تقطع بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى لم يأت به محمد – صلى الله عليه وسلم– من عنده ذلك الإعجاز العظيم الذي اشتمل عليه القرآن الكريم من التشريعات والأحكام والعقائد الذي لا يمكن أن يصدر عن أي مخلوق مهما بلغ من العقل والفهم.[١].

كل الأمور السابقة وغيرها مما لا يتسع المُقام بسطها هنا يدل على أنَّ القرآن الكريم معجزة باقية متلوة في كل مكان فالله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه بخلاف معجزات الأنبياء السابقين فإنها انقضت بوفاتهم ولكن القرآن الكريم معجزة باقية من وقت نزوله إلى زماننا، وهذا ما أكدته سورة السجدة حيث أنها وضحّت نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى وبينت أنه ليس من عند النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– وهذا الشق الأول من الرد على فرية اختلاف القرآن الكريم، فكل ما سبق من الأمور والأدلة التي قطعت بأن مصدر القرآن الكريم هو الله جل وعلا قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ (السجدة: ٢ – ٣).

الشق الثاني: بيان المقصود الذي أنزل من أجله القرآن الكريم

وأما الشق الثاني الذي تحدثت عنه سورة السجدة وردت به على فرية كفار قريش بأن القرآن ما هو إلا اختلاق النبي– صلى الله عليه وسلم– هو بيان حاجة قريش والبشرية لإرسال نبي ورسول وإنزال كتاب، ذلك أن قريش بالأخص والعرب بالعموم لم يبعث لهم أي رسول قبل النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– كما نصت على هذا الأمر الآية الكريمة ﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (القصص: ٤٦).

فقد شاء الله أن يَفتُر إرسال الرسل بعد عيسى عليه السلام فترة من الزمن فلم يرسل الله عز وجل أي رسول بعده إلى أن أذن سبحانه بفجر رسالة جديدة ختم بها جميع الرسالات السابقة وهي الإسلام فهناك أدلة دلت على أنه لم يبعث لقريش خاصة والعرب عامة أي رسول قبل محمد– صلى الله عليه وسلم– وبعد عيسى عليه السلام– وهذا ما أكدته سورة السجدة في قوله

---

(١) انظر: رحمه الله الهندي، محمد بن خليل الرحمن الكيدانوي العثماني الحنفي، (ت: ١٣٠٨هـ –١٩٨٩م)، إظهار الحق، ط١، ص٧٧٥، الرئاسة العامة لإدارة البحوث، السعودية، سنة ١٤٠١هـ. وانظر: ملكاوي، محمد أحمد، مختصر إظهار الحق، ط١، ص ١٥٥–١٦٠، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، سنة ١٤١٥هـ.وانظر : مجموعة من العلماء، موسوعة بيان الإسلام والرد على الافتراءات والشبهات، ط١، ج١، ص ١٥٩، دار النهضة، مصر، سنة ٢٠١١.

تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة: ٣). فالآية الكريمة تقرر أن القوم الذين أرسل الله سيدنا محمداً- صلى الله عليه وسلم-، لم يأتهم نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم وضلالهم قبله -صلى الله عليه وسلم-، والآية صريحة وقطعية الدلالة على أن قريش بخاصة والعرب بعامة لم يأتهم رسول أو نبي قبل محمد- صلى الله عليه وسلم- كما بينت الآية حاجتهم الملحة والماسة لإرسال رسول يكون لهم بشيراً ونذيراً، ذلك أن حالة العرب قبل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم- استحكم فيها الشر وتغلغل الشرك والضلال، فوثنية جائرة تتخذ من الأصنام والأشجار والأجرام آلهة مع الله تعالى، لا يؤمنون بشيء غير ما يرونه في هذه الحياة الدنيا ونصرانية ضالة تقول على الله ما لم يقله أحد، ويهودية ماكرة لا تعرف غير الغدر والخيانة إلى جانب هذا التشتت والتمزق العقائدي، ذلك الفساد الخلقي والاجتماعي من القتل والنهب والمنكرات(١).

وفي هذا الشأن يقول الدكتور علي الصلابي واصفاً حالة العرب قبل بعثة النبي- صلى الله عليه وسلم-:" ابتليت الأمة العربية بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيفة لا مثيل لها، وانحرافات خُلقية واجتماعية وفوضى سياسية وتشريعية... وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم الآباء والأجداد واتباع ما كانوا عليه، مهما يكن فيه من الزيغ والانحرافات والضلال، ومن ثم عبدوا الأصنام فكان لكل قبيلة صنم، وكان بعض العرب قد تَنصّر، وبعضهم دخل في اليهودية أما الأغلبية فكانت تعبد الأوثان والأصنام"(٢).

فكانت الفترة السابقة لبعثة محمد- صلى الله عليه وسلم- فترة اختلطت فيها العقائد والأهواء والتبس الدين الحق على الناس، فتاهوا في الضلال وغرقوا في الجهل." وبلغت مشاكل الناس حداً عجزت أمامه كل الثقافات والعادات والأعراف عن حلها، وأصبحوا في أمس الحاجة إلى من ينقذهم من هذا الهلاك الذي يحيط بهم ويأخذ بأيديهم إلى سبيل النجاة بعد ما أخذ منهم الباطل كل مأخذ، فأينما يممّتَ وجدت الضلال والجهل ضارباً أطنابه، والناس سكارى يتخبطون

(١) الغامدي، محمد بن عبدالله، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم، حمى التوحيد، ط١، ص ١٥١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣، بتصرف.
(٢) الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ط٧، ص ٢٢-٢٤، دار المعرفة، بيروت- لبنان، سنة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وانظر: هرّاس، محمد خليل، دعوة التوحيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

في ذلك الظلام الكاحل الذي خيّم عليهم، فهم أحوج ما يكونون إلى نور يهتدون به إلى السبيل القويم الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور"[١].

وكان هذا النور هو الإسلام الذي بعث به محمد– صلى الله عليه وسلم– وبنقلة واحدة نقل النبي– صلى الله عليه وسلم– العرب بخاصة والبشرية بعامة من أحط الدركات إلى أسمى الغايات والدرجات، وهذا ما ردت به سورة السجدة على دعوى المشركين المزعومة بافتراء القرآن الكريم فكان الأولى بهم بدلاً من أن يفتروا ويتهموا النبي– صلى الله عليه وسلم– باتهامات باطلة، أن ينظروا إلى حالتهم وحالهم البائس، ولو تأملوه لوجدوا أنهم بحاجة ماسة إلى هذا الكتاب وإلى النبي – صلى الله عليه وسلم–، ولكن هذا حال من يُغيِّب عقله ولا يفكر إلا بكبره وتعنته وصموده، فجاء رد الآيات على فريتهم من عظيم الردود القرآنية على فِرى المشركين وهو بيان أنهم أحوج ما يكونوا إلى نبي خاصة وأنه لم يبعث لهم أي نبي أو رسول من قبل محمد – صلى الله عليه وسلم– وبعد عيسى– عليه السلام– فلقد تواتر هذا الأمر وهناك من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ما تدل على أنه لم يرسل للعرب وقريش أي رسول قبل محمد – صلى الله عليه وسلم– ومن بعد عيسى – عليه السلام– ومن هذه الأدلة[٢]:

قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ (سبأ: ٤٤).وقال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾(يس: ٦). وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ (الزخرف: ٢٣)(

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(الصف: ٦).

ووجه الاستدلال بالآيات السابقة أنه لم يرسل رسول قبل محمد – صلى الله عليه وسلم– للعرب عامة أو قريش خاصة[٣].

---

[١] انظر: المصادر السابقة، وانظر: الغامدي، حماية الرسول – صلى الله عليه وسلم– حمى التوحيد، ص١٥٣.
[٢] انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٠٧٨.
[٣] انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢، ص١٦٤، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٣٦، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٠٩.

ومن الأحاديث التي تدل دلالة واضحة صريحة على أنه لم يبعث قبل النبي- صلى الله عليه وسلم- وبعد عيسى- عليه السلام- للعرب أي نبي قبل ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:" أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد عِلات، ليس بيني وبينه نبي"(١).

ووجه دلالة الحديث: أنه لم يكن بين عيسى- عليه السلام- ومحمد – صلى الله عليه وسلم- نبي أو رسول.

فالآيات الكريمات والحديث السابق الذكر أوضحت أن الفترة ما بين سيدنا عيسى-عليه السلام- وسيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- لم يرسل فيها رسول ولم يثبت أي نبي خلالها وقد اصطلح العلماء على من كان في هذه الفترة اسم " أهل الفترة" ولا بد من سؤال في هذا الباب؟ أكانت فترة ما بين عيسى عليه السلام ومحمد – صلى الله عليه وسلم- هي الفترة الوحيدة التي لم يبعث فيها أي نبي أو رسول وما المقصود بمصطلح أهل الفترة؟ وما حكم أهل الفترة؟ وإجابة هذه الأسئلة هي ما سأبينه في المطلب اللاحق الذي سيكون موضوع هذه الجزئية إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: أهل الفترة

أولاً: تعريف أهل الفترة

ورد في تعريف الفترة لغةً ما نصه:" الفترة: الانكسار والضعف وفتر الشيء والحرَّ وفلان يفتروا يفترُ فتوراً وفتاراً: سكن بعد حده ولان بعد شدة، وفتر: أي أقام وسكن.

والفترة: ما بين كل نبيين، وهي ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة"(٢).

وبناءً على التعريف اللغوي، عرفت الفترة اصطلاحاً: بأنها انقطاع الوحي بين نبيين، وأنها المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله تعالى(٣)، ويترتب على ذلك أن أهل الفترة: هم الذين عاشوا زمناً كان بين نبيين لم يبعث خلاله أي رسول أو أي نبي، أو هم الذين ماتوا قبل الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله " ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ (مريم: ١٦)، حديث رقم ١٣٤٤٢، ج١٤، ص ١٦٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ١٤٤.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢، ص١٦٤، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٣٦، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٠٩.

باعتبار الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد- عليهما السلام- أو هم الذين لم تبلغهم دعوة الرسل لنشوئهم في أمكنة بعيدة أو عجزوا عن إدراك الحق(1).

وهناك فترات، كالفترة بين نوح وإدريس - عليهما السلام-، وفترة انقطاع الرسالة بين عيسى ومحمد- عليهما الصلاة والسلام-، وقد مرت الأدلة في المطلب السابق على أنه لم يبعث بعد عيسى- عليه السلام- وقبل محمد- صلى الله عليه وسلم- أي رسول أو نبي، وهذه الفترة هي من أوضح الفترات وأبرزها وقد استمرت إلى ستمائة سنة كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن سلمان الفارسي قال:" فترة بين عيسى ومحمد- صلى الله عليه وسلم- ست مائة سنة"(2).

فالفترة: هي المدة التي انقطعت فيها الرسالة والوحي بين رسولين، وأهل الفترة: هم من عاشوا تلك المدة ولم يبلغهم أي شيء عن الوحي أو الدعوة، وإذا أطلق مصطلح الفترة وإنما يعني تلك الفترة التي بين رسولنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وعيسى -عليه السلام- وقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة: ٣). بينت أن المراد بالقوم: قريش ويدل على أنه لم يبعث إليهم رسول منهم قبله- صلى الله عليه وسلم-(3).

ثانياً: حكم أهل الفترة

قسم العلماء أهل الفترة إلى قسمين:

القسم الأول: من بلغته الدعوة(4).

والقسم الثاني: من لم تبلغه الدعوة وبقي على حين غفلة(5).

(1) انظر: الجداية، نبيل أحمد حسين، أهل الفترة ومن في حكمهم، رسالة ماجستير، ص ٤٦، جامعة البلقاء التطبيقية، إشراف: علي عابد المقدادي، سنة ٢٠٠٧م. =
= وانظر: شكري، موفق أحمد، أصل الفترة ومن في حكمهم، ط١، ص ٥٨-٥٩، مؤسسة علوم القرآن، دار ابن كثير، عجمان، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.وانظر: فالح، أبي عبدالله عامر، معجم ألفاظ العقيدة، ط١، ص ٥٣، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
(2).أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب اسلام سلمان الفارسي- رضي الله عنه-، حديث رقم ٣٩٤٨، ج٥، ص٧١.
(3).انظر: الجداية، نبيل، أهل الفترة ومن في حكمهم، ص٤٦، وانظر: الطبري، جامع البيان، ج٢، ص١٦٦.
(4) انظر: شكري، أهل الفترة ومن في حكمهم، ص ٦٧.
(5) انظر: المصدر السابق، ص ٦٧.

والقسم الأول: وهو من بلغه الدعوة يقسم إلى قسمين:

أ. من بلغته الدعوة و وحد و لم يشرك، ومثاله: قس بن ساعدة الأيادي وهو من حكماء العرب ومن أكبر خطبائهم والذي أدركه النبي- صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة وكان على الحنيفيّة[١]، وهذا القسم لا خلاف عليه بأن أهله ماتوا على التوحيد.

ب. من بلغته الدعوة ولكنه غيّر وبدّل وأشرك ومثاله: عمرو بن لحي بن حارثة بن عمر الأزدي وهو أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ارتحل إلى بلاد الشام ووجد أهلها يعبدون الأصنام فنقل إلى مكة، وهذا القسم لا خلاف عليه بأن أهله قد ماتوا على الشرك وغيروا التوحيد.

أما القسم الثاني: من أقسام أهل الفترة وهو من لم تبلغهم الدعوة وبقوا على حين غفلة اختلف العلماء في حكمهم على ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: وهو قول الأشاعرة وبعض الشافعية، وقولهم يتلخص بأنه من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً[٢].

واستدلوا على قولهم هذا بما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥). ووجهوا الآية: بأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه لا يعذب أحد حتى يبعث لهم الرسل والأنبياء وأهل الفترة لم يرسل الله لهم أي رسول فدل على أنهم غير معذبين[٣].

ب- واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء: ١٦٥). وقالوا وجه الاستدلال بهذه الآية أنه الله لا يؤاخذ الناس إلا بعد أن يرسل إليهم رسولاً يرشدهم ويبين لهم ما يجب عليهم[٤] وأهل الفترة لم يرسل لهم رسلاً يبشروهم وينذروهم لذلك لا يعذبون.

([١]) انظر: الأعلام، الزركلي، ج٥، ص ١٩٦.
([٢]) انظر: شكري، أهل الفترة وفي حكمهم، ص٧١، وانظر: جداية، أهل الفترة، ومن في حكمهم، ص٧٠.
([٣]) انظر: المصادر السابقة.
([٤]) انظر: شكري، أهل الفترة، ص ٧١.

ج- واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ (القصص: ٥٩). فبين الله لهم أنه ليس من سنته أن يهلك القرى حتى يبعث رسولاً و قالوا أن أهل الفترة لم تأتهم رسل ولم يكذبوهم لذلك لا يستحقون عذاب الله تعالى. إلى غير ذلك من الأدلة التي أستدل بها أصحاب هذا القول والتي مفادها جميعاً أن أهل الفترة معذورون لعدم إرسال الرسل إليهم وأنهم في الجنة. [١]

القول الثاني: وهو قول المعتزلة وبعض الماتريدية وهو أن من مات ولم تبلغه الدعوة فهو في النار، وحجتهم في ذلك أنهم مكلفون وإن لم يرسل إليهم رسولاً وعليهم أن يستدلوا بعقولهم فما استحسنه العقل فهو حسن، وما قبحه فهو قبيح والله سبحانه وتعالى يعذب من لم يؤمن حتى وإن لم يُرسل لهم رسولاً لقيام الحجة عليهم بالعقل، ومما يؤكد هذا أنّ هناك ثواباً وعقاباً قبل بلوغ الدعوة وبعثة الرسل[٢].

ومن بعض أدلتهم التي استدلوا بها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٩١).

وقالوا أن الكافر معذب لا محالة، وبما أن أهل الفترة ماتوا على الشرك كفار فهم في النار[٣]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾(فاطر: ٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (فاطر: ٣٦).

القول الثالث: وهو القول الذي اختاره الإمام ابن تيمية والعلامة ابن القيم، ومفاد هذا القول أن أهل الفترة يُمتحنون في عرصات القيامة بنار، يأمرهم الله سبحانه وتعالى بدخولها، فمن

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص ١٥٢.
(٢) انظر: شكري، أهل الفترة، ص ٧٥، وانظر: الجداية، أهل الفترة، ص ١٠٧.
(٣). انظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٨٢.

دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها فقد عصى الله فيدخله الله فيها واستدلوا بعدة أحاديث نبوية منها: الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن الأسود بن سريع أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال" أربعة يَحْتَجُّون يوم القيامة رجل لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: رب ما جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام والصبيان يَحْذِفوني بالبَعْر، وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني كتاب ولا رسول، فيأخذ مواثيقهم لَيُطِيعَنّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً[١]. وقال ابن تيمية: " وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- وعن الصحابة والتابعين، بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا"[٢]

والشاهد من الحديث قوله- صلى الله عليه وسلم- " وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني من كتاب ولا رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت برداً وسلاماً".

فدلَّ الحديث على أن أهل الفترة يمتحنون وقالوا: أن وجه الجمع بين هذه الأدلة هو غدرهم بالفترة، وامتحانهم يوم القيامة بالأمر باقتحام نار، فمن اقتحمها دخل الجنة، وهو الذي يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع عذب بالنار، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا، لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل[٣].

ومما استدلوا به أيضاً الحديث الذي رواه أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجة- فيقول الله تبارك وتعالى لعنق من جهنم احبسه قال: ابرزي

---

(١) رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٦٣٠١، ط١، ج٢٢، ص٢٢٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، وإسحاق بن راهويه، حديث رقم ٤١، ط١، ج١، ص ١٢٢، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان المدينة المنورة، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩١م، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم ٧٣٥٧، ط١، ج١٦، ص ٣٥٦، تعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم ٨٤١، ط٢، ج١، ٢٨٧، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية بدون سنة، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، حديث رقم ٩١١، ط١، ج١، ص٢٧١، تحقيق: عادل بن يوسف، وضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة، حديث رقم ١٤٥٦، بدون طبعة، ج٤، ص ٢٥٦، تحقيق عبد الملك ابن دهيش، دار خضر للطباعة، بيروت، بدون سنة، والبهيقي، حكمه: صححه الألباني في الجامع الصحيح، حديث، رقم ٨٨١-٤٣٢، ط٣، ج١، ص ٢١٣-٢١٤، المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢) انظر: ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحنبلي، (ت: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، ط٢، ج٨، ص٤٠١، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، سنة١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣) الطويان، عبد العزيز بن صالح إبراهيم، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، ط١، ج٢، ص٥٩٦، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. وانظر: ابن عثيمين، مجموع الفتاوى والرسائل ج٢، ص٤٨.

فيقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أتدخلناها ومنها كنا نفر؟ ومن كتبت له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً فيدخل هؤلاء الجنة فيقول الله: قد عصيتموني وأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية فيـــدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء إلى النار"(١).

ووجه الاستدلال بالحديث أن أهل الفترة يمتحنون في عرصات يوم القيامة بأن يأمرهم الله عز وجل- بالدخول في النار، فمن أطاع ودخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى الله عــز وجل أدخله فيها وهذه بعض أدلة أصحاب القول الثالث، وبمسألة أهل الفترة أكون قد انتهيت من عرض هذا المبحث.

---

(١) رواه البزاز في مسنده حديث رقم ٧٥٩٤، ط١، ج١٤، ص١٠٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، سنة ٢٠٠٩، وأبو يعلى في مسنده، ٤٢٢٤، ط١، ج٧، ص٢٢٥، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٢٤٦٨، ج٥، ص ٦٠٣، مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

الفصل الثاني

مسائل النبوة والكتب الإلهية في سورة السجدة

المبحث الثاني: إشارات من قصة موسى – عليه السلام–

المطلب الأول: إثبات تنزيل التوراة

المطلب الثاني: الإمامة في الدين

المطلب الثالث: الافتراق العقدي عند بني إسرائيل

المبحث الثاني

إشارات من قصة موسى – عليه السلام–

المطلب الأول: إثبات تنزيل التوراة

ذكر الله سبحانه وتعالى موسى– عليه السلام– وقصته في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن المعلوم أن موسى – عليه السلام– من أولى العزم من الرسل وكل أنبياء بني إسرائيل جاءوا بعده لتجديد شريعته، وأثنى عليه عز وجل ببالغ الثناء والمدح، وشرفه بتكليمه وإياه– عليه السلام– قال تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ (النساء: ١٦٤). وكانت سورة السجدة من بين السور التي أشارت إلى سيدنا موسى – عليه السلام– إلا أن هذه الإشارة جاءت مقتضبة جداً، وعندما تأتي الإشارة إلى موسى – عليه السلام– بهذا الاقتضاب فهذا إشعار إلى أن هذه القصة معلومة قبل نزول هذه السورة لذلك جاءت الإشارة سريعة إليه، ولم تأتِ قصته تفصيلاً. فبعد أن ذكرت السورة إعراض المشركين عن آيات الله عز وجل وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة: ٢٢). وذكرت ما لقيه النبي– صلى الله عليه وسلم– من تكذيب المشركين وتوجيه التهم والشبهات حوله وحول القرآن الكريم، ذكرت الآيات موسى– عليه السلام– لأن هذا فيه تثبيت وتسلية للنبي– صلى الله عليه وسلم– مما كان يلاقيه من قومه، فأرادت السورة أن تخبر النبي– صلى الله عليه وسلم– أن موسى –عليه السلام– من قبله قد لقي من قومه ما لاقاه من صنوف الأذى والعذاب، ولا شك أن مصير من أشرك من قوم محمد – صلّى الله عليه وسلّم – كمصير فرعون وقومه وبني إسرائيل الذين كذبوا بآيات الله سبحانه وتعالى: لذلك كانت الخصوصية لهذه القصة أنها عبرة ومثل كامل للنبي – صلى الله عليه وسلم– في رسالته وإنزال القرآن الكريم. (1).

وجاءت الإشارة إلى موسى– عليه السلام– في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (السجدة: ٢٣). فالله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا موسى – عليه السلام– إلى فرعون الذي اشتهر بالطغيان حتى ادعى الربوبية، وقد ذكر الله تعالى قصة طغيانه وظلمه لبني إسرائيل قوم موسى – عليه السلام– في العديد من الآيات منها

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحوير والتنوير، ج٢١، ص ٢٣٥.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: ٤ – ٦). فقد علا فرعون وتجبّر وأذاق بني إسرائيل أشد العذاب من استضعافهم وترك نسائهم على قيد الحياة للخدمة، واستخدمهم في أخس الأعمال وأحقرها، وصنفهم أصنافاً، فصنف يبنون، وصنف يحرثون، فأراد الله سبحانه وتعالى أن ينقذهم من شر هذا الطاغية الجبّار ويخلصهم من ظلمه وطغيانه فكانت بعثة موسى – عليه السلام– رحمة لبني إسرائيل وإنقاذاً لهم من ظلم ذلك العنيد(١).

فأوحى الله لموسى– عليه السلام– وكلفه بحمل الرسالة، وأن يبلغ فرعون الدعوة، وأعطاه الله تعالى الآيات والمعجزات وأيده بها منها: العصا، واليد كما وأرسل معه أخاه هارون بناءً على طلب من موسى– عليه السلام– من الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون– عليه السلام– قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (القصص: ٣٥). ومن بين تلك الآيات أيضاً: فلق البحر وذلك عندما أوحى الله لموسى –عليه السلام– أن يخرج ببني إسرائيل من مصر، باتجاه الأرض المقدسة في فلسطين، وأن يضرب لهم في البحر طريقاً يسلكها هو وقومه، فانطلق موسى ببني إسرائيل خارجاً من أرض مصر كما أوحى الله إليه، ولحق فرعون ومن معه بني إسرائيل، وعندما دنا منهم ضرب موسى –عليه السلام– البحر فانطلق وانحسر الماء يمنة ويسرة، فسلك بنو إسرائيل أرض البحر بالمعجزة التي أجراها الله تعالى على يد موسى– عليه السلام–(٢).

وقد كان موسى – عليه السلام– وعد بني إسرائيل أن يأتيهم بعد نجاتهم من فرعون وجنده بوصايا ونصائح وشرائع من عند الله يسيرون وفق تعاليمها وأحكامها، وكان ذلك ميعاد تلقي التوراة(٣).

---

(١) انظر: الصابوني، محمد بن علي، النبوة والأنبياء، ط٣، ص١٧٨، مكتبة الغزالي، دمشق– سوريا، سنة ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
(٢) انظر:الميداني، العقيدة الإسلامية، ص٣٥٠.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٣٥١.

"فلما نجوا أخبرهم موسى – عليه السلام– أن الله جل وعلا واعده لينزل عليه الكتاب المتضمن ما وعدهم به، وذلك بأن يأتي لمناجاة ربه في الجانب الأيمن من جبل الطور، وأخبر قومه أنه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة يأتيهم بعدها بكتاب الرب وقال لأخيه هارون" ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، وسار موسى عليه السلام مع قومه إلى طور سيناء ولكن شوقه إلى مناجاة الله ورغبته بمرضاته قد دفعاه إلى أن يسبق قومه إلى الجبل، وصل موسى إلى الطور وحده، وقومه على أثره قد تأخروا عنه فقال الله له: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ (طه: ٨٣ – ٨٤). فزاد الله أجل الميقات عشر ليال، فتم ميقات الرب أربعين ليلة، استبطأ بنو إسرائيل عودة موسى من ميقات ربه ولعبت بهم وساوس الشيطان، فعبدوا العجل الذي اتخذه لهم السامري من حليهم، ولما عاد موسى من الميقات ومعه الألواح، وجد القوم يعبدون العجل، ويزعمونه آلهتهم فأخذه الغضب والأسف للكفر الذي رأى"(١). وهكذا أنزلت التوراة على موسى –عليه السلام–.

أولاً: تعريف التوراة

جاءت الإشارة في سورة السجدة إلى الكتاب الذي انزله الله سبحانه وتعالى على موسى – عليه السلام – في قوله تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) "، ومن المعلوم أنّ الكتاب الذي نزل على موسى – عليه السلام – هو التوارة فلا بد من الإشارة سريعاً إلى التعريف بهذا الكتاب وممّا يتكون .

فالتوراة كلمة عبرانية معناها الشريعة أو التعليم أو الناموس، ويراد بالتوراة عند اليهود خمسة أسفار يعتقدون أن موسى– عليه السلام– كتبها بيده، وهي:

١. سفر التكوين: ويتحدث عن خلق السماوات والأرض(٢)

٢. سفر الخروج: ويتحدث عن قصة بنى إسرائيل من بعد موت يوسف– عليه السلام– إلى خروجهم من مصر وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى– عليه السلام–(١).

---

(١) انظر: الميداني، العقيدة الإسلامية، بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق، وانظر: الخطيب، محمد أحمد، مقارنة الأديان، ط١، ص ٨٩، دار المسيرة، عمان– الأردن، سنة ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٨م، وانظر: الشرقاوي، محمد عبدالله، في مقارنة الأديان، ط٢، ص ١٥–١٧، دار الجيل، مكتبة الزهراء، بيروت، القاهرة، سنة ١٤١٠هـ–١٩٩٠م. وانظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط١، ص٦٥، دار أضواء السلف، الرياض– السعودية، سنة١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٣. سفر اللاويين: وهو نسبة إلى بني لاوي، وهم سبط من بني إسرائيل مكلفون بالمحافظة على الشريعة[٢].

٤. سفر العدد: وهو سفر يبين عدد بني إسرائيل، أي فيه تفصيل لأعداد قبائل بني إسرائيل وجيوشهم[٣]

٥. سفر التثنية: احتوى على الأحكام المتعلقة بمسائل العبادة وطقوسها خاصة ما يتعلق بأحكام المعاملات والحروب والاقتصاد[٤].

فالتوراة هو الكتاب الذي أنزله الله على سيدنا موسى- عليه السلام- لا كما زعم اليهود من نسبته إلى موسى- عليه السلام-[٥] ويتضمن الصحف التي أنزلت عليه، والألواح التي جاء بها بعد مناجاته لربه في جانب الطور كما مرّ سابقاً[٦].

وهناك مجموعتان من الكتب ملحقة بالتوراة عددها أربعة وثلاثون سفراً فيكون مجموعها مع التوراة تسعة وثلاثين سفراً، وهي ما يطلق عليها العهد القديم، وبناءً على ذلك يمكن تقسيم التوراة إلى خمسة أقسام:

١. الأسفار الخمسة المنسوبة بحسب زعم اليهود إلى موسى- عليه السلام-.

٢. الأسفار التاريخية وهي ثلاثة عشر سفراً، يشوع والقضاة وراعون وصموئيل الأول وصموئيل الثاني وغررا ونحيما وإستير ويونان وهذه الأسفار تحكي قصة بني إسرائيل من بعد موسى- عليه الصلاة والسلام- إلى ما بعد العودة من السبي إلى البابلي إلى فلسطين وإقامتهم للهيكل مرة أخرى بعد تدميره[٧].

٣. أسفار الأنبياء وهي خمسة عشر سفراً: أشعيا وأرميا ومزقيال ودانيال وهوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا وناحوم وصقوصا وصغنيا وزكريا وملاخى، وهذه الأسفار يغلب عليها طابع الرؤى والنبوات بما سيكون من حال بني إسرائيل[٨].

---

(١) انظر: الخلف، دراسات في الأديان، ص ٦٥.
(٢) انظر : الخلف، دراسات في الأديان، ص ٦٥ .
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) انظر: الخلف، دراسات في الأديان، ص ٦٥.
(٥) انظر: الخلف، دراسات في الأديان، ص ٦٦.
(٦) انظر: ابن تيمية، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي، النبوات، ط١، ج٢، ص ١٠٥٢، أضواء السلف، الرياض- السعودية، سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
(٧) انظر: الميداني، العقيدة الإسلامية، ص٥٤٦.
(٨) انظر: المصدر السابق.

٤. أسفار الحكمة والشعر وهي سفر أيوب والأمثال ونشيد الإنشاد ومراثي إرميا والأمثال[١].

٥. سفر الابتهالات والأدعية وهي سفر واحد وهو سفر المزامير المنسوب على داود عليه السلام[٢].

ومن الجدير بالذكر أن التوراة الحالية ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى- عليه السلام- ويظهر ذلك من خلال ما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام البيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ويرجع الباحثون أن قسماً من الأسفار الأخرى للتوراة قد ألف من الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد وقسماً آخر ألف من الفترة ما بين أوائل القرن السادس وآخر القرن الرابع قبل الميلاد[٣] واللغة التي دونت بها أسفار التوراة هي اللغة العبرية وبعض أجزائها كتبت باللغة الآرامية.

والتوراة الحالية ليس لها سند متصل يصحُّ به نسبتها إلى موسى- عليه السلام- كما دخل إليها التحريف والتبديل من غير تمييز بين الأصل والمحرّف؛ لذلك فلا يوثق في التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب[٤] وهذا ما أكده القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥). وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٨ – ٧٩). وهذه الآيات وغيرها دلت على أن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى -عليه السلام- ليست التوراة الحالية التي حُرِّفت من قبل بني إسرائيل الذين خانوا العهد ونقضوا الميثاق وكان القرآن الكريم أشار إلى وجوب الإيمان بالتوراة التي أنزلها على سيدنا موسى- عليه السلام- بوصفها كتاباً من كتبه وكتاباً شاملاً لكل شي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (الأنعام: ١٥٤). كما

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢). انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص٩٠، وانظر: عايش، سائد خليل، اليهودية الأرذوكسية، ط١، ص٢٥، مركز الإعلام العربي، مصر، سنة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣) انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص ٩٠، وانظر: سائد، اليهودية الأرذوكسية، ص ٢٥.

(٤) انظر: الميداني، العقيدة الإسلامية، ص٥٤٧، وانظر: الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص ٨٠.

وصفها بأنها هدىً ونور وفرقان، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائـدة: ٤٤)، وبين القرآن الكريم أن الله تعالى كلف بني إسرائيل بحمل التوراة والكتاب فمنهم من حملها بأمانة ومنهم من لم يؤد حقها، قال تعالى عمن حملها بالحق: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٩)، ووصف الذين لم يحملوها بالحمار الذي يحمل الكتب والأسفار ولا يعلم عنها شيئاً قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٥). وهؤلاء هم الفئة الغالبة في بني إسرائيل الذين خانوا الأمانة ونقضوا العهد، قال تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾(المائدة: ١٣). وقد ورد ذكر التوراة في القرآن ثمانية عشر مرة[1] وهذا يدل على أهمية الإيمان بالكتب السماوية، فهو ركن وجزء لا يتجزأ من أركان الإيمان بالله تعالى، فلا يتم إيمان المرء إلا بهذا الركن والإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله سبحانه على الأنبياء والمرسلين ومنها التوراة الكتاب الذي أنزله على موسى – عليه السلام-. وأما محتويات التوراة فلسنا مكلّفين بالإيمان إلا بما يوافق القرآن الكريم والسنة الصحيحة فلا نكذب ولا نصدق، أما ما ورد مخالفاً لأصول القرآن والسنة فلا يؤمن به بل يُحكم ببطلانه.

ثانياً: اللقاء الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (السجدة: ٢٣).

أشارت سورة السجدة في الآية الكريمة أن لقاءً تم واختلف الباحثون والعلماء في المقصود بهذا اللقاء على النحو الآتي:

القول الأول: المقصود باللقاء هو لقاء النبي – صلى الله عليه وسلم- موسى –عليه السلام- ليلة الإسراء وبهذا قال ابن عباس وذلك للحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:" مررتُ ليلة أسري بي على موسى بن عمران –عليه السلام- رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيتُ عيسى ابن مريم مربوع الخَلق إلى الحمرة والبياض

(١) انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص١٩٤.

سبط الرأس، وأري مالكاً خازن النار، والدَّجال في آيات أراهــنَّ الله إيـــاه ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآيِهِۦ﴾(السجدة: ٢٣).

قال: كان قتادة يفسرها أن نبي الله– صلى الله عليه وسلم– قد لقي موسى عليه السلام"[١].

فيكون المقصود فلا تكن في شك من أنك لقيته أو تلقاه ليلة أسري بك[٢]. فعلى هذا القول يكون اللقاء المقصود هو لقاء نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– لموسى –عليه الـسلام– فـي الليلة التي أسرى بها الله نبينا– محمد صلى الله عليه وسلم– إلى بيت المقدس ثـم عـرج إلـى السماء فسلم على الملائكة والأنبياء وصلى بهم[٣].

وبناء عليه يكون المقصود بالضمير الوارد في كلمة جعلناه في الآيـة: موسـى– عليـه السلام– أي جعل الله موسى هدىً لبني إسرائيل رشاداً لهم يرشدون باتباعه ويـصيبون الحـق بالاقتداء به، والائتمام بقوله– عليه السلام–.

القول الثاني: المقصود باللقاء هو الكتاب، فيكون الضمير في كلمة لقائـه عائـد علـى الكتاب، فيكون المعنى: فلا تكن في شك من لقاء الكتاب، أي من أن تلقى من إيتائك الكتاب كما تلقى موسى الكتاب أيضاً ويكون الضمير في "جعلناه" عائد على الكتاب أي جعلـه الله فرقانـاً وهدىً لبني إسرائيل إن هم اتبعوا تعاليمه وإرشادته[٤].

القول الثالث: قيل المقصود باللقاء هو الرجوع ذلك أن الضمير في لقائه عائد إلى الرجوع المفهوم في قوله تعالى:﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١). فيكون المعنى: لا تكن في مرية من لقاء الرجوع إلى الله تعالى[٥].

القول الرابع: المعنى المقصود أنه لا تكن في شك من أنه سيلقاك ما لقي موسى– عليـه السلام– من التكذيب والأذى فالمعنى يكون من لقاء ما لاقى موسى – عليه السلام– ولكن تكـن في مرية في أن يصيبك ما أصابه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم ١٦٥، ج١، ص ١٥١.
(٢) انظر: جامع البيان، ج٢٠، ص ١٩٣، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص ٢٩٦.
(٣) انظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٩٦.
(٤) انظر: ابن عاشور، التحوير والتنوير، ج٢١، ص ٢٤٣.
(٥) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص ٢٩٦.
(٦) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص ٢٩٦.

والذي يظهر أن الرأي الأول من أقوى الأقوال لورود الأثر بذلك. بالإضافة لما ورد في تاريخ نزول السورة فقد نزلت بعد حادثة الإسراء كما جاء في الفصل التمهيدي من الدراسة مما يدعّم هذا الرأي والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: الإمامة في الدين

إن المتأمل في حال أمتنا في هذه الأيام، وما حل بها من نوازل وبلايا يرى واقعاً مؤلماً، وحالاً مريرة وحياة مليئة بألوان من الذل والهوان، وصوراً من التيه والعمى، وأصبح باسها بينها شديد، فقد شردت عن رسالتها، وغلفت عن غايتها، فهي تتخبط يمنةً ويسرة، ذلك أنها تخلت عن منهج الله تعالى، وذاقت من كأس التبعية الذليلة لأعداء الدين ما ذاقت، ولم تسلم أمرها لله، بل سلمت زمام أمورها لأعدائه عز وجل، فالأمة في وضعها الحالي تتعرض لهجمات شرسة وعنيفة، وفي خضم هذا الواقع المرير، ما زال لدى الأمة بصيص أمل، وما زالت في تطلع وشوق ولهفة إلى من يلملم الجراح ويلم الشمل ويحفظ الكرامة فكانت مسؤولية تمكين الدين في الأرض وإعلاء كلمته ورايته على عاتق أئمة المسلمين من القادة والعلماء، ولكن الكثير منهم غفل عن السبيل الذي يحقق للأمة والدين سيادتهما وتمكينهما، بسبب ذلك التخبط الذي تعيشه الأمة في واقعها المعاصر، لذلك بين الله تعالى السبيل للخروج من البلاء، وما يعصف بالأمة من المحن، ويكون ذلك بنصرة الدين وإقامته وتبليغ الناس الحق، وتعرية الباطل وكشف زيفه وبهتانه لهم، وهذا كله يقع على عواتق القيادة المسلمة التي طال انتظارها، ممثلة بأئمة الدين للوصول إلى ظهور وتمكين الدين في الأرض، ويتمثل ذلك السبيل بالاهتداء بأمره من خلال أئمة الدين الذين يُؤتَّم بهم في الخير وقد ضرب الله مثلاً لهذه الأمة بني إسرائيل، وما من عليهم إذا جعل منهم أئمة يهدون بأمره سبحانه، ذلك أن بني إسرائيل كانوا قسمين كما بين القرآن الكريم: قسم مؤمن صالح، مدحه الله عز وجل، وقسم كان الغالب والظاهر فيه الكفر والعصيان، فقال تعالى عن الصنف الأول: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾النساء: (١٦٠ – ١٦٢). وقال عن القسم الثاني: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: ٨٨). فلما آمن بنو إسرائيل وأخلصوا لله تعالى في عبادتهم وطاعتهم، وبينوا الكتاب وأرشدوا إليه، وصبروا على تحمل المشاق في

سبيل الله تعالى وصدقوا بآيات الله أشد التصديق، كان جزاؤهم في الدنيا بأن جعلهم الله عز وجل قادة يقتدى بهم الناس، وأئمة يؤتم بهم في الخير[١].

وقد أشارت سورة السجدة لهذه المسألة في معرض حديثها عن تنزيل التوراة وإشارتها إلى موسى – عليه السلام – في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤). فالآية تشير إلى القسم الأول من بني إسرائيل وما أكرمهم الله سبحانه وتعالى به إذ جعلهم أئمة في الدين لأنهم حققوا سببين وقل إن شئت شرطين من شروط الإمامة وهما: الصبر واليقين، وهذا سيكون محور الحديث في هذا المطلب على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الإمامة في الدين

ورد في التعريف اللغوي لكلمة الإمامة أنها من الأصل أمَّ (أمَمَ)، والإمام "المؤتمُّ به، إنساناً كأن يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً، وجمعهُ: أئمة، وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾(الإسراء: ٧١). أي بالذي يقتدون به"[٢].

وعرف العلماء كلمة الإمامة بعدة تعريفات من أشهرها تعريف الإمام الماوردي[٣]– رحمه الله– في كتابه الأحكام السلطانية قال: " الإمامة خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[٤].

وعرف ابن خلدون[٥]. الإمامة بأنها: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عن الشارع إلى اعتبارها

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٩٤، وانظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٤٦٥، وانظر: الصابوني، النبوة والأنبياء، ص١٩٥.

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ج١، ص ٨٧.

(٣) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين ومن أصحاب التصانيف الكثيرة ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، من تصانيفه: أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية والنكت والعيون، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٧٢.

(٤) انظر: الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، (ت٤٥٠هـ)، بدون طبعة، ص١٥، دار الحديث، القاهرة، مصر، بدون سنة.

(٥) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد أبو زيد ولي الخضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي، أصله من اشبيليه مولده ومنشأه بتونس إلى فاس وغرناطة الأندلس، كان فصيحاً صادق اللهجة طامحاً للمراتب العالمية اشتهر بكتابه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر أولها المقدمة وهي تعرض أصول علم الاجتماع، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣،ص٣٣٠.

بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[١].

والإمامة التي تطرقت لها سورة السجدة هي إمامة الدين التي تقوم على حراسة الدين بالتالي سياسة الدنيا، فهي عامة شاملة تعني الرئاسة الشرعية للأمة الإسلامية في حفظ الدين، فالآية الكريمة الواردة في سورة السجدة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(السجدة: ٢٤). تخبر بوضوح بأن الإمامة لم تحصل لهؤلاء الموصوفين بها إلا بعد صبرهم على طاعة الله وعزوفهم عن لذات الدنيا وشهواتها وكونهم أهل يقين بما دلهم عليه الحجج الشرعية، وأهل تصديق لما تبين لهم من الحق من التوحيد وجميع مسائل الإيمان[٢].

مما سبق يمكن القول بأن الإمام الذي تحدثت عنه سورة السجدة هو: القدوة للناس، يؤتم به، فالإمام الحق يقود الناس إلى الطريق القويم المستقيم بالتالي إلى الجنة.

ثانياً: أسباب تحقق الإمامة في الدين كما جاءت في السورة

أشارت سورة السجدة إلى أنه لا بدّ من سببين لتحقق الإمامة في الدين بمفهومها السابق، وهذان السببان هما:

أ. الصبر

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤).

بينت الآية الكريمة سنة من سنن الله تعالى التي لا تبديل لها ولا تغيير وهي أن الأمة التي تريد الشرف وتطمح إلى الإمامة، لا بدَّ لها من سببين: الصبر على تكاليف الإيمان وما تطلبه من جهاد وما يعترض سبيل المؤمن من عراقيل وعقبات، واليقين بالله تعالى وهذا ما حدث مع بني إسرائيل عندما آتاهم الله الكتاب وصبروا على رسالة الله تعالى وأيقنوا من قلوبهم بوحدانية الله تعالى فجعلهم أئمة الخير الذين يحتذى بهم في كل الأمور[٣].

---

(١) انظر: ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ط١، ج١، ص٣٦٤، تحقيق: عبدالله الدرويش، دار يعرب، دمشق، سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

(٢) انظر:الطبري، جامع البيان، ج٢، ص ١٩٥.

(٣) انظر:عقيلان، من لطائف التفسير، ج٢٢، ص ١٢٦.

ولا بدّ من وقفة بسيطة مع أول سبب وأول صفة من صفات الإمامة وهي صفة الصبر، فالصبر في أصله: المنع والحبس وكل من حبس شيئاً فقد صبره[١]، والصبر: الإمساك في ضيق، وهو حبس التنفس على ما يقتضيه العقل والشرع[٢].

والصبر في معناه الاصطلاحي: حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما، ويقال: صَبر صبراً وصبّر نفسه، قال تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ (الكهف: ٢٨)[٣].

وحقيقته تكمن بأنه:" خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن...وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها... وقيل هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى، وقيل الصبر هو: الثبات مع الله وتلقي بلاؤه بالرّحب، وقيل: الصبر هو: الاستعانة بالله، وقيل: الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما"[٤].

وأما مراتب الصبر ودرجاته فهي:

١. الصبر على الطاعات: وذلك بالمحافظة عليها دواماً، ورعايتها إخلاصاً[٥].
٢. الصبر على المعاصي والمناهي: بالابتعاد عنها حتى لا يقع فيها[٦].
٣. الصبر على الأقدار: ويكون ذلك بعدم التسخط وملاحظة حسن الجزاء وانتظار الفرج[٧].

فالصبر شأنه عظيم وكما قيل الإيمان نصفان: صبر وشكر لذلك يجب على المؤمن أن يعرفه ويتمسك به ولا يعدل عنه ابتغاء وجه الله تعالى، وكم أثنى الله سبحانه وتعالى على الصابرين قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ (الرعد: ٢٢). ولعظم أمر الصبر أن جميع الأخلاق تدور عليه وتصدر منه، فإذا بحثنا عن خلق أو

---

(١) انظر:ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٣٨.
(٢) انظر:الراغب، الأصفهاني، المفردات، ص٤٧٤.
(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:٧٥١هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط١٣، ص١٥، دار ابن كثير، المدنية المنورة- السعودية، سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
(٤) انظر: ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص١٨.
(٥) انظر: المصدر السابق، ص ٢٨.
(٦) انظر: المصدر السابق، ص ٢٨.
(٧) انظر: المصدر السابق، ص٢٨.

فضيلة، نجد أن أصله الصبر، فالقناعة صبر على الشيء الكافي من الدنيا، والحلم صبر عند الغضب والزهد صبر عن كماليات العيش، وليس أدل على ذلك من اعتناء القرآن الكريم بالصبر وأهله، قال تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٢)، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ (الفرقان: ٧٥) وقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الرعد: ٢٤). وهذا يدل على أن للصبر قيمة كبيرة في الدنيا والآخرة، فلا نجاح ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا بالصبر، لذلك كانت الصفة الأولى والسبب الأول لأولئك الأئمة الذين أقاموا الدين هو الصبر على كل شيء، و أهل الإيمان أشد الناس حاجة إلى الصبر، لأنهم هم الذين يقومون بالدعوة، ويجابهون الأمم بالتغيير، فكانوا بحاجة للصبر، ولأنهم صبروا وقاموا بأداء ما عليهم بأكمل وجه نالوا ما نالوه من شرف إمامة الناس وكانوا مثلاً وقدوة لهم في كل شيء والقارىء في آيات القرآن الكريم يجد أنّ الله سبحانه وتعالى قد أرشد المعلم الأول والنبي الأكرم- صلوات ربي وسلامه عليه- بالصبر في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٤٩). وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(النحل: ١٢٧)، وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ (الطور: ٤٨)، فأمر الله تعالى نبيه- صلى الله عليه وسلم- بالصبر يدل دلالة واضحة على أهميته وعظيم شأنه(١).

ب. اليقين

والسبب الثاني من أسباب الإمامة والصفات التي تنال بها الإمامة هي اليقين، الذي قال عنه الإمام ابن القيم:" وهو من الإيمان منزله الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون"(٢).

---

(١) انظر: ابن القيّم الجوزية، عدة الصابرين، ص ٢٨.
(٢) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، ص٣٧٤.

واليقين: هو اعتقاد الشيء اعتقاداً مطابقاً للواقع، وهو العلم الذي لا شك معه، وقيل: تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب وهو: استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب"[١].

وقال ابن القيم في بيان حقيقة اليقين أنه:" هو الذين يحمل السائر إلى الله فلولا اليقين ما سار ركب إلى الله،ولا ثبت قدم في السلوك إلا به واليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم، فامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضا به، وشكراً له وتوكلاً عليه وإنابة إليه"[٢].
إذاً فالمراد باليقين: هو العلم التام والتصديق الجازم بحقائق الدين.

وأما درجات اليقين فهي:

- علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما كان للحق، والوقوف على ما قام للحق[٣].
- عين اليقين: وهو المغني بالاستدلال عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان ويعني ذلك أن صاحبه استغنى به عن طلب الدليل: فإنه إنما يطلب الدليل ليحصل له العلم بالمدلول[٤].
- حق اليقين: ولا تنال هذه الدرجة إلا للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن موسى– عليه السلام– سمع كلام الله منه إليه بلا واسطة وكلمه تكليماً[٥].

وقد وردت جميع الدرجات في سورة التكاثر قال تعالى:﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(التكاثر: ١ – ٨).

وهكذا فإن اليقين يثمر ويورث الانتفاع بالآيات والبراهين كما قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥). والرضا بأحكام

---

(١) انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٥٩.
(٢) انظر: ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج٢، ص٣٧٥.
(٣) انظر: ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج٢، ص٣٧٩.
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج٢، ص ٣٧٩.

الله عز وجل، قال تعــالى:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائــدة: ٥٠)، واجتناب الظلم بشتى صوره، فلا شيء يمنع النفس من الظلم كاليقين في الرجوع إلى الله عــز وجل، فإذا ما علم المؤمنين علماً تاماً أمور الدين وصدق بها تصديقاً لا يخالطه شك أو ريــب، وصبروا على تحمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، وبينوا لهم سبيل الخير من سبيل الشر جعل منهم أئمة وفي هذا تنبيه لقريش بخاصة والأمة بعامة أنهم إن قاموا بشرع الله وآمنوا به وأطاعوه حق طاعته وعبادته جعل منهم أئمة(١). فاجتماع هاتين الصفتين وهــذين الــسببين تتحقق الإمامة في الدين، فإذا ما حققت الأمة هاتين الصفتين تتحقق لهم الإمامة قال ابن القــيم: وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين، قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)(٢).

فالثمرة التي تنتج من اجتماع الصبر مع اليقين الإمامة والقدوة في الدين فالصابر والموقن بآيات ربه له ما يميزه من جميع الخلق. ولعل سؤالاً يُطرح، ما العلاقة التي جمعت بين هــاتين الصفتين بالتحديد؟

ويجاب على السؤال بــ" العلاقة بين الصبر واليقين هي علاقة استلزام، لأن العلم التــام بالشيء وما يجلبه للمرء من خير أو يدفعه عنه من شر يستلزم قوة وصبراً في أداء ذلك الفعل، وقلَّ مثله فيما يقتضيه ذلك العلم من الترك وما يترتب عنه من نتائج فالمترشح لإمامة المتقين إذا كان من أهل اليقين بحقائق دين الإسلام من عقائد صحيحة وشعائر فاضلة وشرائع عادلة وعلم بأن لا فلاح في الدنيا والآخرة إلا بالتمسك بأهدافها لا بدّ أن يكون ذا رزانة وشخصية عالية لا تنقاد لشبهات البدع والضلالات، ولا ينساق وراء مختلف الشهوات، وانظر إلى حــال الأنبيــاء عليهم السلام، وكذلك ورثتهم العلماء من بعدهم، لمّا كانوا أهل يقين بما أمر به الله من الإيمــان والعمل الصالح ولم يلتفتوا إلى شبهات الكفار والمشركين وأهل البدع في معارضة الحق، كما لم يمنعهم من العمل بما علموا رغبة وبلا رهبة(٣) قال تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ

---

(١) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٤٦٥.
(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢، ص٣٧٤.
(٣) السنغالي، انجونجو مباكي صمب، بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين قاعدة جليلــة فــي فئــة الــدعوة والسياسية الشرعية، ص١٠، بدون طبعة، ولا سنة وهو بحث منشور عبر موقع الألوكة على الشبكة العنكبوتية.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨).

فما أن تحقق الصبر واليقين تحققت الإمامة فهي علاقة شرط بمشروطه فإذا ما تحقق شرط الصبر واليقين تحققت الإمامة، اللهم ارزقنا الصبر واليقين لنكون هداةً مهتدين بأمرك وعجّل لنا إمامةً تمكن دينك في الأرض.

المطلب الثالث: افتراق بني إسرائيل العقدي

أولاً: نماذج من افتراق بني إسرائيل العقدي

أشارت سورة السجدة إلى أن الله عز وجل جعل من بني إسرائيل قادة وقدوة يقتدى بهم في الخير، ذلك عندما كانوا يدعون الخلق إلى طاعة الله عز وجل ويرشدونهم إلى الدين بأمره جل وعلا، وذكرت أن من سنة الله تعالى في خلقه أن يُمكّن لهم دينهم إن هم أطاعوه وصدقوه،من الممكن لأي أمة أن يعتريها موجات ونزعات من الأهواء والبدع والأحداث الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الاختلاف والافتراق فيها وهذا ما حدث مع بني إسرائيل، وعن هذا أشارت سورة السجدة في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (السجدة: ٢٥) وفي هذا بيان إلى أن الفرقة والاختلاف وقع بينهم، وأنهم اختلفوا في أمور الدين من البعث والثواب والعقاب[١].

فقد تعددت الفرق عند بني إسرائيل (اليهود) على مختلف العصور واختلفت فيما بينها باختلافات جوهرية وعميقة امتدت إلى العقائد والأصول[٢]. ذلك أنه بعد سقوط فلسطين" تحت حكم السلوقين وهي الامبراطورية المقدونية (١٩٨ق.م)، بدأ اليونان يضطهدون اليهود ويمارسون الضغط عليهم بشتى الوسائل لاعتناق دينهم اليوناني، ويرغمونهم على عبادة الآلهة اليونانية، فتفرقت كلمة اليهود وتشتت شملهم، فمنهم من قبل الدعوة اليونانية الوثنية ومنهم من بقي على التعاليم اليهودية، فافترقوا إلى عدة فرق من النواحي العديدة. منها الدينية والسياسية والقبلية، وكانت بذور الخلاف بينهم ظهرت بعد وفاة نبي الله سليمان– عليه السلام– حيث

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٩٥.
(٢) انظر: عايش، سائد خليل، اليهودية الأرذوكسية، ص٤٣.

انقسمت دولة اليهود إلى مملكتين متحاربتين: مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم، ومملكة شمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم، ولم تجتمع كلمتهم منذ ذلك الحين"[١].

فبنو إسرائيل اختلفوا في الأصول والعقائد الأمر الذي أدى إلى نشوء فرق كثيرة عندهم، وسأكتفي بعرض موجز لبعض فرق بني إسرائيل وما تعتقده لأدلل على افتراقهم في أصول الدين والعقيدة، فمن أهم فرقهم ما يلي:

١. الفريسِّية: والفريسيون هم المنشقون والمنعزلون ذلك أن كلمة الفريسية مأخوذة من الكلمة العبرية (بيروشيم) وتعنى المنعزلون وهي فرقة دينية ظهرت في حوالي القرنين الرابع والثالث (ق.م) وهم أساس فرقة الربانيين التي جعلت للتلمود[٢] أو الشريعة مكانة أعلى من مكانة التوراة[٣] وتعد هذه الفرقة من أهم فرق اليهود وأخطرها وأكثرها عدداً في الماضي والحاضر وهم الذين ابتدعوا القانون الشفوي، واتبعوا رجال الكنيس العظيم وهم الكتبة اليهود الأقدمين الذين اعتبروا عزرا أكبر معلم يهودي بعد موسى – عليه السلام–[٤].

وما يهمنا في هذا المضمار هو الإشارة إلى معتقد الفرقة ليتبين عند عرض باقي أشهر الفرق اليهودية أن ثمة خلاف وافتراق بينهم من الناحية العقدية وهذا ما ينبه القرآن الكريم وسورة السجدة له، وخلاصة معتقد فرقة الفريسيين: أنهم آمنوا بوحدانية الخالق، والمسيح، وخلود الروح في الآخرة والبعث والثواب والعقاب والملائكة، كما تؤمن بالأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وتؤمن بالتلمود وسلطة الحاخامات على اليهود، ويعتقد الفريسيون بمجيء المسيح المنتظر ليعيد ملكوت الله على الرغم من أنهم وقفوا في وجه المسيح– عليه السلام– وكانوا على رأس المتآمرين عليه، ولم ينفكوا يريدون له الكيد حتى حكم بصلبه– بحسب زعمهم– كما ويتمسكون بالأنبياء والآباء الأولين، ويرفضون الإيمان بأنبياء بني إسرائيل

---

(١) الأعظمي، محمد ضياء الدين، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط٢، ص٢١٧، مكتبة الرشد، الرياض– السعودية، سنة ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

(٢) التلمود: روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، جمعت في كتاب يسمى (المشنا) ويعني: الشريعة المكررة لأنه تكرار لما ورد في توراة موسى– عليه السلام– واستعصت (المشنا) على بعض القراء فأخذ علماء اليهود تفسيرها وكتابة حواشي عليها وسميت هذه الحواشي جمارا فمن المشنا والحجارا يتكون التلمود. انظر: الخطيب، محمد، في مقارنة الأديان، ص١٠٦–١٠٩، وانظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان، ص١٠٠.

(٣) انظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٤٤، وانظر: فتاح، عرفان عبد الحميد، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ط١، ص٩٩، دار عمار، عمان– الأردن، دار البيارق، بيروت– لبنان، سنة١٤١٧هـ–١٩٩٧م، وانظر: شلبي، أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، ط٨، ص٢١٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، سنة ١٩٨٨م.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

المتأخرين[١].وتجدر الإشارة إلى أن الفريسيين هم أقوى الطوائف الدينية اليهودية وكان لهم عظيم النفوذ على اليهود، فكانوا زعماءهم وقادتهم ومرشديهم في أمور دينهم ودنياهم وموضع الاحترام العظيم، وهم أكبر الفرق اليهودية قديماً وحديثاً[٢].

٢. الصدوقية: وتأتي هذه الفرقة في الأهمية بعد فرقة الفريسيين، والصدوقية مأخوذة من الكلمة العبرية: (صدوقيم)، وقيل تسمية هذه الفرقة نسبة إلى صدوق أو الصادق رئيس الكهنة أيام داود وسليمان عليما السلام، وفي عائلته حفظت رئاسة الكهون فسمى خلفاؤه وأنصاره صدوقين أو الصادقين[٣].

وأما خلاصة عقيدة الصدوقين فهي: أنهم كانوا يؤمنون بأن عزيراً ابن الله- تعالى الله عما يصفون-، وأنكروا التلمود، ولم يقدموا التوراة، كما أنكروا البعث واليوم الآخر؛ وذلك لأن اعتقادهم أن العقاب والثواب يكونان في الدنيا، ولا يؤمنون بالمسيح المنتظر وينكرون وجود الملائكة والشياطين[٤].

وفرقة الصدوقية كانت الفرقة المنافسة للفريسيين في عصر عيسى- عليه السلام- وكان محور الصراع بينهما التلمود والبعث، فالصدوقيون لا يؤمنون إلا بالعهد القديم، ولا يعترفون بشرعية التلمود ولا قدسيته كما لا يرون الجزاء والحساب إلا في الحياة الدنيا وينكرون وجود الآخرة وإنكار البعث[٥].

٤. فرقة السامرية: وهي كلمة معربة من كلمة (شوميرونيم) العبرية والتي تعني سكان السامرة، والسامرة هي مركز السامريين وتقع وسط فلسطين ويشار إليهم في التلمود بلفظ (كويتم) وتعني الغرباء، والسامريون فرقة يتقشفون في الطهارة وهم أكثر من تقشف من اليهود[٦].

---

(١) انظر: شلبي، مقارنة الأديان، ص٢١٩، وانظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٤٤-٤٧، وانظر: فتاح، عرفان عبد الحميد، اليهودية عرض تاريخي، ص٩٨-١٠٢.

(٢). انظر: المغربي، السموأل بن يحيى بن عباس، (ت٥٧٠هـ)، بذل المجهود في إفحام اليهود، ط١، ص١٩٧، دار القلم- الدار الشامية، سنة ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند، ص ٢٢٢.

(٦) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٣، وانظر: المقراني، عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، ط١، ص١٨٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المركز الرئيسي، أمريكا، سنة١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

وتتلخص عقيدة هذه الفرقة: بأنهم يؤمنون بالله الواحد واليوم الآخر والملائكة ويثبتون نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون- عليهم السلام-، وأنكرو نبوة من بعدهم، كما أنهم يؤمنون بالله بأن موسى- عليه السلام- تجسيد للنور الإلهي والصورة الإلهية- بحسب زعمهم-، كما لا تُثبت هذه الفرقة ولا تؤمن إلا بالأسفار الخمسة التي تمثل العهد القديم، وسفر يوشع، وسفر القضاة، وتنكر بقية أسفار العهد القديم والتلمود، وينفي بعض اليهود عن السامرين صفة الانتساب إلى اليهودية، وتعد هذه الفرقة أصغر جماعة دينية يهودية في العالم[١].

٥. القرّاؤون (العنانيون): وهي فرقة ظهرت بأرض بابل في منتصف القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي)، والقرّاؤن مصطلح يقابله في العبرية، (قرائيم) أوبني مقرّا أو" بعلى هامفرا" أي أهل الكتاب، وقد سمى القرّاؤون بهذا الاسم لأنهم لا يؤمنون بالشريعة الشفوية (السماعية) وإنما يؤمنون بالتوراة فقط ولم يستخدم هذا المصطلح للإشارة إليهم إلا في القرن التاسع إذ ظل العرب يشيرون إليهم بالعنانية نسبة إلى مؤسسها وهو عنان بن داوود في بابل في القرن الثامن للميلاد، وأنشئت في بغداد في أواخر القرن الثامن للميلاد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أي بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرناً. واسم القرائين نسبة إلى مقر بمعنى الكتاب أو المكتوب وهي الكلمة التي كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم، فمعنى القرائين: المتمسكون بالكتاب وحده أي أسفار العهد القديم[٢].

ومن أهم ما يعتقد به أصحاب هذه الفرقة: أنها تتمسك بما جاء في العهد القديم وحده وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات ورفضت الشريعة الشفوية، وطالب القراؤون بنبذ التلمود، ودعا اليهود ألا يطيعوا غير أسفار موسى الخمسة، وهم بهذا يوافقون (الصدقيون) وكان رأيهم في عيسى- عليه السلام- أنه رجل صالح لم يرغب في نبذ شريعة موسى- عليه السلام- المدونة، وفتحوا باب الاجتهاد في فهم النصوص المقدسة[٣].

هذه أربعة نماذج من الافتراق العقدي عند اليهود في العصر القديم وإلا فالافتراق وقع في بني إسرائيل على مر العصور، فالأمثلة السابقة هي مثال على الفرق التي ظهرت عند اليهود في العصور القديمة كما وظهر في العصور الوسطى فرقاً دينية أخرى لليهود مثل: اليهودية

---

(١) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٣، وانظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٥١.
(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٠، وانظر: المقراني، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، ص١٨٧، وانظر: عرفان، اليهودية، عرض تاريخي، ص٩٤.
(٣) انظر: المصادر السابقة.

الحاخامية التلمودية[١]، والصوفية القبالاه[٢] والافتراق ما زال قائماً بينهم حتى في العصر الحديث فظهرت الفرقة المحافظة[٣]، والفرقة الأرذوكسية[٤]، واكتفيت بالتدليل على الافتراق العقدي عند بني إسرائيل (اليهود) بالفرق الأربع السابقة ولو كان المقام يتسع هنا لذكر فرقاً أخرى لذكرت وإنما اكتفيت بالقدر الذي يبين أن بني إسرائيل اختلفوا وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في سورة السجدة، والسؤال الذي يجب أن يسأل: ما هي الأسباب التي دعت اليهود للافتراق؟

ثانياً: أسباب الافتراق العقدي عند بني إسرائيل

وكما أشرت في المبحث الأول في الفصل الأول من هذه الدراسة وتحدثت عن الأسباب التي أدت إلى الافتراق العقدي عند المسلمين، فلا بد أن يكون هناك أسباباً أدت إلى الافتراق عند بني إسرائيل ولعل من أهم أسباب افتراق ونشأة المذاهب والفرق عند اليهود ما يأتي:

١. "خضوع بني إسرائيل للهيمنة والاحتلال والسيطرة الأجنبية من أشورية وبابلية ومصرية وفارسية ورومانية، وما كان يصاحب هذا الاحتلال الأجنبي ويرافقه من عمليات تهجير قصري عام، واضطهاد ومعاناة وما تولده من ردود فعل دينية متباينة متنوعة ومتعارضة، تفاوتت بين الدعوة إلى الثورة والتمرد كما هو الحال مع الثورة المكابية عام ١٦٥(ق.م) والحرب الأهلية ضد الرومان بين عامي ٦٦-٧٠ (ق.م) أو الاستسلام والارتكاس في غيبوبة كاملة عن الواقع وتحدياته بدعوى أن الاحتلال الوثني واستهانة الغزاة باليهود وشرائعهم وتقاليدهم المتوارثة عن الأسلاف، نقمة ربانية نزلت باليهود لخروجهم عن دين موسى- عليه السلام- وارتدادهم عن التوراة، وليس لهم إلا انتظار المخلّص الموعود من آل داود لإنقاذهم مما يعانون من قتل واضطهاد ومعاناة أو اتباع

---

(١) اليهودية الحاخامية التلمودية الربانية: هي شكل العقيدة اليهودية السائد بين معظم الجماعات اليهودية في العالم ابتداءً من القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن عشر، جعلوا التلمود وكتابهم الأساس وتؤمن به إيماناً قاطعاً وتدافع عن كل ما جاء فيه من أوامر وتشريعات، انظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٨٥.

(٢) الصوفية القبالاه: القباليون هم السلفيون وهم نقيض الحرفيين والعقليين، والصوفية هي التي تؤمن بمجموع التفسيرات والتأويلات الباطنية والاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر، أو القبول أو التقبل، وهي مذهب باطني يهيودي، وطريقة يهودية في التصوف، انظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٩١.

(٣) اليهودية المحافظة: وهي فرقة دينية حديثة نشأت في الولايات المتحدة، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كمحاولة من جانب اليهودية للاستجابة لوضع اليهود في العصر الحديث، وهي من أهم وأكبر الحركات الدينية اليهودية في العام، انظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٧٢.

(٤) اليهودية الأرذوكسية: نشأت الأرذوكسية اليهودية كرد فعل على التغيرات التي أصابت المجتمعات اليهودية في غرب ووسط أوروبا في النصف الأول من القرن التاسع عشر والتي تحدث سلطة الحاخامات وفكرهم الانغلاقي، وأدت إلى ظهور الحركة الإصلاحية في الديانة اليهودية وأول من قدم الموقف الأرذوكسي هو الحاخام شمعون هيرش (١٨٠٨هت-١٨٨٨) المولود في ألمانيا لأب عارض تأسيس الكنيس الإصطلاحي، انظر: عايش، اليهودية الأرذوكسية، ص٨٤.

سياسة المماثلة والتوافق والتفاهم مع الأعداء طمعاً في الحصول على قدر من التسامح الديني الذي يهيء لليهود فرصة العودة إلى دراسة التوراة، وتنمية مشاعر الالتزام بوصايا الرب والانكباب على دراسة التوراة والتلمود، تقنيناً وشرحاً وتوضيحاً صدوراً عن عقيدة راسخة مفادها أن مرتكز الوجود المعنوي لليهود هو التوراة فهو الكفيل بالحفاظ على هويتهم الدينية ووجودهم المعنوي كما هو الحال مع الصدوقين"(١).

٢. تحريف التوراة فمن الثابت أنّ الكتاب الذي بين يدي اليهود لا سند له، فلا يمكن الاعتماد عليه في صحة المعلومات الواردة فيه، وليس أدل على تحريف التوراة من الافتراق الحاصل بينهم، والانحرافات الخطيرة التي انحرفوها في الدين، فإنّ كثيراً منهم أعرض عن طريق الله تعالى، وتركوه رغبة عنه وحباً للدنيا، وإيثاراً لها، وكان سبب هذا الانحراف هو العبث وتحريف التوراة(٢)، وقد شهد الله سبحانه وتعالى بتحريف اليهود لكتابهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥). فإذا الكتاب الأصل الذي يرجعون إليه محرف ولا أصل له فلا بدّ أن يكون سبباً مباشراً في فرقتهم واختلافهم.

٣. التلمود وما أحدثه من تغيير جذري في الديانة اليهودية، حيث قسمها إلى عقائد وفرق مختلفة، كما أثر في سلوكيات المؤمنين به مما أدى إلى انحرافهم، فلقد ساهم بدرجة كبيرة في انقسام اليهود إلى فرق متعددة وتعميق الهوة بين أشهر الفرق اليهودية وتعاظم الخلاف بينها، وكان أهم ما يباعد بين هذه الفرق هو اختلافهم حول ما يعتقدونه من التوراة ومدى تصديقهم أو إنكارهم بالبعث و النشور والحساب والعقاب، فالتلمود كما اعتبره الدكتور كامل سعفان:" أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية إذ يدعوا إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات"(٣)، فلو تناولنا أنموذجاً على ما يشتمل عليه التلمود من الفساد العقائدي الذي يدل على الانحراف في العقيدة نظرته إلى الله عز وجل، فأسفار التلمود تظهر الله تعالى منصفاً بجميع الحوادث وصفات النقص، فقد وصف اليهود الله عز وجل بأن شغله هو تعلم التلمود مع الملائكة، واللعب مع الحوت، وأنه يبكي لأجل ما حلّ باليهود من التعاسة– تعالى الله عما يصفون– وهكذا فإن التلمود بما فيه من مبادئ فاسدة وأفكار

---

(١) عرفان، اليهودية، ص٩٢.
(٢) انظر: الخلف، دراسات في الأديان، ص٨٤.
(٣) انظر: الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٨٤.

خطيرة هو كتاب مقدس عند اليهود وكان سبباً في اختلافهم، ففرقة الفريسيين يقدسونه ويعظمونه ويقولون أنه من عند الله تعالى ويقولون أنه أقدس من التوراة، في حين أن هناك كثيراً من الفرق اليهودية أنكرته ولم تعترف به[١].

٤. تأثير المعتقدات الإسلامية، والتقلبات السياسية، ذلك أن للثقافة الإسلامية فضلاً حيث استطاع الشاب اليهودي أن يحافظ على اليهودية ويرتقي بها في العصور التي ساد فيها الجهل والظلام وقد كان لفلسفة المعتزلة أثر كبير في العلماء اليهود الذين اتجهوا إلى إيجاد تعليل فلسفي للدين اليهودي وأحكامه. وكان الأثر الإسلامي أكثر وضوحاً في فرقة القرائيين، وفي فرقة القرائيين من تأثر بالإسلام مثل: "العيسوية" التي أسسها أبو عيسى الأصفهاني، و" اليودجانية" التي أسسها يودجان تلميذ أبي عيسى الأصفهاني وكلاهما ادعى النبوة في القرن الثامن الميلادي، فقد خلط القرّاؤون في عقيدتهم بين مفاهيم يهودية قديمة خارجة على التراث التلمودي وبين بعض التعاليم الإسلامية التي أخذت مباشرة من الإسلام ومن بعض الفرق الإسلامية، وقد وضع القرّاؤون معايير لاستنباط الأحكام شبيهة بالمعايير الإسلامية ومنها الالتزام بالكتاب المقدس والأخذ بإجماع الأمة، والأخذ بالقياس المعتمد على المنطق، والاعتماد على المعرفة العقلية وهي تشبه مصادر التشريع في الإسلام: الكتاب والإجماع والقياس[٢].

ولعلّ من الأسباب التي قد تكون أدت إلى اختلاف بني إسرائيل هو الشخصية الإسرائيلية اليهودية الملتوية المعوجة، وما كان منها من صفات كان لها أثر سلبي في تشكيل عقيدتهم وعقيلتهم وبالتالي انحرافهم وفرقتهم، ومن هذه الصفات: الكذب، وقد تعمقت بهم هذه الخصلة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ٤٩ – ٥٠). وصفة كراهية الموت قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ (البقرة: ٩٦)، وصفة الخداع والتحايل، كما تحايلوا على مراد ربنا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ (البقرة: ٥٨). وصفة حب الدنيا وهذه الخصلة هي رأس كل خطيئة، فكذبوا على الله لحبهم

---

(١) انظر: سعفان، كامل، اليهود، تاريخ وعقيدة، بدون طبعة، ص١٤٤، دار الاعتصام بدون سنة.

(٢) انظر: أحمد، محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ط١، ص٢٣١-٢٣١، دار قباء، القاهرة، مصر، سنة ١٩٩٨م.

الدنيا، وجبنوا عن القتال لحبهم الدنيا، وأضلوا الناس عن دين الله حباً في الدنيا وخـانوا العهـد والميثاق حباً في الدنيا، وتمسكاً بنعيمها الزائل، وأخذوا بالسحر، وتركوا الوحي حباً في الدنيا[١].

بالإضافة إلى قسوة القلب التي امتازوا بها والتي جعلت منهم قتلة للأنبياء- عليهم السلام- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(البقرة: ٧٤)، وصفة الخيانة التي هي من الصفات الملازمة لهم، وهي متحققة فيهم إلى هذا الزمن، ومـن أبـرز صـفاتهم فـي الماضي والحاضر والمستقبل هي الإفساد في الأرض قـال تعـالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٤)، بالإضافة إلى جبنهم الشديد قـال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾(الحشر: ١٤)، كما واتصفوا بسوء أدبهم مع الله قال تعـالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾(المائـدة: ٦٤)، وقـال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١). كما اتصفوا بنقضهم للعهود. قـال تعـالى:﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٠)، بالإضافة إلى الكفر والجدال على أوامر الله تعالى التي تعد من أخبث صفاتهم[٢] فكل هذه الصفات وغيرها كفيلة لأن تخرج مجتمعاً متفرقاً فاسداً نكداً منحرفاً عن الطريق القويم وتجعله صاحب عقيدة زائغة باطلة.

فآية سورة السجدة قررت أن بني إسرائيل (اليهود) قد افترقوا واختلفوا في أصول ديـنهم وعقائدهم وبينت أن الله عز وجل سيحكم فيما اختلفوا فيه يوم القيامة قـال تعـالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (السجدة: ٢٥).

(١) انظر: الخلف، دراسات في الأديان، ص١١٤.
(٢) انظر: الخلف، دراسات في الأديان، ص ١١٤.

المبحث الثالث

استدلال السورة بمصير الأقوام السالفة

أشارت سورة السجدة – كما بينت سابقاً– إلى أسباب حمل الدعوة وهما: الصبر على الأذى، واليقين التام، وهما أسباب الوحدة كما أشارت إلى الاختلاف الذي وقع في الأمم وضربت مثالاً على ذلك باختلاف بني إسرائيل، وفي الإشارة إلى الاختلاف تحذير من الافتراق والبعد عن طاعة الله تعالى وترك أوامره، وبعد أن وضحت ذلك استدلت السورة بمصير الأقوام السالفة، ومصارع الأمم الغابرة التي استكبرت وكفرت بالله الواحد القهار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (السجدة: ٢٦).

بينت الآية السابقة من سورة السجدة سنة من سنن الله الكونية، هذه السنة ماضية في الأمم التي تجحد آيات الله وتكفر به وتكذب رسله وتحيد عن الطريق القويم، وبينت أن الأمة التي حالها كذلك مصيرها العذاب الأليم، وقد أورد الله سبحانه مصارع تلك الأمم وبين ما حلّ عليها من العذاب في كثير من الآيات: قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧)، وقال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ (الأنفال: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (التوبة: ٧٠).

فهذه الآيات جميعها بالإضافة إلى آية سورة السجدة تبين سنة كونية يعذب الله بها الأمم إنّ حادت عن طريقه جلّ وعلا وهذه السنن لا تحابي أمة ولا تتجاوز أي قوم مستحقاً للعذاب، وإن تأخر ذلك العذاب على سبيل الاستدراج.

ومن الجدير بالذكر أن الله عز وجل جَعل عذاب تلك الأمم على ضربين:

١- عذاب الاستئصال، كعذاب قوم نوح- عليه السلام- وعادٍ قوم هود- عليه السلام- وعذاب ثمود، وهو العذاب الذي لا يُبقي ولا يذر ويقوم بإهلاك جميع الأمة[١].

٢- العذاب الذي لا يودي بجميع الأمة، ولا يؤدي إلى فنائها فهو العذاب الشديد كالخسف والمسخ، مثل عذاب الله تعالى لفرعون وبني إسرائيل[٢].

والضرب الأول من العذاب، رفعه الله سبحانه عن البشرية ببالغ رحمته قال تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (فاطر: ٤٥)، ذلك أن الله تعالى كان " قبل نزول التوراة يهلك المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً يهلك به جميع المكذبين كما أهلك قوم نوح وكما أهلك عاداً وثموداً، وأهل مدين، وقوم لوط، وكما أهلك قوم فرعون، وأظهر آيات كثيرة لمَّا أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض، إذ كان بعد نزول التوراة، لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال، بل قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (القصص: ٤٣)[٣] وقال ابن القيم -رحمه الله -: "وتأمل حكمته تعالى في عذاب الأمم السالفة بعذاب الاستئصال لما كانوا أطول أعماراً وأعظم قوى وأعتى على الله وعلى رسوله، فلما تقاصرت الأعمار وضعفت القوى رفع عذاب الاستئصال وجعل عذابهم بأيدي المؤمنين فكانت الحكمة في كل واحد من الأمرين ما اقتضته في وقته"[٤].

مما سبق يتبين أن الله عز وجل رفع عذاب الاستئصال برسالة موسى- عليه السلام- ولم يرفع أصل العذاب، فقد يسلط الله تعالى الريح أو غيرها على أمة من الأمم. كما جعل الله تعالى العذاب والانتقام بحسب ذنوبهم وجزائهم فعذاب قوم عاد بالريح الشديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء، وعُذّب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم، وعذّب قوم شعيب بالنار التي أحرقتهم وأحرقت تلك الأموال التي اكتسبوها بالظلم والعدوان وأما ثمود فأهلكهم بالصيحة...ومن اعتبر أحوال العالم قديما وحديثاً وما يعاقب به من يسعى في الأرض بالفساد

---

(١) انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح عن بدل دين المسيح، ط٢، ج٦، ص٤٤٣، تحقيق: علي بن حسن حمدان بن محمد، دار العاصمة- السعودية، سنة١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٦، ص٤٤٣.
(٤). ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص٢٥٥.

وسفك الدماء بغير حق وأقام الفسق واستهان بحرمات الله علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون"[١].

وقد بينت الآيات الكريمة السبب في ضرب المثال والاستدلال بمصير الأمم السالفة التي وقع عليها عذاب الله تعالى ودعا إلى السير في الأرض والنظر في مساكنهم وما آل إليه مصيرهم، ليأخذوا العبرة والعظة وتكون لهم الرادع بأن يطيعوا الله تعالى ولا يعصوه فيصيبهم ما أصاب الأقوام المكذبة. قال ابن تيمية – رحمه الله– في هذا الشأن:" وإنما قصَّ الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقتبس أواخر الأمم بأوائلها فيكون من المتأخرين شبه بما كان من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين..." [٢].

وهكذا فإن السورة الكريمة استدلت بمصير أولئك المكذبين الذين كذبوا رسل الله تعالى ولم يؤمنوا به ولم يؤدوا حقه، واستنكرت على أولئك المكذبين أمثالهم ممن يشاهدون أثار تدمير مساكنهم التي سكنوها وعلى ما آلوا إليه، وبينت الآية الكريمة:﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (السجدة: ٢٦). أن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكهم الله تعالى من قبل قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها لآيات لقريش وغيرها محظات يتعظون بها لو تأملوا وتفكروا في تلك المساكن[٣].

وعلى الرغم من ذلك إلا أن كفار مكة استعجلوا البأس واستعجلوا غضب الله وحلول نقمته عليهم فأخذوا يسألون النبي– صلى الله عليه وسلم– عن ذلك فأخبرهم أن لهم وقتاً ما داموا يعادون الله عز وجل ويكذبون رسوله– صلى الله عليه وسلم– أن يأتي اليوم الذي سينتصر عليهم وأخبرت السورة عن هذا الأمر في قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (السجدة: ٢٨)، فالآية تخبر عن الكفار استبعادهم وتكذيبهم وعنادهم بما وعد الله سبحانه وتعالى رسول– صلى الله عليه وسلم– بأنه سيأتي يوم ينتصر عليهم، ويفتح الله بينه وبينهم أي يفصل بينهم، واختلف في المقصود بيوم الفتح:

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٦، ص٢٥٠.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٢٥.
(٣) انظر: الطبري، جامع البيان،ج٢١، ص١٩٦، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١٦، ص٣٧٢.

١. قيل أن يوم الفتح: هو يوم نصر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على الكافرين في الدنيا [١].

٢. قيل يوم الفتح: يوم الفصل أي اليوم الآخر [٢].

٣. ومنهم من قال: أن يوم الفتح يوم فتح مكة، ولكن الطبري وابن كثير- رحمهما الله- في تفسيرهما استبعدا أن يكون المراد بيوم الفتح فتح مكة فقال ابن كثير:" ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله:﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٩)، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل لقوله تعالـة:﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٨)، ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(سبأ: ٢٦)[٣].فإذا جاء يوم الفصل، وحل على الكافرين بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا والآخرة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم وبعد ذلك يأمر الله سبحانه وتعالى النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- أن يعرض عن المشركين والكافرين الذين استعجلوا العذاب ذلك أنه بلغهم دعوة الله عز وجل ولم يصدقوها، وطلب منه أن يترقب ما الله فاعل بهم من العذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ (السجدة: ٣٠)." توجيه الله خطابه إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بأن يُعرض عن هؤلاء القائلين المكذبين وأن لا يزيد في الإلحاح عليهم تأييساً من إيمان المجادلين منهم وهذا إعراض مشاركة عن الجدال وقتياً لا إعراض مستمر، ولا عن الدعوة إلى الله ولا علاقة له بأحكام الجهاد المشروع في غير هذه الآية..." [٤].

وبهذا ينتهي العرض من هذا المبحث، بالتالي الانتهاء من عرض مسائل النبوات أي الفصل الثاني من هذه الدراسة.

---

[١]). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص٣٧٤، وانظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص١٩٨.

[٢]). انظر: أحمد، غالب عبدالله عثمان (١٩٩٦م)، **تفسير ابن كمال باشا دراسة وتحقيق من خلال سورة لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ، فاطر، يس، الصافات**، رسالة ماجستير، ص ٧٨، الجامعة الأردنية، إشراف: د.أحمد أبو هزيم.

([٣]).ا نظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص١٩، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص٣٧٤.

([٤]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١،ص٢٤٣.

الفصل الثالث

مسائل الإيمان باليوم الآخر في سورة السجدة

المبحث الأول: إثبات عقيدة البعث في سورة السجدة.

المطلب الأول: شبهة المشركين في إنكار البعث.

المطلب الثاني: الرد على الشبهة.

المطلب الثالث: مشاهد القيامة الواردة في السورة.

المبحث الثاني: جزاء الأعمال يوم القيامة.

المطلب الأول: جزاء المؤمنين يوم القيامة.

المطلب الثاني: جزاء الفاسقين يوم القيامة.

المبحث الثالث: الولاية والشفاعة الواردة في سورة السجدة.

المطلب الأول: الولاية كما جاءت في السورة.

المطلب الثاني: الشفاعة كما جاءت في السورة.

الفصل الثالث

مسائل الإيمان باليوم الآخر في سورة السجدة

مدخل

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان بالله تعالى، ولا يصح إيمان العبد إلا به، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦). وهناك العديد من الآيات التي تحدثت عن اليوم الآخر، وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم لأنه آخر أيام الدنيا، وقيل لأنه آخر الأزمنة المحدودة أو لأنه لا ليل بعده، ويقصد بالإيمان باليوم الآخر: "التصديق الجازم الذي لا يشوبه شك أو ارتياب بكل ما اخبرنا الله تبارك وتعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بما سيقع في هذا اليوم بداية من الموت والقبر وعذابه والبعث والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وبأشراط الساعة الصغرى والكبرى"[1]، ولقد كان اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر اهتماماً عظيماً، وقد دل على هذا الأمر ذلك التفصيل الوارد في القرآن الكريم عما يحدث في هذا اليوم وما فيه من مشاهد ومواقف، بما في ذلك بيان أقسام الناس بعد الحساب، وأصناف النعيم وأصناف العذاب، ومما يدل على اهتمام القرآن الكريم بهذا اليوم ربطه بين الإيمان بالله عز وجل وبين الإيمان بذلك اليوم في العديد من الآيات الكريمة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (المائدة: ٦٩)، وقوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٤).

---

(١) انظر: فالح، أبي عبد الله عامر، معجم ألفاظ العقيدة، ص ٤٥٢.

وما ورد في القرآن الكريم أيضا من أسماء مختلفة تصف هذا اليوم وما يقع فيه من أهوال يدل دلالة واضحة على عظم اهتمام القرآن به، ومن بين تلك الأسماء: يوم البعث، ويوم القيامة، ويوم الدين، ويوم التلاق والتغابن وغيرها[١].

كما أن جميع الأنبياء والرسل جاءوا ليقرروا هذه العقيدة – عقيدة الإيمان باليوم الآخر – كما قال تعالى على لسان نوح – عليه السلام –: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ (نوح: ١٧ – ١٨)، وقال على لسان إبراهيم – عليه السلام –: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢).

ومما يدل على أهمية هذا الركن ما له من أثر عظيم وثمر جليل، إذا رسخ ووقر في قلب المؤمن وليس على الفرد فحسب بل في حياة الناس أفراداً وجماعات، ويظهر ذلك جلياً في حياة الإنسان الفكرية والنفسية والخلقية، فالذي يؤمن بعقيدة اليوم الآخر ويؤمن بان هناك حياة أخرى، فسيعيش مطمئناً تحفه السكينة والقناعة، وتجده صابراً على المصائب، وكما يبقى في مراقبة دائمة لله عز وجل وحذر دائم، ويقظة، كما ويعمل على انبعاث الرجاء والخوف، فالإيمان به يحمل على فعل الطاعات رجاء لثواب ذلك اليوم، ويحمل على ترك المعاصي خوفاً من العقاب، ويكفي هذا اليوم ما يحمله من معاني العدل المطلق لله تعالى، فالذي سلك طريق الكفر والفجور قد تمر حياته الدنيا بدون عقاب أو جزاء، فكان لا بد من يوم للفصل بين المؤمنين والمجرمين[٢]، وما أحوج الأمة – بدون استثناء – للتعرف على هذا اليوم العظيم لا سيما ونحن في عصر الماديات والشهوات فما أحوجها لمعرفة هذا اليوم علها تفيق من هذه الغفلة، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ (الأنبياء: ١)، ما أحوجها ليوم يفصل به بين الظلمة والمظلومين، يوم يُحَقُّ الحق به ويذهب الباطل جفاءً كأن لم يكن.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة عن اليوم الآخر التي جعلتها مدخلاً لبداية الفصل الثالث من هذه الدراسة، وفيه سأعرض المسائل التي وردت في سورة السجدة والمتعلقة بالإيمان بهذا اليوم العظيم.

---

(١) انظر: المصدر السابق، وانظر: الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ج١، ص ٣٣٦.

(٢) انظر: الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ج١، ص ٣٣٦-٣٣٧، وانظر: الخطيب، العقيدة الإسلامية، ص ٣٣٧-٣٣٩.

المبحث الأول

إثبات عقيدة البعث في سورة السجدة

المطلب الأول: شبهة المشركين في إنكار البعث

أشارت سورة السجدة إلى أصل من أصول الإيمان العظيمة وهو إثبات البعث، فبعد أن اصلت السورة لأصلين من أصول التوحيد، وهما إثبات الرسالة وتنزيل القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ (القصص: ٤٦)، والوحدانية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (السجدة: ٤)، أصلت لأصل ثالث وهو إثبات البعث وذلك أنها ذكرت شبهة من شبه المشركين في إنكارهم هذا الأصل العظيم وردت عليهم. وقبل أن اشرع في بيان شبهتهم لا بد من عرض يشير لمضمون البعث وحقيقته وبعضاً من أدلته في الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

١. تعريف البعث

أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه. يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به. فالبعث ضربان: بشري، كبعث الإنسان في حاجة، والهي هو ضربان أحدهم إيجاد الأعيان والأجناس(١).

والثاني إحياء الموتى.

فالبعث: هو إحياء الموتى من قبورهم، كي يحشروا إلى ربهم لمحاسبتهم على أعمالهم التي قدموها في الحياة الدنيا(٢).

٢. حقيقة البعث

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم للفصل بينهم. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ

---

(١) انظر: الفيروز آبادي، محمد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، بدون طبعة، ج٢، ص ٢١٥، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) انظر: فالح، أبي عبد الله، معجم ألفاظ العقيدة، ص ٧٢، وانظر: نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط١، ص ٢٣٠، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، سنة ١٤٢١هـ.

﴿ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٨ – ٧٩)[1].

وليس أدل على كيفية البعث من طلب إبراهيم – عليه السلام – أن يريه الله – عز وجل– كيف يحيي الموتى في الحادثة المشهورة في آيات سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

فطلب إبراهيم – عليه السلام – وقع بالسؤال عن الكيفية بدليل أنه قال "كيف" ليدل على انه سأل عن هيئة الأحياء لا عن ذات الأحياء، وكأنه – عليه السلام – أراد أن يرتقي في هذه المسألة من علم اليقين إلى عين اليقين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فإبراهيم – عليه السلام – أراد أن ينتقل في دليل البعث من العلم النظري البرهاني إلى العلم الضروري فسأل الله أن يريه إحياء الموتى[2].

ففي الآية السابقة بيان لإثبات البعث وذلك من خلال أمر الله عزّ وجل إبراهيم – عليه السلام – أن يجمع أربعة طيور مختلفة، ويقطعها ويخلطها ثم يفرقها على أربعة جبال، يضع على كل جبل جزء منها، ثم أمره الله تعالى أن يطلبها بأن تعود إليه فدعاهن فكان أن عدن إليه وهو يرى اجتماع الريش إلى الريش واللحم إلى اللحم والدم إلى الدم واتينه يمشين سعياً[3].

وبهذه الطريقة ازداد إبراهيم – عليه السلام – سكوناً بالمشاهدة، بالإضافة إلى اعتقاد القلب، وبنفس الطريقة أيضا يجمع الله تعالى أجساد الموتى من قبورهم ويعيد الأرواح إليها ليجمعهم في المحشر وهذه هي حقيقة البعث.

---

(1). انظر: نخبة من العلماء، أصول الإيمان، ص ٢٢٧.
(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص ٣٨.
(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص ٣٩، وانظر: الحلقوم، فوزية محمد عبد الرحمن(١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.)، **أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين،، ص ١٤٧، إشراف: جابر زايد السيموي.

٣. أدلة البعث من القرآن والسنة النبوية

يعد الإيمان بالبعث أصلاً عظيماً من أصول التوحيد، وهو من العقائد الأساسية التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ذلك أن الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثاً، وإنما خلقهم لعبادته وطاعته سبحانه ووضع أمامهم طريق الهدى وطريق الضلال، وجعل لمحاسبتهم ومجازاتهم يوماً، كل حسب طريقه الذي اختار، وكما كانت عقيدة البعث من أمور الغيب، فقد يستبعد الكثير وقوعها، وما حصل مع المشركين من إنكارهم لها دليل على ذلك، لذلك اهتم القرآن الكريم بهذا الأصل اهتماماً بالغاً وركز على تقريره وإثباته، فعرض الأدلة المتنوعة التي تقرر هذا الأصل وبسط الشبهات المتعددة للمشركين في إنكارهم له، كما قام بتنفيذها بردود متنوعة تبعاً لذلك.

وقد دلت آيات القرآن الكريم والسنة الصحيحة على بعث الله عز وجل للأموات وقد جاء ذلك في مواطن كثيرة ومن القرآن الكريم، فقال تعالى في تقريره لعقيدة البعث: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧). وجاء في السنة الصحيحة في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ما يبين كيفية البعث وأن الله ينزل إلى الأرض ماءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "بين النفختين أربعون، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً، قال أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيتُ ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْب ذنبه، فيه يركّبُ الخلق[1].

(1) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: "﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨)، حديث رقم ٤٨١٤، ج ٢٦، ص ١٢٦، ورواه مسلم كتاب الفتن واشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث رقم ٢٩٥٥، ج٤، ص ٢٢٧٠.

٤. شبهة إنكار البعث الواردة في السورة

اهتم القرآن الكريم بقضية البعث اهتماماً بالغاً ملحوظاً، ذلك أن قضية البعث من القضايا التي أثارت عجب المشركين، واستغرابهم، قال تعالى: ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق: ١ – ٢)، ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الواقعة: ٤٧ – ٤٨). فقد استبعد المشركون وقوع البعث ولم تتقبله عقولهم، واعتبروا الحديث عنه خرافة، واتهموا الرسول- صلى الله عليه وسلم- بالجنون وسلوب العقل لما دعاهم للإيمان به قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (سبأ: ٧ – ٩).

فعقول المشركين لم تستوعب أمر البعث والإحياء مرة أخرى فظنوا أن الأحياء مرة ثانية ضرب من العبث والحديث عنه افتراء وخرافة وجنون[1].

وقدم القرآن الكريم العديد من حجج المشركين وشبههم للبعث ومن بين تلك الشُبه والتي تعد أعظم وأكبر شبهة لهم هي: أن أجزاءهم قد تفرقت واختلطت ببعضها ومن ثم لا يمكن جمعها بعد تفرق ووصلها بعد تمزق، وقد ردّ القرآن الكريم عليهم وبين أن الله تعالى يعلم ما يحدث لجسم الإنسان بعد موته من تحلل واختلاط بالأرض وامتزاج بالتربة، وما من جزء من أجزاء الإنسان إلا ومعلوم عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ (ق: ٢ – ٤). وهكذا فإن قضية البعث بقيت مثار جدل طويل بين الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمشركين على الرغم من بساطة ووضوح هذه القضية فلو تفكروا قليلاً في طبيعة الحياة والموت وطبيعة البعث لوجدوا أن من السذاجة إنكارها ولو تأملوا فقط في ظاهرة واحدة

---

(١) انظر: الفقيهي، علي بن محمد بن ناصر، مسلك القرآن الكريم في إثبات العبث، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد ٥٠-٥١، ص٦، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

ألا وهي ظاهرة النوم واليقظة باعتبارها أنموذجاً متكرراً للموت والحياة فالنوم شبيه بالموت ذلك أن كلاً منهما عبارة عن انسحاب من الحياة، واليقظة شبيهة بالبعث إذ أن كلا منهما يعني عودة الأعضاء إلى أداء وظائفها مع اختلاف بينهما[١].

فكما تتم عملية النوم للإنسان وعملية الاستيقاظ تتم عملية الموت والبعث مرة أخرى قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٦٠).

والقارىء في سورة السجدة يجد أنها أشارت إلى شبهة المشركين السابقة الذكر في إنكارهم للبعث في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (السجدة: ١٠).

فهذه الشبهة من أهم شبهات المنكرين وهي أنهم استبعدوا إيجاد الأشياء والكائنات بعد عدمها وفنائها وأرادوا بذلك استحالة إيجاد الأجساد بعد أن تتفرق في خلال الأرض وتخلط بالتراب، فالآية تظهر أنهم استبعدوا البعث بعد فناء الأجساد وتميز عن كفار مكة المنكرون للبعث أنهم قالوا: أإذا هلكنا وصارت عظامنا ولحومنا تراباً مختلطاً بتراب الأرض حتى غابت فيه ولم تعد تتميز عنه أيعقل أننا سنخلق من جديد؟ وهل من عودة ثانية؟ ويا ليت وقف بهم الأمر عن هذا الحد بل أنكروا قدرة الله ولم ينكروا العبث فحسب، لذلك وسمهم الله بسمة الكفر فقال عز وجل" بل هم بلقاء ربهم كافرون"[٢].

ولكي يقرب القرآن الكريم صورة البعث التي لم تتقبلها عقول المشركين سلكَ القرآن الكريم أكثر من مسلك في عرضه لهذه القضية فتارة يعرض شبهة المفكرين ثم يرد عليها، وتارة يذكر الدليل على البعث، ثم يورد القضية وأخرى يخبر عن وقوع البعث والجزاء خبراً قاطعاً، ومن أمثلة المسلك الذي يعرض الشبهة ثم يرد عليها ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ (ق: ١ –

([١]) انظر: الجلي، أحمد، الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ٣٦، ص٣٢١، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الإصدار من ربيع الأول إلى جمادى الثانية، سنة ١٤١٣هـ.
([٢]) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١٦، ص ٣٦١، وانظر: الزحيلي، التفسير المبيز، ج٢١، ص ١٩٧.

٣). فقد عرض شبهتهم وهي تَعجُّبهم من إخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم– أن الحياة الدنيا فانية ويقابلها حياة أخرى تأتي بعد بعثهم من قبورهم وبعد أن ذكر شبهتهم ردّ عليهم فقال: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ (ق: ٤ – ٥). وهذه طريقة من طرق عرض القرآن الكريم لشبهات منكري البعث[١].

وأما طريقة عرض سورة السجدة لهذه المسألة جاءت بتقديم الدليل ثم إيراد القضية بعد استقامته ووضوحه، فالله عز وجل قدم في آيات سورة السجدة الاستدلال على إمكان البعث يوم القيامة بخلق الإنسان، ذلك أنه خلقه من طين وجعل نسله من ماء مهين قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (السجدة: ٧ – ٨). فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى أصل الإنسان وخلقه وما أنعم عليه من القوى الظاهرة والباطنة مما يدل على قدرته وحكمته سبحانه وتعالى أورد قضية البعث فالمنكرون استبعدوا قضية البعث مع أن الله بين لهم الخلق الأول والنشأة الأولى، فالله سبحانه أراد أن ينبههم ويلفت أنظارهم إلى مبدأ خلقهم ليعلموا أن القدرة التي أنشأتهم أولاً لا يعجزها إعادتهم ثانياً[٢].

وعندما استبعد المشركون إعادتهم للحياة مرة أخرى بعدما شاهدوا الأدلة أمر الله سبحانه وتعالى أن يقول لهم النبي– صلى الله عليه وسلم– بأنهم سيموتون والذي يتوفاهم ملك الموت قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١). وبيان الرد على شبهتهم هو ما سيأتي ذكره في المطلب اللاحق إن شاء الله تعالى.

ولعل سؤالاً هنا في نهاية الحديث عن شبهة إنكار البعث هو ما الأسباب أو العوامل التي أدت إلى إنكار البعث؟

ويجيب على هذا السؤال د. منظور رمضان في بحثه المعنون بـــ" منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت" بعد أن يتعجب من أمر وهو أن إبليس على كفره وتكبـــره أقـــر بالبعث ولكن أتباعه من الكفرة أنكروه قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الأعراف: ١٤).

---

(١) انظر: الفقيهي، مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث، ص ١١.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣٣–٣٥.

وخلاصة إجابة الدكتور ما يأتي:

قال:" فمن عوامل إنكار البعث بعد الموت وأسبابه:

١. الترف والبطر: والغرق في الشهوات حتى تنقلب الموازين فتنسى الحكم الإلهية والإرادات الربانية ومثاله ما قاله الله تعالى عن أصحاب الجنة" ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾(الكهف: ٣٥– ٣٦).

٢. الكبر والغرور: فهو من أعظم أسباب الهلاك في المال والمآل قال تعالى:﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٩).

٣. النفاق: مع أن المنافق قد يظهر له شيء من الحق والحقيقة لكونه يخالط المسلمين ويسمع ويرى منهم ما يكون سبباً للتصديق لكنه مع ذلك يصر على التكذيب قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة: ٨ – ٩).

٤. الجهل والتقليد الأعمى دون بصيرة أو علم وتثبت قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠).

٥. ظهور عبّاد المادة: وتعدد الملل وانتشار الملحدين في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

٦. ظهور ما يسمى بالطبيعين: الذين ينسبون ما يحدث في الكون للطبيعة لا إلى الله عز وجل وقالوا: أن ما يحدث من حادث أو انقلاب في الكون فإنه من تأثير الطبيعة، وإذا كان الأمر كذلك فلا بعث ولا نشور ولا حساب ولا عقاب ولا جزاء وهم ما يسمون الآن بالاشتراكيين اللادينين وقولهم مشابه لما قاله الدهريون الذين قالوا أن الدّهر الذي يهلكهم

قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية: ٢٤).

٧. الإغراق في الانشغال بسفاسف الأمور والغفلة عن الآخرة، وهذا يجعل كل مقاييس الغافلين تختل وتؤرجح في أكفهم ميزان القيم فلا يملكون تصور الحياة تصوراً صحيحاً.

٨. العناد والاستهانة، مما يجعل الإنسان يتطاول فيطلب أموراً إما خارجة عن طوق البشر أو لا علاقة لها بالحال والواقع قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (الفرقان: ٧ – ٨)[1].

فهذه بعض الأسباب التي تؤدي إلى إنكار هذه العقيدة العظيمة الأصيلة وهذا الركن الأساس من أركان الإيمان والتي لا يصح إيمان امرىءٍ إلا به، وبهذا أنهي الحديث في هذا المطلب لأنتقل إلى الرد على شبهة منكري البعث.

المطلب الثاني: الرد على الشبهة

استبعد المشركون البعث وإعادة الحياة مرة أخرى ذلك أنهم قاسوا قدرة الله عز وجل على قدراتهم، فإذا ما قاسوا البعث على قدراتهم فإنه سيكون بعيداً بالنسبة لمحدودية قدراتهم العاجزة بعكس قدرة الخالق جل وعلا الذي خلقهم من العدم وبينت السورة في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (السجدة: ١٠). أنهم جحدوا لقاء الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، فجاء الرد على اعتراضهم وإنكارهم في السورة الكريمة من خلال تقرير وفاتهم ورجعتهم وإخبارهم أن ملك الموت الموكل بقبض الأرواح هو الذي سيقبض أرواحهم في الوقت الذي ستنتهي فيه آجالهم، ثم بعد انتهاء الحياة الدنيا سيعودون أحياءً كما كانوا ويكون ذلك بعد القيام من القبور في يوم الميعاد للمحاسبة والجزاء قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾

([1]) انظر: رمضان، منظور بن محمد بن محمد، منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، بدون طبعة، ص٥-١٨، كلية المعلمين، مكة- السعودية، بدون سنة.

(السجدة: ١١). وفي هذه الآية إثبات للبعث مع التهديد والوعيد وبيان أن القادر على خلق الناس أول مرة قادر على إحيائهم مرة أخرى[١].

" ولما كان استبعادهم لإعادتهم للحياة مرة أخرى بعد ما شاهدوا الأدلة- يقصد بالأدلة الحديث عن خلق الإنسان ونشأته الأولى في الآية التي سبقت الحديث عن البعث- أتبعه بالإخبار القاطع بوقوعها فقال:": قل يا محمد مُخبراً ومنذراً منكري البعث ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١)[٢].

ويتلخص رد السورة على شبهة إنكار البعث التي أثارها المشركون من خلال تذكيرهم بالموت الذي لن يفر منه أحد والتركيز على أن ملك الموت من يقبض وينزع أرواحهم ثم يعيدها الله سبحانه وتعالى بعد فناء الحياة الدنيا وبداية الحياة الآخرة التي سيكون أول مرحلة لها هي مرحلة البعث من القبور.

ومن الجدير بالذكر أن ملك الموت هو من الملائكة الكبار وهو الموكل إليه مهمة قبض الأرواح[٣].

وبعضهم يطلق عليه اسم" عزرائيل" والصحيح أن هذا لم يثبت ذلك أن التسمية القرآنية لهذا الملك جاءت بـ" ملك الموت" وهذا في السنة النبوية الصحيحة[٤].

قال الشيخ الألباني في شرحه للعقيدة الطحاوية:" قلت هذا هو اسمه في القرآن، وما تسميته بـ" عزرائيل" كما هو الشائع بين الناس فلا أصل له، وإنما هو من الاسرائيليات"[٥].

إلا أن بعض الآيات الكريمة أشارت إلى أن هناك أكثر من ملك لقبض الأرواح ومثالها قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٧). فهذه الآيات أشارت إلى أن الذي يقبض أرواح الناس أكثر من ملك وليس ملك واحد كما هو ظاهر في آية سورة السجدة والتوفيق بين هذه الآيات هو أن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد وهو المذكور في آية سورة السجدة وملك الموت له أعوان يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم فيأخذها

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج٢١، ص ١٩٨.
(٢) انظر: الفقيهي، مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث، ص ٣٥.
(٣) انظر: الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٢٧٨، وانظر: الخطيب، العقيدة الإسلامية، ص ١٨٤.
(٤) انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، العقيدة الطحاويةشرح وتعليق، بدون طبعة، ص٣٩، بدون دار أو سنة.
(٥).المصدر السابق، ص ٣٦.

ملك الموت أو يعينونه إعانة، فإسناد التوفي إلى ملك الموت في الآية لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وملك الموت لا يقدر أن يتوفى أحداً إلا بإرادة الله عزوجل ومشيئته.[١].

ومن خلال ما سبق يتبين أن القرآن الكريم سلك في استدلاله على إمكان البعث ووقوعه مسلكاً جمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وبين ما تقرره العقول السليمة ولا ينافي الفطر المستقيمة وهذه هي طريقة القرآن الكريم التي تميز وتفرد بها، ويتضح هذا من خلال ما ورد سابقاً في سورة السجدة بقي القول بأن الله تعالى عندما ذكر الرجوع إليه يوم القيامة، ذكر ما لهم في مقامهم بين يديه عز وجل وهذا ما سيأتي بيانه في المطلب التالي الذي يوضح مشهدين من المشاهد العظيمة في يوم القيامة.

المطلب الثالث: مشاهد القيامة الواردة في السورة

ذكرت سابقاً أن القرآن الكريم اهتم بعقيدة اليوم الآخر وركز عليها ذلك أن الإيمان بالحياة الآخرة يرتقي بالإنسان إلى آفاق واسعة تصور وجوده وخلافته على الأرض، كما أن الإيمان بحياة آخرة يفضي إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، ويبعد المرء عن القلق والسخط والقنوط ذلك أن الحساب الأخير ليس في هذه الدنيا، بل في يوم القيامة حيث العدالة المطلقة، فعقيدة اليوم الآخر عقيدة حية وعميقة في النفس البشرية تنسجم مع فطرتها وتشكل حداً فاصلاً للصراع بين الخير والشر. وهي من الأمور الغيبية التي يقاس بها عمق الإيمان بالله جل وعلا، ولعلمه سبحانه وتعالى ومعرفته بالنفس البشرية، وما فيها من فضول ورغبة من معرفة ما في هذا اليوم من أحداث تبدأ بالبعث وما يليه من جزاء وحساب، فقد أورد تفاصيل هذا اليوم في مشاهد عديدة، توزعت في سور القرآن الكريم حتى نحدث حقيقة واضحة تعرض في صور شتى وسياقات مختلفة[٢].

ومن أبرز ما تميزت به مشاهد القيامة الواردة في القرآن الكريم[٣] أنها جاءت على شكل خطاب وحوار، والحوارات التي جاءت لتصور مشاهد الآخر ركزت على عدة مضامين هي:

١. **توحيد الله ونفي الشركاء.**

٢. **إقامة الحجّة على الكافرين.**

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج٦، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) انظر: مقبل، هالة سعيد محمد(٢٠١٠م)، **الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ص ٥٦، إشراف د. عمر الأسعد.

(٣). انظر: المصدر نفسه.

٣. تخلي المتبوعين عن اتباعهم.

٤. تمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا

١- توحيد الله تعالى ونفي الشركاء، فقد تكرر سؤال الله- عز وجل- المشركين عن الشركاء في مشاهد القيامة ولا شك أن السؤال عن الشركاء استفهام توبيخ وإهانة وهو في حقيقته ضرب من العقاب ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٢ - ٢٣)[1].

٢- أما مضمون إقامة الحجة على الكافرين فالله عز وجل أرسل الرسل للناس مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب وجعل هذا حجة على الناس للقيام بعبادته والالتزام بطاعته، فلا حجة لأحد من الناس على الله تعالى بعد ذلك، وقد جاءت مشاهد القيامة للتأكيد على هذا الأصل[2]. ومثاله سؤال الله عز وجل أهل النار في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٥).فيجيبون مذعنين أن سبب ذلك هو غفلتهم وضلالهم وانشغالهم بملذات الحياة قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٦).

٣- المضمون الثالث من مضامين مشاهد يوم القيامة وهو تخلي المتبوعين عن الأتباع وهي مسألة الصراع ليس مع الشيطان فحسب وإنما مع أتباعه من الإنس الذين يساعدون في الإغواء فالشيطان يدعو للضلال تحقيقاً للعهد الذي اتخذه أمام الله منذ بداية الخلق قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦ - ١٧). أما أتباعه من الإنس فيحرصون على أن يتبعهم السواد الأعظم من الناس، والمتبوعون يحققون من خلال أتباعهم مكاسبهم الدنيوية ومصالحهم الخاصة ويحرصون على إبعاد ابتاعهم عن طريق الحق، لأن هذا يتعارض مع مصالحهم وهذا يجعل الإنسان في موضع الاختيار بين أن ينقاد وراء الباطل أو يبتع طريق الإيمان، ويوم القيامة

---

(1) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٨.
(2) انظر: مقبل، هالة، الحوار في مشاهد القيامة، ص ٦٢.

يتخلى المتبوعون عن أتباعهم وتنقلب مودتهم جفاءً، ويتحول تنازعهم الذي كان في الدنيا إلـــى كراهية وقد ركزت مشاهد القيامة الواردة في القرآن على هذه المسألة لما للتنبيه من خطر فهي تؤدي إلى انتشار الظلم، ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨). فهذا المشهد الأخروي يصف كيف يشتم ويتلاعن عن الاتباع والمتبوعين، وكيف أن الاتبـــاع يـــسألون الله العـــذاب المـــضاعف للمتبوعين ولكن هي كلمة حق من الله تعالى أن الاتباع والمتبوعين في دار العذاب[١].

٤- وأما المضمون الأخير وهو تمني رجوع الكافر إلى الدنيا فقد تكررت رغبة الكافرين في الرجوع إلى الدنيا في مشاهد القيامة وتكرر رد طلبهم من الله تعالى، تأكيداً منه أن هذا اليوم هو يوم الجزاء ولا مجال لتدارك ما فاتهم من تقصير في حياتهم الدنيا، ورغبتهم في العودة إلى الدنيا تبدأ من لحظة الوفاة[٢].قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠).

وقـــال تعـــالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾(الـــشورى: ٤٤).

وقد ورد في سورة السجدة مشهدان من مشاهد القيامة كالآتي:

١- المشهد الأول: يركز على المضمون الأخير من مضامين مشاهد القيامـــة ألا وهـــو تمنـــي رجوع الكافر إلى الدنيا ليعمل صالحاً فقـــال تعـــالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ١٢). فبعد أن استبعدوا البعـــث واستنكروا وقوعه وحدوثه يأتي ذلك اليوم الذي يجدون أنفسهم أمامه جل وعلا فـــي المحـــشر ليجازيهم على أعمالهم ويستيقنوا بأنفسهم أن البعث حق وإعادتهم إلى الحياة الثانية حق فبعد أن بينت ذلك أتبعت بتصوير حال المنكرين في الآية السابقة الذكر، ووقفة تأني وتأمل للآية الكريمة نجد من تصوير فظاعة المشهد وفظاعة حال المشركين، فمعنى الآية الكريمة لو ترى أيها الرائي

([١]) انظر: مقبل، هالة، الحوار في مشاهد القيامة، ص ٦٥.
([٢]) انظر: مقبل، هالة، الحوار في مشاهد القيامة، ص ٧٠.

لرأيت أمراً عظيماً[١].فهذا المشهد يصور لنا علامات ذلهم وإهانتهم لأنهم يقفون أمام رب العزة مطأطئين رؤوسهم من شدة الخزي والحياء والخجل والندم على ما فات، لأنهم تأكدوا وعاينوا من الدلائل المبصرة ما يصدق ما أخبرهم به الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- وسمعوا من أقوال الملائكة ما فيه تصديق الوعيد الذي توعدهم به رب العالمين وكأني بهم يقولون ليتنا آمنا وسلكنا الطريق القويم الصحيح، لذلك يطلبون من الله – جل وعلا- أن يرجعهم إلى الحياة الدنيا كي يعملوا صالحاً، ويجيبوا دعوة الرسل والأنبياء، ولكن الكلمة حقت من الباري جل وعلا أنه لو شاء لجبل كل نفس على الهدى والتقى بدون اختيار، ولكنه أعطاه عقلاً ليدرك به النفع والضر والحق من الباطل، فالله سبحانه " شاء أن يخلق الناس مختاري ن بين طريقي الهدى والضلال، ووضع لهم دواعي الرجاء والخوف وأراهم وسائل النجاة، فشاء جلّ وعلا أن يملأ جهنم بأهل الضلال والذين يختارون الضلال سبيلاً لهم، ويدخل الجنة من سار على طريق الهدى والإيمان"[٢].وأي عذاب وإهانة في مثل هذا الموقف لمن أنكر ولم يصدق بعقيدة البعث؟!

٢- المشهد الثاني: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (السجدة: ٢٠). ويا له من مشهد عظيم، وهو مشهد خلود الفاسقين الخارجين عن طاعة الله عز وجل في النار بعد حسابهم ومجازاتهم وإدخالهم النار وهذا المشهد يصور كيف يحاول الفاسقون من الوهج والحميم الخروج منها من شدة العذاب والأهوال، ولكنّهم يُعادوا فيها فهي مقرهم ومكان خلودهم ويخاطبون بالتقريع والتوبيخ والتهديد ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (السجدة: ٢٠) فهذه هي النار التي كذبتم بها في الحياة الدنيا ذوقوها الآن وتحملوا عذابها ولهيبها الشديد [٣].بقي أن أشير إلى قضية مهمة في هذا المقام وهي أن هذه المشاهد والمشاهد السابقة من مشاهد يوم القيامة قد وردت بأسلوب الحوار فيمكن القول بأن ورود هذه المشاهد بأسلوب وصيغة الحوار له بالغ الأثر، فالحوار يشكل انعكاساً لدواخل الأشخاص وانفعالاتهم النفسية وسماتهم وطبائعهم وهو خير وسيلة لتصوير الانطباعات والمواقف والحوار وسيلة ناجحة لدعوة الناس إلى الدين وهو طريق لتوحيد الآراء وهو ادعى للقبول والاقناع فجمع بين التأثير على العقل بالأصول والقواعد

([١]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٢١.

([٢]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٢٣، وانظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج٢١، ص١٩٦، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٣٦٢.

([٣]) انظر: قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، ط١٤، ص٢٠٣، دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

المنهجية في الحوار والأدلة والحجج الدافعة الجلية التي تخاطب الوجـدان والنفـوس فتهزهـا وتأسرها[١]، وأنهي بالقول أن القرآن الكريم ورد فيه من الحوارات ما وقع وحدث في الماضي، وأما حوارات مشاهد القيامة فهي غيبية لم تحدث بعد، وهذا من عظيم إعجاز القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) انظر: مقبل، هالة، الحوار في مشاهد القيامة، ص ٢٤.

الفصل الثالث

مسائل الإيمان باليوم الآخر في سورة السجدة

المبحث الثاني: جزاء الأعمال يوم القيامة

المطلب الأول: جزاء المؤمنين يوم القيامة

المطلب الثاني: جزاء الفاسقين يوم القيامة

المبحث الثاني

جزاء الأعمال يوم القيامة

المطلب الأول: جزاء المؤمنين يوم القيامة

من أركان الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجزاء الأعمال والاعتقاد أن مرجع العباد سيكون إلى الله جل وعلا يوم القيامة، فيخبرهم بأعمالهم التي أحاط بها علمه وجرى بها قلمه، وكتبها الحفظة، وشهدت بها جوارحهم، فيجازي الله العباد، كل يوفى جزاء عمله، إن كان خيراً فخير وإن شراً فشر، وقد دلت على هذا الأصل آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزمر: ٧). وقوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر: ٧٠)، فهذه الآيات دلت على إثبات الجزاء على الأعمال وأن الجزاء سيكون من جنس العمل الذي قدمه المرء في حياته الدنيا، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن من آمن به وصدق في قوله وعمله فإن الجزاء الذي يترقبهم هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: ٣٤). وأما من كذب وكفر بالله عز وجل فإن الجزاء الذي يترقبه هو الفزع وشتى ألوان العذاب في نار جهنم قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٠). والآيات الكريمة كثيرة جداً في الدلالة على إثبات الجزاء على الأعمال يوم القيامة(١).

ولقد دلت سورة السجدة أن الله سبحانه وتعالى أكرم المؤمنين الطائعين المتقين بأن أدخلهم الجنة وهي" دار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهي دار جنانها تجري من تحتها الأنهار قصورها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ملاطها (طينها) المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وخيامها اللؤلؤ المجوف،وهو نور يتلألأ، وريحانة تهتزم ونهر وفاكهة وخضرة وزوجات حسان أهلها يأكلون فيها ويتنعمون ولا يمتنعون ولا يبولون بل مسك يرشح، ويحيون ولا يموتون، وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة، فيها الجمال المبين.... كل نعيمها دائم، وكل شيء فيها باسم، فيها يرفع الحجاب، وينظرون إلى

---

(١) انظر: الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ج، ص٤٦٠.

وجه العزيز الوهاب، ومهما عبّرنا عن صفاتها فإن تعبيرنا لا يحيط بما هي عليه، ولا يمكن أن يصفها أحد كما هي عليه حقيقة إلا شخص واحد ذلكم هو الرسول – صلى الله عليه وسلم– الذي تلقى صفاتها عن الباري جل وعلا"(١).

وأما الفاسقون، فقد أذاقهم الله ألواناً من العذاب والخزي والذل والمهانة ذلك بأن أدخلهم النار وهي " دار الذل والهوان والعذاب والخذلان، دار الشهيق والزفير والأنين والعبرات، دار أهل البؤس والشقاء والندامة والبكاء، الأغلال تجمع بين أيديهم وأعناقهم والنار تضطرم من تحتهم ومن فوقهم، شرب أهلها الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ومأكلهم من شجر الزقوم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم، يدعون على أنفسهم بالموت فلا يجابون، ويسألون ربهم الخروج منها فيقال لهم: أخسأوا فيها ولا تكلمون، أهلها من المشركين والكافرين يلقون فيها أمة بعد جنهم وانسهم كلما دخلت أمة لعنت أختها"(٢).

وملخص جزاء المؤمنين الوارد في سورة السجدة كالأتي:

ورد جزاء المؤمنين في سورة السجدة في آيتين في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧ – ١٩).

فهاتان الآيتان توضحان ما أعده الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من جزاء وثواب على ما قدموا من عمل صالح في حياتهم الدنيا ويتلخص ثوابهم الوارد في السورة بما يلي:

الصورة الأولى: أعد الله تعالى لهم ما تقر بهم عيونهم ونفوسهم فالمؤمنون لا يعلمون ما أخفى الله سبحانه وتعالى من نعيم دائم مقيم، فالله عز وجل أخفى لعباده يوم القيامة قرة أعين "فلا تعلم نفس من النفوس ما أخفاه الله سبحانه وتعالى لأولئك المؤمنين"(٣).

---

(١) انظر: الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ص٦٥٥، وانظر: الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ج١، ص ٤٦٠.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٨٢، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٣٦٨، وانظر: الشوكاني فتح القدير، ج٤، ص ٢٩٣.

وللمرء أن يتخيل ما أعده الله سبحانه من حفاوةٍ وكرامة لعباده الذين آمنوا بآياته وخـــروا سجداً طائعين له، وسبحوه ونزهوه وقدسوه جل وعلا، ولم ترتاح جنوبهم ولم تضطجع بـــالنوم والسكن بل جعلوا من ليلهم بالدعاء والتوجه إليه سبحانه وتعالى: فلا ملجأ ولا منجـــى منـــه إلا إليه، ومما أعطاهم الله تعالى كريم منان يفيض على عباده ويغمرهم بفضله وإحـــسانه وجـــوده "وهذه الصورة للجزاء الرفيع الخاص الفريد، الجزاء الذي تتضح فيه ظلال الرعاية الخاصـــة، والإكرام الإلهي"[1].

فالصورة الأولى من الجزاء الذي عرضته سورة السجدة للمؤمنين لا يعلم مقداره ما يعطي الله سبحانه وتعالى لعباده من النعيم، مما يسرهم ويفرحهم ويدخل البهجة على قلـــوبهم، وهـــذه الصورة يوضحها حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الذي رواه الإمام البخاري والإمام مسلم من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وســـلم– " قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلـــب بـــشر فإقرو إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"[2].

فالحديث يوضح ويفسر أن الله سبحانه وتعالى أعدّ لعباده كل ما يقر به أنفسهم وأعيـــنهم مما قد يخطر ولا يخطر على قلب أحدهم، ولعل الله سبحانه وتعـــالى يريـــد أن يجعـــل عبـــادة المؤمنين الصالحين الطائعين في شوق وتطلع إلى ما عنده من نعيم وثواب وجزاء لذلك تجـــدهم يتسابقون ويتنافسون في تقربهم إلى الله– جل وعلا– أسال الله تعالى أن يجعلنا من أؤلئك ومـــن عباده الخاضعين الطائعين.

الصورة الثانية: من الجزاء المعد للمؤمنين هو جنات المأوى قال تعـــالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٩). والجزاء الوارد في هذه الآية هي الجنان التي أعدها الله سبحانه وتعالى لخلود أهل الإيمان فهم يأوون إلى الجنات التي فيهـــا المساكن والدور والغرف العليّة، التي أعدها الله سبحانه لإكرامهم، فالمتقون الذين جمعـــوا بـــين الإيمان والعمل الصالح لهم الجنة، فالله عز وجل أعد لعباده ضيافة وهي جنات الخلـــود التـــي

---

(1) انظر: قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٨١٢. وانظر:الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٢٨١٣.

(2) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حـــديث رقـــم ٣٢٤٤، ج٤، ص١١٨، وأخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم ٢٨٢٤، ج٤، ص٢١٧٤.

يأوون إليها ويسكنون فيها جزاءً لما قدموه من الإيمان الصادق بالله عز وجل، عملهم الصالح الذي أرادوا به وجه الله سبحانه وتعالى(١).

وهكذا فإن سورة السجدة عرضت صورتين من صور جزاء ونعيم أهل الإيمان من كل ما يسرهم ويطيب خاطرهم، والجنات التي يسكنون إليها، وذلك بعد أن أخبرت عن عدل الله سبحانه وتعالى المتمثل في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة: ١٨). فهي بعد أن أخبرت أن المؤمن لا يستوي مع الفاسق في الدنيا بالطاعة والعبادة بينت أنه لا يستوي في الآخرة أيضاً بالثواب والكرامة(٢). فعرضت جزاء المؤمنين والفاسقين، وقد بيّنتُ جزاء المؤمنين فيما سبق وسوف أبيّنُ جزاء الفاسقين في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: جزاء الفاسقين يوم القيامة في سورة السجدة

تناولت سورة السجدة صوراً من عذاب الكافرين الفاسقين وذلك في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ السجدة: (٢٠ – ٢١).

وتتلخص صور عذاب الفاسقين الواردة في السورة بالآتي:

١. الخلود في النار: ودل على ذلك من السورة قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ (السجدة: ١٤). وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (السجدة: ٢٠). فهذه الآيات من السورة الكريمة فيها دلالة واضحة على دوام عذاب النار، فعذابها دائم ومستمر لا انقطاع له، وأهلها خالدون مخلدون فيها، فقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(١) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص ٤٦٤.
(٢) انظر: المصدر السابق.

(السجدة: ١٤). ودلّ على خلود الكافرين والذين كذبوا بالبعث ولقاء الله عز وجل يوم القيامة في النار وعدم خروجهم منها بدلالة قوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ (السجدة: ١٤). قال الطبري في بيانه لهذه الآية: أي ذوقوا عذاباً تخلدون فيه إلى غير نهاية [١].

فهذه الآيات جاءت على سبيل التقريع لمنكري البعث بأن الله تعالى سيذيقهم أشد العــذاب بسبب تكذيبهم بالبعث واستبعادهم وقوعه وتناسيهم له، فالله تعالى سيعاملهم معاملة الناسي، لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء بل جاءت من باب المقابلة[٢].

ونصّ العلماء على أن الخلود يأتي بمعنى المكث الطويل وطول البقاء، وقالوا أن الخلود في النار نوعان:

أ- خلود أمدي: أي البقاء في النار مدة معينة ومحدودة وبعد ذلك يكون الخروج منها، ومثل هذا النوع من الخلود ما توعد الله عز وجل به أهل الكبائر من المسلمين، كما مــرّ فــي البحث الأول في الفصل الأول من هذه الدراسة أن منهج عامة أهل السنة والجماعة هو القول أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار[٣].

ب-خلود أبدي: أي البقاء في جهنم مستمر دائم، وهو ما توعد الله به المشركين والكفار وقــد يقيد هذا النوع من الخلود في القرآن الكريم بكلمة (أبداً) منها قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ الأحزاب: (٦٤ – ٦٥).

والخلود الوارد في سورة السجدة هو الخلود الدائم المستمر الأبدي بدليل قولــه تعــالى:﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ (السجدة: ١٤). ووصفه لحال أهل النار أنهم يحاولون الخروج منها ولكنهم يُعادوا فيها جزاء بما كانوا يعملون ويكذبون في الحياة الدنيا قال تعــالى:﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠).

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص١٧٧.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص٣٦٢.
(٣) انظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح، مجموع ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمــين، ط٢، ج٨، ص٢٢٠، جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الثريا، السعودية، سنة، ١٤١٧هــ-١٩٩٦م، وانظر: القيشاوي، فادي محمــد توفيق(٢٠١٢م.)، **المباحث العقدية في سورة الزخرف**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غــزة، ص١٤٠، إشراف:د. سعد عاشور،

٢. العذاب الأدنى: أما الصورة الثانية من عذاب الفاسقين الكافرين التي تناولتها سورة السجدة هي العذاب الأدنى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ﴾(السجدة: ٢١).

واختلفت أقوال العلماء في معنى العذاب الأدنى على النحو الآتي:

القول الأول: المقصود بالعذاب الأدنى هو مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، وقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله إن من القائلين بهذا المعنى ابن عباس[١]. وأبي بن كعب[٢]. وأبي العالية والضحاك[٣] وقد أورد الطبري قولاً لابن عباس- رضي الله عنه- أنه قال: العذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلى الله بها العباد حتى يتوبوا"[٤].

وأورد عن أبي بن كعب – رضي الله عنه- أنه قال العذاب الأدنى المصائب في الدنيا[٥].

القول الثاني: المقصود بالعذاب الأدنى الحدود، وقد أورده الطبري في قولٍ ثانٍ لابن عباس- رضي الله عنه-.

القول الثالث: المقصود بالعذاب الأدنى القتل والجوع لقريش في الدنيا، وأورده الطبري عن مجاهد في قولٍ له[٦].

القول الرابع: المقصود بالعذاب الأدنى: عذاب القبر وأورده الطبري في قول للمجاهد والبراء بن عازب.[٧].

---

(١). سبق التعريف به.

(٢). أبي بن كعب: هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود مطلقاً على الكتب القديمة، ولما أسلم كان من كتاب الوحي، شهد بدراً وأحدا والخندق، والمشاهد كلها مع النبي – صلى الله عليه وسلم- مات بالمدينة، انظر: الزركلي، الإعلام، ج١، ص ٨٢.

(٣).سبق التعريف به.

(٤). انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص١٨٩.

(٥). انظر المصدر السابق،ج٢٠، ص ١٨٩.

(٦). مجاهد: سبق التعريف به. البراء بن عازب: هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أسلم صغيراً وغزا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- خمس عشرة غزوة أولها غزوة الخندق، روى له البخاري ومسلم. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٤٦ وانظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٩١، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٣٦٩.

(٧). البراء بن عازب: هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أسلم صغيراً وغزا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- خمس عشرة غزوة أولها غزوة الخندق، روى له البخاري ومسلم. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٤٦ وانظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٩١، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٣٦٩.

والذي يظهر لي أن القول الأول له وجهته ووجاهته ذلك أن ظـــاهر الآيـــات يـــوحي أن المقصود بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وابتلاءاتها، أو كل شيء ممكن أن يكون أهلاً للابتلاء أو مما يبتلى به الله تعالى الناس، ذلك أن الآية الكريمة انتهت بقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الــسجدة: ٢١). أي أن الله جلّ شأنه يبتليهم ويريهم من آياته لعلهم يؤبون ويعودون إلى الطريـــق الحـــق المستقيم ويتوبوا إلى الله عز وجل ويدخل في عامة القول الأول القول الثالث القائل بأن العـــذاب الأدنى هو القتل والجوع لقريش فقد يدخل ضمناً تحت القول الأول لو قلنا بأن القول الأول عام والثالث خصَّ أهل قريش بمصيبة القتل والجوع علّهم يعودوا إلى الصواب ويقلعوا عن معاندتهم للنبي –صلى الله عليه وسلم– أما الرأي القائل أن العذاب الأدنى في الحدود فإنه بنظري بعيـــداً، ذلك أن الحدود إنما شرعت لمصلحة وخير العباد وليست من العذاب بشيء والرأي القائل بـــأن العذاب الأدنى هو عذاب القبر، فقد يكون ذلك ممكناً ولكن لماذا جاءت نهاية الآية بقوله تعـــالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (السجدة: ٢١). والمعلوم أن العذاب في القبر لا يمكن رجوعه إلى الدنيا كي يعمل صالحاً ويتوب إلى الله عز وجل، إذا لا رجعة له إلا يوم البعث والقيام من القبور للمحاسبة والجزاء.

لستُ مرجحة للأقوال أو التحقيق بها ولكنه رأي كان لا بدّ من عرضه في هـــذا الـــصدد ولعل ما ذهب إليه شيخ المفسرين في المقصود بالعذاب الأدنى يدعم ويؤيد ما ذهبت إليه إذ يقول الإمام الطبري– رحمه الله–:" وأولى الأقوال في ذلك أن يقال إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العـــذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقـــد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأمـــوال فـــأوفي لهـــم بمـــا وعدهم"(١).

فهلا اعتبروا بذلك فالله سبحانه يخبرهم أن لهم عذاباً آخر لا يبلـــغ مبلـــغ عـــذاب النـــار الموعودين به في الآخرة، وهو العذاب الأكبر وهو بذلك يهددهم لعلّهم يؤوبون إليه ويـــدركون الهدى ويرجعون عن الكفر للإيمان به سبحانه وتعالى.

---

(١). الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص١٩١.

٣. الانتقام من المجرمين: بينت سورة السجدة في هذه الجزئية سبب العذاب والعقاب وهو ظلم الناس لأنفسهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة: ٢٢). فالآية تخبر أنه لا أحد أظلم لنفسه من امرىءٍ وُعِظَ وذُكر بآيـــات الله عز وجل، فالله جلّ شأنه أخبر أنه سينتقم من الكفار الذين كفروا به وأعرضوا عنه أشد أنـــواع الانتقام[١].

فلا أحد أظلم لنفسه من نفسه وممن ذكرت له آيات ربه وحججه ثم ترك قبولها.

(١) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٤٦٥.

المبحث الثالث

الولاية والشفاعة الواردة في سورة السجدة

المطلب الأول: الولاية كما جاءت في السورة

جاء في سورة السجدة أن الكافرين والمكذبين الذين افتروا على الله الكذب وشكوا في نسبة القرآن إليه سبحانه، وأثاروا شبهات حوله ذلك أنهم قالوا أن القرآن الكريم هو من اختلاق محمد- صلى الله عليه وسلم-، فجاءت الإشارة من سورة السجدة بعد ذلك أن الكفار ليس لهم ولي ولا شفيع من دون الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤). فالمقصود بالولي والشفيع سيكون موضع هذا المبحث ونبدأ بالمقصود بالولي في السورة.

١. تعريف الولاية (الولي):

١- جاء في التعريف اللغوي لكلمة الولي ما نصه:" الوَلي: القرب، الدنو، والوليّ الاسم منه، والمحب والصديق والنصير، والمَولى: المالك والعبد المعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه، والجار والحليف والابن والعم والتنزيل والشريك، والولي والرب والناصر والمحب والتابع"[١].

" ولي في أسماء الله تعالى: الولي هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم ما والخلائق القائم بها، ومن أسمائه عز وجل: الوالي: وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الوالي [٢].

فالمعنى اللغوي لكلمة الولي والولاية يدور حول القرب والدنو والنصرة والسلطان والملك.

وأما في المعنى الاصطلاحي فالمقصود بلفظ الولي:" هو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، والولي هو العارف بالله وصفاته

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص١٣٤٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ٤٠٧.

بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المتجنب عن المعاصي، المُعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات"[١].

والولاية: "هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه"[٢].

فالولي سمي ولياً لموالاته للطاعات أي متابعته لها، وولي الله: هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه، والولاية الشرعية قائمة على طاعة الله، والتقرب إليه بما يحبه والابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فالولاية متناسبة مع ما يقدمه المرء من الطاعة والتقوى لله عز وجل، لذلك كان العباد متفاضلون في ذلك، وفي هذا الشأن يقول الإمام ابن تيمية- رحمه الله-:" وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون بحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق"[٣].

فالولي: هو المتابع لطاعة الله عز وجل وتقواه وبناء عليه فالولاية الشرعية هي القائمة على طاعة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه بكل ما يحبه.

٢- أقسام الولاية

وردت مادة الولاية في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وكلها تدل على خمسة أقسام من الولاية:

١. ولاية خاصة بالله عز وجل لا يشاركه فيها أحد غيره عامة لكل مخلوقاته بلا استثناء[٤].

٢. ولاية بين الله عز وجل وبين خاصته من خلقه وهم المؤمنون[٥].

٣. ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً[٦].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ٤٠٧، وانظر: الجرجاني، التعريفات، ص٢٥٤.
(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٠٧، وانظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٥٤.
(٣) انظر: ابن تيمية تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الدمشقي، ت(٧٢٨هـ) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بدون طبعة، ص١٠، تحقيق: تعبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
(٤) أحمد، الخضر عبد الرحيم(سنة ١٤٠١هـ.)، الولاية والأولياء في الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة- السعودية، ص١٢، إشراف: كمال محمد هاشم.
(٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٢.
(٦) انظر: المصدر السابق، ص ١٢.

٤. ولاية بين الشياطين والكافرين[١].

٥. ولاية الكفار بعضهم بعضاً[٢].

فالولاية الأولى: هي الولاية الخاصة بالله عز وجل وهي الرحمة العامة الشاملة كل المخلوقات الإنس والجن، المحسن والمسيء، والإنسان والحيوان، فهي ولاية الخلق والتدبير والحفظ والهداية العامة قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (الشورى: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٦).

والمراد من هذه الآيات أن الله عز وجل هو المتولي لشؤون المخلوقات وهي الولاية العامة التي ينتفع بها الكافر والمؤمن، والإنسان والحيوان، وهي ولاية القهر والسلطان، بحيث لا يخرج عن هذا السلطان كائن ما كان[٣].قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾(الفرقان: ٢٦).

٢. وأما القسم الثاني من أقسام الولاية هي الخاصة لبعض عباده فهي الولاية الخاصة بعباده المؤمنين وهي الولاية التي يتفاضل به المؤمنون[٤]قال تعالى على لسان سيدنا يوسف – عليه السلام–: ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف: ١٠١). وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧). وتعني هذه الآية أن الله ناصرهم وظهيرهم وهو الذي يتولاهم بعونه وتوفيقه يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان[٥] والآيات الكريمة من القرآن كثيرة الدالة على الولاية الخاصة بالمؤمنين وهي ولاية المحبة والنصرة قال تعالى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص ١٢.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٢.
(٣) انظر: أحمد، الولاية والأولياء في الإسلام، ص ١٣.
(٤) انظر: المصدر السابق، ص ١٤.
(٥) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٥، ص٤٢٤.

٣- وأما القسم الثالث من الولاية وهي ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً فهي ولاية أساسها ولاية الله لهم[١]، بناؤها المتين طاعة الله عز وجل لذلك نجد رابطهم تقوى الله عز وجل والتعاون على المحبة في جلاله سبحانه قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(الأنفال: ٧٢).

٤- وأما ولاية الشياطين والكافرين فقال الله تعالى عنها: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٥).وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٧). وملخص هذه الولاية: أن الشيطان ولي الكافر ومعينه والكافر تابع وولي للشيطان[٢].

٥- والقسم الأخير من أقسام الولاية وهو ولاية الكفار بعضهم بعضاً ومن الآيات الدالة على هذه الولاية قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(الأنفال: ٧٣). وقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(المائدة: ٥١).

فكما أن الإيمان جمع المؤمنين على طاعة الله عز وجل، فالكفر هنا هو الذي جمع الكفار ووالوا بعضهم سببه[٣].

يمكن الجمع بين أقسام الولاية عدا القسم الأول هو الولاية العامة الخاصة بالله عز وجل بأن الولاية تنحصر في قسمين:

١. ولاية الله تعالى.

٢. وولاية الشيطان.

وكما ثبتت الولاية في القرآن الكريم وليست أدل على ذلك من الشواهد السابقة من الآيات البينات على ذلك، فقد ثبتت في السنة النبوية المطهرة، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:" إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي

(١) انظر: أحمد، الولاية والأولياء في الإسلام، ص ١٦.
(٢) انظر: أحمد، الولاية والأولياء في الإسلام، ص ١٧.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص ١٨.

يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر بــه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنه، ومـا ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"(١).

وأما الطريق إلى الولاية فهو يتلخص بـ:

- الإيمان بالله عز وجل بحسب ما بينه رسوله- صلى الله عليه وسلم-.
- أداء الفرائض واجتناب النواهي.
- الإكثار من النوافل.

٣- المقصود بالولي في قوله تعالى:﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾(السجدة: ٤).

أرادت الآية الكريمة:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤). فبعد أن بينت دليلاً من أدلة وجـود الحـق سبحانه وتعالى في هذا الوجود، وبعد أن بينت أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه هـو المـدبر والمتصرف في هذا الكون كما يريد وكما يشاء، وأنّ الخلق وبالأخص المخاطبون في هذه الآية لا ولي لهم سواه عز وجل، فهو المالك الخالق لكل شيء، والمدبر لكل شيء القادر علـى كـل شيء(٢). فالناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم، ما لهم من دون الله تعالى وليٌّ يلي أمورهم ويدبرها، وليس لهم من غير الله ناصر يمنعهم من عذابه فلا يوجد لهم ولي غيره وهو سبحانه المـسيطر على العرش وعلى السماوات والأرض، فهو الذي يدبر كل أمر في الـسماوات والأرض، فمـا للبشرية من إله إلا الله ولا معين ولا مدبر إلا الله، فهو الذي يتولى الناس المؤمن منهم والكـافر والمشرك، وليس للبشرية كلها من إله غير الله عز وجل، وليس لها من غيره من ولي يتولاهـا بالنصر والإنجاء إن أراد الله خذلانها وإهلاكها(٣).

ولكن البشرية بعامة والعرب المشركين بخاصة لا إله لهم إلا الله فيجب عليهم أن يتوجهوا له بالعبادة والتوحيد كي ينجوا من عذابه جل شأنه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم ٦٥٠٢، ج٨، ص١٠٥.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٣٥٩.
(٣) انظر: أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥، ج٤، ص٢٢٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- السعودية، سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

فالآية تقرر بشكل واضح القسم الأول من أقسام الولاية وهي الولاية العامة لكافة الخلق والبشرية والتي ينتفع بها الكافر والمؤمن والحيوان والإنسان، والمحسن والمسيء، وهي ولاية الخلق والتدبير والحفظ والهداية العامة، وهي ولاية القهر والسلطان التي لا يخرج عنها كائن ما كان[1]، قال تعالى:﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾(الكهف: ٤٤).

أي أن هذه الولاية تتضح يوم القيامة فيقر كل البشر، وأن الله جلّ شأنه هو المتفرد بالملك والتدبير. وهذه هي الولاية التي أثبتها قوله تعالى:﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾(السجدة: ٤).

فتأتي الآية بعدها مباشرة لتبين وتوضح الولاية العامة وهي قوله:﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥). جاءت لتؤكد على الولاية والرحمة العامة للخلق التي من ضمنها رعاية الخلق وتدبير أمورهم.

المطلب الثاني: الشفاعة الواردة في السورة

أحداث يوم القيامة تفزع منها القلوب، وتوجل منها النفوس فهي أحداث عظيمة وأمرها جليل، فالبشر يخرجون من قبورهم حفاة عراة فيسرعون لتلبية النداء، ينظرون حولهم في ذهول، فالأرض دكت والأنهار جفت، والأرض تبدلت غير الأرض، والسماء غير السماء، والبشر لا حول لهم ولا قوة، فقد وقعت الواقعة، فما بين وقوف على الصراط، وجزاء وجنة ونار، يكون البشر في خشوع وفزع والشمس دانية حرّها مضاعف، وأبصارهم خاشعة من هول الموقف، فيوم القيامة فيه من الأهوال والصعاب مما لا علم لأحد به سوى الله جل شأنه، ولأن الله تعالى رحمان رحيم بعباده أكرمهم بنعمة لإزالة الكروب والهموم والغموم في عرصات ذلك اليوم فشرع لهم الشفاعة يوم القيامة، تحفيفاً عليهم ورحمة بهم من هول ذلك اليوم، ففي الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلِّ وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة" [2].

([1]) انظر: أحمد، الولاية والأولياء في الإسلام، ص ١٣.

([2]) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي- صلى الله عليه وسلم- جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، حديث رقم ٤٣٨، ج١، ص٩٥.

وسأتناول في هذا المطلب ما يأتي:

١. معنى الشفاعة لغة واصطلاحا.

٢. شروط الشفاعة.

٣. أقسام الشفاعة.

٤. الشفاعة كما وردت في السورة الكريمة.

١. معنى الشفاعة لغة واصطلاحاً

جاء في التعريف اللغوي لكلمة الشفاعة أنها تندرج تحت الجذر الثلاثي" (شَفَعَ) وأن الشفع: خلاف الوتر، وهو الزواج، وشفع الوتر من العدد شفعاً صيّره خروجاً، والمشفّع: منهم الشيء إلى مثله، وقيل الشفع المخلوقات والوتر هو: الله من حيث إن له الوحدة من كل شيء"[١].

وأما المعنى الاصطلاحي للشفاعة فهو: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٢]، والسؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه[٣].

فالمقصود بالشفاعة يوم القيامة: هي شفاعة الشافعين عند الملك جلّ جلاله يوم القيامة حيث إنهم يشفعون للمقصرين والمذنبين بأن يتجاوز الله عنهم برحمته وفضله.

٢. شروط الشفاعة

والشفاعة لها شروط ثلاثة هي:

١. رضا الله تعالى عن الشافع[٤] ودليله قوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾(النجم: ٢٦).

٢. رضا الله عن المشفوع له[١] ودليله قوله تعالى:﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٨٣، وانظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٤٥٨.
(٢) انظر: فالح، معجم ألفاظ العقيدة، ص٢٢٨، وانظر: ابن عثيمين، مجموع الفتاوى والرسائل، ج٨، ص٥٢٤.
(٣) انظر: الجرجاني، التعريفات، ص١٧.
(٤) انظر: أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج٤، ص٢٢٣.

٣. إذن الله تعالى للشافع أن يشفع[٢] قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٥٥)، وقال:﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾(سبأ: ٢٣).

٣. أقسام الشفاعة

وتنقسم الشفاعة بشكل عام إلى قسمين:

١. الشفاعة الباطلة (المنفية): وهي ما يتعلق به المشركون من أصنامهم، حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم لهم شفعاء عند الله تعالى فهذه الشفاعة لا تنفع[٣] قال تعالى:﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ (المدثر: ٤٨)، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ﴾ (يونس: ١٨).

٢. الشفاعة الصحيحة (المثبتة): وهي ما جمعت شروط الشفاعة السابقة وهي: رضا الله عن الشافع ورضاه عن المشفوع له، وإذنه في الشفاعة[٤] وهناك شفاعات خاصة بالنبي- صلى الله عليه وسلم- وهي:

أ- الشفاعة العظمى: وهي الشفاعة العظمى لأهل الموقف في أرض المحشر، حيث يشفع لهم النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى يحاسبهم الله تعالى، ويعلم كل واحد منهم مصيره وهذه الشفاعة خاصة بالنبي- صلى الله عليه وسلم- من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين[٥] وورد تفصيل ذلك في الحديث الطويل الخاص بالشفاعة الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم-. قال" : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ

([١]) انظر: ابن عثيمين، مجموع الرسائل والفتاوى، ج٨، ص٥٢٤.
([٢]) انظر: المصدر نفسه.
([٣]) انظر: ابن عثيمين، مجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين، ج٨، ص٥٢٤.
([٤]) انظر: ابن عثيمين، مجموع الفتاوى، ج٨، ص ٥٢٤
([٥]) انظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٦٣-١٦٩.

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ [ص:٨٥]: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى - "[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ (الإسراء: ٣). حديث رقم ٤٧١٢، ج٦، ص٨٤.

٢. الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة: فالنبي- صلى الله عليه وسلم- هو أول من يفتح باب الجنة، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً"(١).

٣. الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه والمقصود بذلك شفاعة النبي- صلى الله عليه وسلم- في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فعن أبي سعسد الخدري- رضي الله عنه – قال: أنه سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- وذُكر عنده عمه فقال:" لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه"(٢).

والشفاعات السابقة خاصة بالنبي- صلى الله عليه وسلم- وهناك شفاعات أخرى منها: الشفاعة في أقوام يدخلوا الجنة بغير حساب والشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة، والشفاعة فيمن استحق دخول النار ألّا يدخلها، والشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- وحده فقد يشاركه غيره فيها أو في بعضها(٣).

وأما الشفعاء فهم:

أ. – النبي- صلى الله عليه وسلم-، والأحاديث السابقة الذكر دلت على ذلك.

ب. الملائكة وثبتت لهم الشفاعة في قوله تعالى:" ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٨). وقوله تعالى:" ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (النجم: ٢٦).

ج. الأنبياء والمؤمنون الصالحون: في الحديث الطويل الخاص بالشفاعة يقول الله عز وجل:" شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين".

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قول النبي- صلى الله عليه وسلم- أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً، حديث رقم ١٩٦، ج١، ص ١٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، حديث رقم ٣٨٨٥، ج٥، ص ٥٢، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم- لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، حديث رقم ٢١٠، ج١، ص١٩٥.

(٣) انظر: ابن عثيمين، مجموع الرسائل والفتاوى، ج٨، ص ٥٢٥.

د. الشهداء: فالشهيد يشفع لبعض أهل بيته، ففي الحديث الذي رواه أبو الدرداء- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- " يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"(١).

هـ. القرآن الكريم: فقد ورد عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة فعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ (أي السحرة)" (٢).

٤. الشفاعة في سورة السجدة

ادعى المشركون بأن آلهتهم ستتشفع لهم عند الله تعالى، كانوا يعدونها واهمين أنها شفعاء لهم عنده عز وجل، فجاءت آيات قرآنية كثيرة تنفي هذه الادعاءات، وتبين أن هذا الأمر غير صحيح وباطل، فأخبرت الآيات صراحة بأن الشفاعة مختصة بالله تعالى وليس هناك شفيع غيره.﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ٥١).

وقد جاءت آية في سورة السجدة تبين هذا الأمر قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤).

فالآية تخاطب المشركون الذين طعنوا في صحة نسبة الكتاب إلى الله تعالى بأنه لن يكون هناك شفيع يشفع لهم إن سلط الله عليهم العذاب والعقاب يوم القيامة(٣). فالمقصود بالآية بيان الشفاعة الباطلة المتعلقة بشفعاء المشركين المزعومين." ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم إن أراد بكم ضراً ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه"(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، حديث رقم ٢٥٢٢، ج٣، ص١٥، وذكر المحقق أن الألباني حكم على الحديث بأنه صحيح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، حديث رقم ٨٠٤، ج١، ص٥٥٣. وذكر المحقق أن أهل اللغة قالوا: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرهما.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٥٣.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص ١٦٦.

"... فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده، فهو الــذي يــشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده. فيأذن هم لمن يشاء أن يشفع فيه. فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له، وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهي إرادتــه من نفسه أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهــم وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه"[1].

وبهذا أكون قد انتهيت من عرض المسائل الواردة في سورة السجدة والمتعلقــة بمــسائل الإيمان باليوم الآخر، ذلك اليوم الذي إذا ما آمن به المرء واعتقد به اعتقاداً لا يخالطه أدنى ريب فإنه يورث في قلبه أصل الصلاح، ويوجب عليه الانكفاف عن المعاصي واجتنابها، والسعي نحو الطاعات والانغماس فيها، هو اليوم الذي يجب أن تستشعره الأمة بكافة أفرادهــا وجماعاتهــا، فيجب أن تتنبه هذه الأمة وتصحو من غفلتها وتتذكر ذلــك اليــوم لتــستعد للقــاء رب الأرض والسماوات، وتترك الانغماس في الماديات، فالساعة آتية لا ريب فيها، فلا بدّ من الاستيقاظ من الغفلة، ولا بدّ من الاستيقاظ من الرقدة الطويلة، فما أمر الساعة إلا كلمح البصر، فــالله نرجــو ونسأل أن يردنا إلى دينه الحق وأن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(1) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١، ص٢٢٠.

الخاتمة

وأخيراً، وبعد أنّ منّ الله عليّ بإتمام هذه الدراسة التي طرحت قضية العقيدة والتوحيد، وعرضت مسائل الإيمان بالله تعالى والنبوة واليوم الآخر من خلال سورةٍ عظيمةٍ كريمة، ألا وهي سورة السجدة، فإنّي أُشهد الله تعالى أنني متبرِّءةٌ من حولي وطولي، فأنا الفقيرة إليه جلّ وعلا، فلا أدعي فضلاً لنفسي، بل إنّ الفضل ابتداءً وانتهاءً لصاحب الفضل و ولّي العطاء سبحانه وتعالى، وبعده لأئمتنا الفضلاء وعلمائنا الأجلاء، الذين نقلتُ عنهم وتعلّمتُ منهم، وما أردتُ بذلك إلا خدمة القرآن الكريم، ولأنالَ شرف السير في ركب الموحدين من النبيين والمرسلين، ومن سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين.. وقد توصلتُ بعد إتمام البحث في السورة الكريمة إلى بعض النتائج والتوصيات كالآتي:

أولاً: النتائج

١. لا تصحّ العقيدة إلا إذا أُخذت من مصادرها الأساسية: القرآن الكريم والسنة الصحيحة

٢. تتضح في السور المكية مسائل العقيدة، فهي تُعنى بتصحيح عقيدة الألوهية والإيمان بالرسالات وترسيخ عقيدة البعث.

٣. أشارت سورة السجدة إلى محور الخضوع لله تعالى، لذلك حملت اسماً هو رمزٌ للخضوع والتسليم وهو: السجدة، فكان فيها مدحاً ربانياً للمؤمنين الخاضعين لله عزوجل.

٤. تجمع سورة السجدة علاقة وصلة مع العديد من السور على النحو الآتي:

- تجمعها علاقة بالسور المبدوءة ب " آلم " خُلاصتها: نفي الريب عن القرآن الكريم.

- تكمن العلاقة بين سورة السجدة وسورة لقمان: بتضمن سورة السجدة شرحاً وتفصيلاً لمفاتيح الغيب الواردة في آخر سورة لقمان.

- تتضح صلة سورة السجدة بسورة الأحزاب: في وجود التشابه بين فاتحة سورة السجدة وبداية سورة الأحزاب.

- تكمن الصلة بين سورة السجدة وسورة الإنسان: بأن سورة السجدة كانت مُمهِّدة لسورة الإنسان في حديثها عن الإنسان وبدء خلقه.

- تتضح علاقة سورة السجدة بسورة المُلك بأن كلا السورتين اعتنت بمسائل العقيدة وخاصة مسألة إثبات وجود الله عزوجل.

٥. جاء طرح السورة لمسألة الإيمان من خلال ذكر علامات الإيمان وأهله كما عرضت سورة السجدة مسألة الإيمان والفسق من خلال بيان عدم تساوي المؤمنين والفاسقين.

٤. قدمت سورة السجدة الكون دليلاً على وجود الخالق، ولفتت الأنظار إلى بعض الأدلة المشاهدة في كل ركن من أركان هذا الكون العظيم.

٥. ثبت في القرآن الكريم أنّ الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام وذلك في سبعة مواضع منه، منها موضع في سورة السجدة.

٦. العلاقة بين أسماء الله تعالى الواردة في السورة (الرب، الله، العزيز، الرحيم) علاقة تكامل وتلازم يكمّل بعضها بعضاً.

٧. أثبتت سورة السجدة صفة الإرادة والمشئية لله تعالى.

٨. أثبتت سورة السجدة صفة العلو لله تعالى.

٩. ثبتت صفة الاستواء على العرش لله تعالى في سبعة مواضع في القرآن الكريم منها موضع في سورة السجدة.

١٠. بيّنت سورة السجدة أنّ فرية افتراء القرآن الكريم دعوى قديمة متجددة بدأها المشركون وحملها بعضهم تشكيكاً في الإسلام وكتابه كما و انفردت سورة السجدة بعرضها لهذه الفرية وذلك بتقديمها للرد أولاً ثم تقديم الفرية ثم الرد عليها.

١١. جاء رد سورة السجدة على فرية افتراء القرآن الكريم ببيان الحاجة الماسّة للقرآن، ولم يرد هذا الرد إلا في موضع سورة السجدة وموضع من سورة القصص.

١٢. بيّنت سورة السجدة الصلة بين رسالة موسى – عليه الصلاة والسلام – ورسالة محمد – صلّى الله عليه وسلّم –، فالمهمة واحدة (مهمة الإنذار والتبشير والدعوة إلى عبادة الله وحده).

١٣. وضحّت سورة السجدة مقومات الإمامة في الدين وهما: الصبر على تحمل أعباء الدعوة، واليقين بنصرة الدعوة وبين العلاقة بين الإمامة والصبر واليقين فهي علاقة شرط بمشروطه.

١٤. يوم الفتح الوارد في سورة السجدة هو يوم الفصل والقضاء، سواء كان الفصل بين الحق والباطل في الدنيا أم الفصل في الآخرة.

١٥. الانتظار الوارد في سورة السجدة هو ترقّب عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة.

١٦. الإعراض الوارد في سورة السجدة هو إعراض وقتيّ عن جدال الكافرين لا الإعراض المستمرّ عن الدعوة إلى الله تعالى.

١٧. أبرزت سورة السجدة أنّ عقيدة البعث عقيدة أساسية من العقائد التي تقوم عليها أركان الإيمان.

١٨.جاء رد سورة السجدة على شبهة إنكار البعث بتقرير وفاة البشر ورجعتهم إليـــه ســـبحانه وتعالى.

١٩. انفردت سورة السجدة بلفظ" ملك الموت "و هي التسمية الصحيحة له الواردة في القـــرآن الكريم والسنة الصحيحة، كما انفردت بلفظ العذاب الأدنى.

٢٠. تناولت سورة السجدة بعض مشاهد اليوم الآخر والتي تميّزت أنّها جاءت على شكل حوار وخطاب.

٢١. من أركان الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجزاء الأعمال يوم القيامة.

٢٢.الولاية التي تقررها سورة السجدة هي الولاية العامة لكافة الخلق والبشرية والتي ينتفع بها الكافر والمؤمن من خلال نفيها أن يكون هناك ولي للخلق غير الله تعالى.

٢٣. الشفاعة الواردة في سورة السجدة هي الشفاعة المنفية وهي نفي الشفعاء الذين زعمـــوهم المشركين.

ثانياً: التوصيات

١. أوصي بالاهتمام والتركيز على الدراسات القرآنية في مجال الاعتقاد.

٢. أوصي بدراسة جميع سور القرآن الكريم دراسة عقائدية، ثم العمل على جمعها وإنتاجهـــا في عمل موسوعي تخصّ سور القرآن الكريم والاصطلاح عليها مثلاً ب " موسوعة ســـور القرآن الكريم العقدية ".

وفي نهاية المطاف.. أسال الحقَّ جل شأنه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به وألّا يجعل حظّي من ديني قولي، وأن يُحسن نيتي وعملي.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

والحمدلله ربِّ العالمين

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، (ت ٦٠٦ هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بدون طبعة، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م.

٢. أحمد، الخضر عبدالرحيم (١٤٠١هـ)، **الولاية والأولياء في الإسلام**، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،السعودية .

٣. أحمد، غالب عبدالله عثمان (١٩٩٦م)، **تفسير ابن كمال باشا دراسة وتحقيق من خلال سورة لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ، فاطر، يس، الصافات**، رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن .

٤. اسماعيل، محمد بكر، (٢٠٠٠م)، **أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها**، ط١، القاهرة : دار المنار .

٥. اسماعيل، محمد بكر، (١٩٩٩م)، **دراسات في علوم القرآن**، ط٢، القاهرة : دار المنار .

٦. الأشقر، عمر سليمان عبدالله،(٢٠٠٧ م)، **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة**، الطبعة السابعة، عمان : دار النفائس .

٧. الأشقر، عمر سليمان عبدالله،(٢٠٠٧ م)، **الرُّسل والرِّسالات**، الطبعة الرابعة عشرة، عمان : دار النفائس.

٨. الأعظمي، محمد ضياء الدين، (٢٠٠٣ م)، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، الطبعة الثامنة، الرياض : مكتبة الرشد.

٩. البار، محمد علي،(١٩٩١م)، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، الطبعة الثامنة، السعودية : الدار السعودية.

١٠. البارودي، عماد زكي، (بدون سنة)، **أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**، بدون طبعة، المكتبة التوقيفية .

١١. باعبد الله، محمد باكريم محمد، (١٩٩٤م)، **وسطية أهل السنة بين الفرق**، ط١، دار الراية .

١٢. البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه**، ط١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، سنة ١٤٢٢هـ.

١٣. البدر، عبدالرزاق بن عبد المحسن،(٢٠٠٠ م)، **الأثر المشهور عن الإمام مالك – رحمه الله – في صفة الاستواء / دراسة تحليلية، مجلة الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، العدد ١١١.

١٤. البدر، عبدالرازق بن عبد المحسن، (٢٠٠٦ م)، **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**، الطبعة الثامنة، السعودية : دار كنوز إشبيلية .

١٥. بدوي، عبدالرحمن، **موسوعة المستشرقين**،(١٩٩٣م)، ط١، بيروت : دار العلم للملايين.

١٦. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، (ت ٢٩٢هـ)، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، ط١، تحقيق: محفوظ زين الله و عادل بن سعد وصبري الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، سنة ٢٠٠٩ م.

١٧. ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري، (ت ٣٨٧هـ)، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة**، ط١، تحقيق: رضا معطي، دار الراية، الرياض – السعودية، سنة ١٤٠٩هـ.

١٨. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر (**ت ٨٨٥هـ**)، **نظم الدرر في تناسب السور**، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف، قطر، سنة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

١٩. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – السعودية، سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٠. البنعلي، أحمد بن حجر آل بوطامي،(١٩٩٤م)، **العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية**، ط١، دار الكتب القطرية.

٢١. البوشيخي، الشاهد، (٢٠١١م)،**القرآن والإنسان، مجلة حراء**، العدد ٢٧، تركيا، السنة السابعة.

٢٢. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي، (١٤١٨هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣. التميمي، محمد بن خليفة،(١٩٩٩م)، **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، الطبعة الأولى، الرياض :مكتبة أضواء السلف.

٢٤. التويجري،حمد بن ابراهيم،(٢٠١٢م)، **توحيد أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة**، ط٢، مكتبة الملك فهد.

٢٥. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، (ت ٧٢٨هـ)، **الأسماء والصفات**، بدون طبعة، دارسة وتحقيق: مصطف عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٢٦. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، (ت ٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ط٢، تحقيق: علي بن حسن حمدان، دار العاصمة، السعودية، سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٢٧. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، (ت ٧٢٨هـ)، **درء تعارض العقل والنقل**، ط٢، تحقيق: محمد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١ م.

٢٨. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، (ت ٧٢٨هـ)، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢٩. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة – السعودية، سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م.

٣٠. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، (ت ٧٢٨هـ)، **النبوات**، ط١، تحقيق عبدالعزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض – السعودية سنة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٣١. الآجرّي، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي، **الشريعة**، ط٢، تحقيق: عبدالله الدميمي، دار الوطن، سنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٣٢. الجداية، نبيل أحمد حسين، (٢٠٠٧ م)، **أهل الفترة ومن في حكمهم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البلقاء التطبيقية، السلط، الأردن.

٣٣. الجرجاني، علي بن محمد علي الزين الشريف، (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣٤. الجلي، أحمد محمد،(١٤١٣هـ)، **الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان، مجلة البحوث الإسلامية**، عدد ٣٦، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٣٥. الجلي، أحمد محمد، (٢٠١٠م)،**العقيدة الإسلامية أركانها وآثارها**، ط١، الإمارات : دار الكتاب.

٣٦. ابن الجوزي، جمال أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، (١٤٢٢ هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، بيروت : دار الكتاب العربي .

٣٧. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبد التميمي أبو حاتم الدرامي، (ت ٣٥٤ هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ط١، حققه وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن عليان مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٨. الحجازي، محمد محمود،(١٤١٣هـ)، **التفسير الواضح**، الطبعة العاشرة، بيروت : دار الجيل الجديد.

٣٩. حجازي، محمد محمود، (١٩٧٠ م)،**الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، بدون طبعة، القاهرة : دار الكتب العلمية.

٤٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد القرطبي الظاهري، (ت ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنِحل**، بدون طبعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون سنة.

٤١. حسان، محمد، (٢٠٠٧م)، **جبريل يسأل والنبي – صلّى الله عليه وسلّم – يجيب**، بدون طبعة، مصر : مكتبة فياض المنصورعقل.

٤٢. الحسني، فاطمة بنت حميد،(٢٠٠٩م)، **فكر طه حسين في ضوء العقيدة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية .

٤٣. حسين، طه، (١٩٢٦ م)، **في الشعر الجاهلي**، ط١، القاهرة : دار الكتب المصرية .

٤٤. الحليمي، أبو عبدالله الحسين بن الحسن، (ت ٤٠٣هـ)، **المنهاج في شعب الإيمان**، ط١، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٥. الحمد، أحمد بن ناصر، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، **ابن حزم وموقفه من الإلهيات**، ط١، السعودية : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

٤٦. الحمد، محمد بن ابراهيم،(١٤١٦هـ)، **الإيمان بالقضاء والقدر**، ط١، دار الوطن .

٤٧. .الحمود، محمد بن حمد،(١٩٩٣م)، **النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، ط١، الكويت : مكتبة الإمام الذهبي.

٤٨. ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د.عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

٤٩. الحنفي، عبدالمنعم، (١٩٩٣م)، **موسوعة الفرق والجماعات**، ط١، دار الرشاد .

٥٠. حوّا، سعيد، (بدون سنة)،**الأساس في التفسير**، بدون طبعة، دار السلام.

٥١. الخالدي، صلاح عبدالفتاح،(١٩٩٤م)، **في ظلال الإيمان**، ط٤، دمشق : دار القلم.

٥٢. الخطيب، محمد أحمد، (٢٠١١م)،**العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط١، عمان : دار المسيرة.

٥٣. الخطيب، محمد أحمد، (٢٠٠٨ م)، **مقارنة الأديان**، ط١، عمان : دار المسيرة .

٥٤. ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ط١، تحقيق:عبدالله الدرويش، دار يعرب، دمشق، سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

٥٥. الخلف، سعود بن عبدالعزيز، (١٩٩٧ م)، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، الطبعة الأولى، السعودية : دار أضواء السلف .

٥٦. خليل، عماد الدين، (١٩٩٢ م)، **قالوا عن الإسلام**، ط١، السعودية : الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٥٧. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية صيدا – بيروت، بدون سنة.

٥٨. دراز، محمد بن عبدالله، (٢٠٠٥م)، **النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم**، بدون طبعة، اعتنى به: أحمد مصطفى، دار القلم.

٥٩. الدميجي، عبدالله بن عمر بن سليمان،(بدون سنة)، **الإمامة العظمى**، ط٢، الرياض: دار طيبة.

٦٠. .الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد،(٢٠٠٦م)، **سير أعلام النبلاء**، بدون طبعة القاهرة : دار الحديث.

٦١. الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين، (ت ٦٠٦ هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ.

٦٢. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط٢، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية دمشق – بيروت، سنة ١٤١٢هـ.

٦٣. ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم الحنظلي المروزي، (ت ٢٣٨هـ)، **مسند إسحاق بن راهويه**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالغفور البلوشي، مكتبة الإيمان المدينة المنورة – سنة ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.

٦٤. رحمة الله الهندي، محمد بن خليل الرحمن الكيدانوي العثماني الحنفي، (ت ١٣٠٨هـ)، **إظهار الحق**، ط١، الرئاسة العامة لإدارة البحوث، السعودية، سنة ١٤٠١هـ.

٦٥. الرحيلي، حمود بن احمد بن فرج، (٢٠٠٤م)، **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، الطبعة الأولى، السعودية : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

٦٦. رزق، جابر، (١٩٨٥م)، **طه حسين الجريمة والإدانة**، بدون طبعة، القاهرة :دار الاعتصام .

٦٧. رمضان، منظور بن محمد بن محمد، (بدون سنة)، **منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت**، بدون طبعة، كلية المعلمين، مكة – السعودية، بدون سنة.

٦٨. الزجّاج، ابراهيم بن السري بن سهل، (ت ٣١١ هـ)، **تفسير أسماء الله الحسنى**، بدون طبعة، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، بدون سنة.

٦٩. الزحيلي، وهبة بن مصطفى،(١٤١٨هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر.

٧٠. الزرقاني، محمد عبدالعظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون سنة.

٧١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الدمشقي، (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، سنة ٢٠٠٢هـ.

٧٢. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت ٥٣٨هـ)، **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٧٣. السحيم، محمد بن عبدالله بن صالح، الدلالات العقدية للماء في القرآن الكريم، بحث منشور عبر موقع شبكة الألوكة، **http://www.alukah.net**/.

٧٤. السحيم، محمد بن عبدالله بن صالح،(١٤٢١هـ)، **الإسلام أصوله ومبادئه**، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، الدار السعودية.

٧٥. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل،(ت ٤٨٣هـ)، **المبسوط**، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

٧٦. سرسيق، ابراهيم محمد، (١٩٧٧هـ)، **طه حسين في ميزان الإسلام**، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول،السنة العاشرة .

٧٧. السقاف، علوي بن عبد القادر،(٢٠٠٦م)، **صفات الله الواردة في الكتاب والسنة**، الطبعة الثالثة، الدرر السنية – دار الهجرة.

٧٨. سعد ومحروس، عادل وعمرو،(٢٠٠٦ م)، **موسوعة الأسماء والصفات (البيهقي، ابن تيمية، ابن القيم، ابن عثيمين)**، الطبعة الأولى، بيروت : دار الكتب العلمية.

٧٩. السعدي، أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، (١٤٢١هـ)، **تفسير أسماء الله الحسنى**، بدون طبعة، تحقيق: عبيد العبيد، المدينة المنورة – السعودية.

٨٠. السعدي، أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، (ت ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبدالرحمن بن محلا، ط١، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨١. سعفان، كامل، (بدون سنة)، **اليهود تاريخ وعقيدة**، بدون طبعة، دار الاعتصام.

٨٢. أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بدون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.

٨٣. السنغالي، انجوغو مباكي صمب، بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين – قاعدة جليلة في فقه الدعوة السياسة الشرعية، بحث منشور عبر موقع الألوكة الإلكتروني، **http://www.alukah.net/** .

٨٤. شحاته، عبدالله،(١٩٧٩م)، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، بدون طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨٥. شرف الدين، جعفر، (بودن سنة)، **الموسوعة القرآنية خصائص السور**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالعزيز التويجري، بيروت : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٨٦. الشرقاوي، محمد عبدالله، (١٩٩٠ م)، **في مقارنة الأديان**، ط٢،بيروت : دار الجيل،القاهرة : مكتبة الزهراء.

٨٧. الأشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل، (ت ٣٢٤هـ)، **الإبانة عن أصول الديانة**، ط١، تحقيق: فوقية حسن محمود، دار الأنصار، القاهرة – مصر، سنة ١٣٩٧ هـ.

٨٨. الأشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل، (ت ٣٢٤هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ط١، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة المصرية، سنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٨٩. شكري، موفق أحمد،(١٩٨٨م)، **أهل الفترة ومن في حكمهم**، الطبعة الأولى، عجمان : مؤسسة علوم القرآن، بيروت : دار ابن كثير.

٩٠. شلبي، أحمد، (١٩٨٨)، **مقارنة الأديان – اليهودية**، ط٨، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.

٩١. الشمالي والعوايشة، ياسر وأحمد،(٢٠٠٤ م)، التحقيق في صحة حديث الجارية وبيان ما يُستنبط منه – دراسة حديثية عقدية، **منشورات جامعة اليرموك**، العدد الرابع،عمادة البحث العلمي.

٩٢. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجنكي، (ت ١٣٩٣هـ)،**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، سنة ١٤١٥ – ١٩٩٥.

٩٣. الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر الجنكي، (ت ١٣٩٣هـ)، **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**، ط٤، الدار السلفية، الكويت، سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م.

٩٤. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابي بكر أحمد، (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنِحل**، بدون طبعة مؤسسة الحلبي، بدون سنة.

٩٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليمني، (ت ١٢٥٠ هـ)، **فتح القدير**، الطبعة الأولى، دار ابن كثير و دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، سنة ١٤١٤ هـ.

٩٦. الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، (١٩٩٥هـ)، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، ط١، الرياض : مكتبة الرشد.

٩٧. الصابوني، محمد بن علي،(١٩٩٧م)، **صفوة التفاسير**، ط١، القاهرة : دار الصابوني.

٩٨. الصابوني، محمد بن علي، (١٩٨١م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، ط٧، بيروت :دار القرآن الكريم.

٩٩. الصابوني، محمد بن علي، (١٩٨٥م)، **النبوة والأنبياء**، ط٣، دمشق : مكتبة الغزالي.

١٠٠.الصلّابي، علي محمد، (٢٠٠٨م)، **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، الطبعة السابعة، بيروت : دار المعرفة.

١٠١.الصوفي، ماهر أحمد،(٢٠٠٨م)، **آيات الله في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان في البحار والمحيطات**، بدون طبعة، صيدا : المكتبة العصرية.

١٠٢.الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ)،**المعجم الكبير**، ط٢، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، بدون سنة.

١٠٣.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ط١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٠٤.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر للطباعة، بدون سنة.

١٠٥.الطويان، عبدالعزيز بن صالح ابراهيم،(١٩٩٩م)، **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**، الطبعة الأولى، الرياض :مكتبة العبيكان.

١٠٦.طيرة، عبدالفتاح محمد، (١٩٨٨م)، **خلق الإنسان – دراسة علمية قرآنية**، بدون طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠٧.عاشور، سعد عبدالله، (٢٠٠٢ م)، **منهج السلف في إثبات الصفات الإلهية، مجلة الجامعة الإسلامية**، غزة، العدد الأول.

١٠٨.ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهرين بن عاشور التونسي، (ت١٣٩٣هـ)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، بدون طبعة، الدار التونسية، تونس، سنة ١٩٨٤ هـ.

١٠٩.عايش، سائد خليل، (٢٠٠٧م)، **اليهودية الأرذوكسية**، الطبعة الأولى، مصر : مركز الإعلام العربي.

١١٠.أبو العباس، أحمد بن محمد الفيومي، (ت ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بدون طبعة المكتبة العلمية، بيروت، بدون سنة.

١١١.عباس، فضل حسن،(١٩٩٧ م)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، عمان : دار الفرقان.

١١٢.عبدالباقي، محمد فؤاد، (٢٠٠١ م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، بدون طبعة، القاهرة : دار الحديث.

١١٣.عبد المقصود، أبو محمد أشرف، (١٩٩٥ م)، **القواعد الطيّبات في الأسماء والصفات**، الطبعة الأولى، الرياض : مكتبة أضواء السلف.

١١٤.عبيدات، عبدالكريم نوفان، (٢٠٠٢ هـ)، **العقيدة الإسلامية عند أهل السنة والجماعة**، بدون طبعة، الرياض : مكتبة دار المنهاج.

١١٥.عثمان، نبيه عبدالرحمن،(بدون سنة)، **معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، بدون طبعة أو دار.

١١٦.ابن عثيمين، محمد بن صالح،(١٩٩٤ م)، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، الطبعة الثانية، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، القاهرة : مكتبة السنة.

١١٧.ابن عثيمين، محمد بن صالح، (١٩٩٦ م)، **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين**، الطبعة الثانية جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الثريا، السعودية، سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م.

١١٨.العريفي، سعود بن عبدالعزيز، (١٤١٩هـ)، **الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد**، الطبعة الأولى، السعودية : دار عالم الفؤائد.

١١٩.ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، (ت ٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، سنة ١٤١٨ هـ.

١٢٠.ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، (ت ٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، بدون طبعة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م.

١٢١.عصفور، طارق علي محمد، (٢٠٠٨م)،**الافتراءات الواردة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – والقرآن**، رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن .

١٢٢.آل عقدة، هشام بن عبدالقادر، **مختصر معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى سلّم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ آل حكمي**، بدون طبعة، مكتبة الوادي، جدة، بدون سنة.

١٢٣.العقل، ناصر عبدالكريم، (١٤١٩هـ)، **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام**، الطبعة الأولى، السعودية : دار إشبيليا.

١٢٤.عقيلان، أحمد فرح،(١٩٩٨م)، **من لطائف التفسير**، الطبعة الأولى، مصر: دار اليقين ودار القبلتين.

١٢٥.العقيل، محمد بن عبدالعزيز، (١٤٣٠ هـ)، **العقيدة الإسلامية والمذاهب الإسلامية**، بدون طبعة، السعودية : جامعة الملك فيصل.

١٢٦.عمر، أحمد مختار، (١٩٩٧م)، **أسماء الله الحسنى – دراسة في البنية والدلالة**، الطبعة الأولى، القاهرة : عالم الكتب.

١٢٧.العوضي، أحمد، (٢٠٠٢ م)، **العقيدة الإسلامية عند أهل السنة والجماعة**، بدون طبعة، الرياض : مكتبة دار المنهاج.

١٢٨.عيسى، نجاح، محمد عبد الخالق، (٢٠١٣ م)، **الأسماء والصفات بين النفي والإثبات**، الطبعة الأولى، عمان : دار المأمون.

١٢٩.الغامدي، محمد بن عبدالله، (٢٠٠٣ م)، **حماية الرسول – صلى الله عليه وسلم – حِمى التوحيد**، الطبعة الأولى، السعودية : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

١٣٠.ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م.

١٣١.فالح، أبو عبدالله عامر،(١٩٩٧ م)، **معجم ألفاظ العقيدة**، الطبعة الأولى، السعودية : مكتبة العبيكان.

١٣٢.فتّاح، عرفان عبدالحميد، (١٩٩٦م)، **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية**، الطبعة الأولى،عمان : دار عمار، بيروت : دار البيارق.

١٣٣.الفقيهي، علي بن محمد بن ناصر، (١٩٨١م)، **مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث**، **منشورات الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، عدد ٥٠ – ٥١.

١٣٤.فوفانا، آدم، (١٤٣٠هـ)، **الأحكام المترتبة على الفسق في الفقه الإسلامي**، الطبعة الثانية، مكتبة دار المنهاج.

١٣٥.فؤاد، عبدالفتاح أحمد، (بدون سنة)، **الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية**، بدون طبعة، الإسكندرية : دار الوفاء.

١٣٦.فياض، محمد، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،

١٣٧.الفيروزآبادي، محمد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط** بدون طبعة، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، سنة ١٤١٦هـ – ١٩٨١ م.

١٣٨.القاضي عبدالجبار، أحمد، **شرح الأصول الخمسة**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، بدون سنة.

١٣٩.ابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي (٥٤١ – ٦٢٠ هـ)، **إثبات صفة العلو**، ط١، الدار السلفية، حولي – الكويت، سنة ١٤٠٦هـ –١٩٨٦ م.

١٤٠.القدسي، رنا أحمد بسام، (١٩٩٦م)، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن .

١٤١.القصاص، أسامة بن توفيق، (١٩٨٩ م)، **إثبات علو الله على خالقه**، بدون طبعة، جمعية إحياء التراث الإسلامي.

١٤٢.قطب، سيد ابراهيم حسين الشاربي (١٣٨٥ هـ)، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق، بيروت – القاهرة، سنة ١٤١٢هـ.

١٤٣.قطب، سيد، (٢٠٠٢ م)، **مشاهد القيامة في القرآن الكريم**، الطبعة الرابعة عشر، القاهرة: دار الشروق.

١٤٤.قطب، محمد، (٢٠٠٤م)، **دراسات قرآنية**، الطبعة الثامنة، دار الشروق.

١٤٥.القيسي، مروان ابراهيم، (١٩٨٤م)، **التحفة السنيّة في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية**، الطبعة الاولى، الأردن : دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية.

١٤٦.القيشاوي، فادي محمد توفيق، (٢٠٠٢م)، **المباحث العقدية في سورة الزخرف**، رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٤٧.ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعج شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، بدون طبعة، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف الرياض – السعودية، بدون سنة.

١٤٨.ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعج شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)، **بدائع الفوائد**، بدون طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، بدون سنة.

١٤٩.ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعج شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي، جدة – السعودية، سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م.

١٥٠.ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعج شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)،**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، الطبعة الثالثة عشر، دار ابن كثير، المدينة المنورة – السعودية، سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.

١٥١.ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعج شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م.

١٥٢.ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت ٧٥١هـ)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، بدون سنة.

١٥٣.ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري، (ت ٧٧٤ هـ)، **البداية والنهاية**، الطبعة الأولى، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٥٤.ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري، (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الثانية، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، سنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

١٥٥.الكلبي، أبو القاسم محمد بن احمد بن محمد بن جزيء الكلبي، (٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بدون سنة ١٤١٦هـ.

١٥٦.الكواري، كاملة، (٢٠٠٢ م)، **المجلّى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، الطبعة الأولى، لبنان : دار ابن حزم.

١٥٧.الكيلاني، ابراهيم زيد،(بدون سنة)، **معركة النبوة مع المشركين او قضية الرسالة**، بدون طبعة، الأردن : مكتبة الأقصى.

١٥٨.الألباني، محمد ناصر الدين،(١٩٨٨م)، **الجامع الصحيح**، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي.

١٥٩.الألباني، محمد بن ناصر، **العقيدة الطحاوية شرح وتعليق**، بدون طبعة أو دار أو سنة.

١٦٠.الألباني، محمد بن ناصر الألباني، (١٩٩٥ م)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، بدون طبعة، الرياض : مكتبة المعارف.

١٦١.اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، (ت ٤١٨هـ)، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، الطبعة الثامنة، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، السعودية، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦٢.الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله،(ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، الطبعة الأولى، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.

١٦٣.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت ٤٥هـ)، **الأحكام السلطانية**، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة – مصر، بدون سنة.

١٦٤.مجمع اللغة العربية،(١٩٨٣م)، **المعجم الفلسفي**، بدون طبعة، القاهرة.

١٦٥.مجمع اللغة العربية، (بدون سنة)، **المعجم الوسيط**، بدون طبعة، دار الدعوة.

١٦٦.مجموعة من أساتذة التفسير، (١٤٢٢ هـ)، **التفسير الميسر**، الطبعة الثانية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٦٧.مجموعة من العلماء،(٢٠١١هـ)، **موسوعة بيان الإسلام والرد على الافتراءات والشبهات**، الطبعة الأولى، مصر : دار النهضة.

١٦٨.المحمود، عبدالرحمن بن صالح،(١٩٩٠م)، **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه**، الطبعة الثانية، جدة : دار المدني، جدة.

١٦٩.مراد، يحيى، (بدون سنة)، **معجم أسماء المستشرقين**، بدون طبعة أو دار.

١٧٠.مسلِّم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم** –، بدون طبعة تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.

١٧١.المسند، صالح علي، (١٩٩٠م)، **صفات الله عزوجل**، ط١، جدة : دار المدني.

١٧٢.المطيري، عبد المحسن بن زيد بن متعب، (٢٠٠٦ م)، **دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها**، ط١، لبنان : دار البشائر الإسلامية.

١٧٣.المعايطة، عطاالله بخيت،(٢٠١١م)، **الفرق الإسلامية وموقف أهل السنة والجماعة منها**، الطبعة الأولى، الأردن : دار الفاروق.

١٧٤. المُعتق، عواد بن عبدالله، (١٤٢١هـ)، **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**، الطبعة الرابعة، السعودية : مكتبة الرشد.

١٧٥. المغربي، السموأل بن يحيى بن عباس، (ت ٥٧٠هـ)، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، الطبعة الأولى، دار القلم والدار الشامية، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م.

١٧٦. مقبل، هالة سعيد محمد، (٢٠١٠م)، **الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط.

١٧٧.المقدسي، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد، (ت ٦٤٣هـ)، **الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث مما لم يخرّجه البخاري ومسلم في صحيحهما**، الطبعة الثالثة، تحقيق: د.عبدالملك بن دهيش، دار خضر، بيروت – لبنان، سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٧٨.المقراني، عدنان، (٢٠٠٨ م)، **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، الطبعة الأولى، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٧٩.الملفوح، فوزية محمد عبدالرحمن،(٢٠٠٩م)، **أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين.

١٨٠.ملكاوي، محمد أحمد، (١٩٨٥م)، **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**، بدون طبعة، مكتبة دار الزمان.

١٨١.ملكاوي، محمد أحمد، (١٤١٥هـ)، **مختصر إظهار الحق**، الطبعة الأولى، السعودية : وزراة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

١٨٢.ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت – لبنان، سنة ١٤١٤ هـ.

١٨٣.**الموسوعة العربية الميّسرة**، (٢٠٠٩)، الطبعة الثالثة، صيدا : المكتبة المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

١٨٤.الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة،(١٩٧٩م)، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، الطبعة الثانية، دمشق : دار القلم .

١٨٥.نخبة من العلماء، (١٤٢١هـ)، **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، الطبعة الأولى، السعودية : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

١٨٦.الأندلسي، أبي محمد عبدالحق بن عطية، (ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، بدون طبعة، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٢٢هـ.

١٨٧.الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (بدون سنة)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بدون طبعة أو دار.

١٨٨.أبو نعيم، احمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، (ت ٤٠٣هـ)، **معرفة الصحابة**، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض – السعودية، سنة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٨٩.هرّاس، محمد خليل،(١٩٨٦م)، **دعوة التوحيد**، الطبعة الأولى، بيروت : دار الكتب العلمية.

١٩٠.هرّاس، محمد خليل،(١٩٩٥م)، **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، الطبعة الثالثة،السعودية : دار الهجرة.

١٩١.هرّاس، محمد خليل، (١٤٢٧هـ)، **عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة**، الطبعة الأولى، دار الكتاب والسنة .

١٩٢.الوصيفي، أبو عبدالرحمن علي بن السيّد، (٢٠٠٢ م)، **القضاء والقدر عند السلف**، بدون طبعة، دار الإيمان.

١٩٣.الوعلان، عبد المجيد بن محمد، (١٤٣٣م)، **الآيات الكونية – دراسة عقدية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – السعودية .

١٩٤.وهبة، مراد، (بدون سنة)، **المعجم الفلسفي**، بدون طبعة، دار قباء الحديثة.

١٩٥.وهبي، عبدالهادي بن حسن، (٢٠٠٧م)،**الأسماء الحسنى والصفات**، الطبعة الأولى، السعودية : دار الدليل الأثرية.

١٩٦.وهبي، عبدالهادي بن حسن، (٢٠٠١م)، **الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن**، بدون طبعة أو دار.

١٩٧.ياسين، محمد نعيم، (بدون سنة)، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**، الطبعة الرابعة، جمعية عمال التعاونية.

١٩٨.أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى التميمي، (ت ٣٠٧ هـ)،**مسند أبي يعلى**، الطبعة الأولى، تحقيق: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، سنة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.

DOCTRINAL ISSUES IN SURAT AL-SAJDAH

By

Sharehan Sameeh AL-khattab

Supervisor

Dr. Ahmed Abed Al- awaisheh

ABSTRACT

All praise is due to Allah. And prayers and peace be upon His Prophet Muhammad.

A reader of the text of the Qur'an notices that the Qur'an presents doctrinal issues in a clear straightforward style. Many doctrinal issues were mentioned in Makki part, which was revealed in Makkah before the migration, of the Qur'an. Surat al-Sajdah is one of the Makki chapters. This study aims to shed light on the doctrinal issues presented in this particular Surah. The current study includes preface, introduction, three chapters and the conclusion. The preface talks about the importance and the rational of the subject and the methodology and the outline of the research.

The introduction deals with the importance of studying doctrine from within the text of the Qur'an. Moreover, surat al-Sajdah is outlined.

The first chapter tackles the issues of belief in Allah, which are mentioned in the Surah, such as the matter of faith and evil, evidence of the existence of Allah and Names and Attributes of Allah that included in surat al-Sajdah. The second chapter tackles the issues of Prophethood and Divine Books such as evidence of revelation of the Qur'an, revelation of the Torah and mentioning of previous nations.The third chapter tackles the issues related to the belief in the Hereafter such as evidence of the resurrection, answering disbelievers regarding the matter of resurrection, the hereafter scenes mentioned in the surah, reward and punishment and concepts of Wilayah and Shafa'ah which are mentioned.

The conclusion includes the main findings and recommendations.